عبدالله محمد صالح باشراحيل

أصداء الصمت

الصدى الأول

دار العلم للملايين

اهداءات ٢٠٠٢

د/ عبد الله محمد باشراحيل

مكة المكرمة

أصداء
الصمت



عبدالله محمد صالح باشراحيل

أصداء الصمت

الصدى الأول

دار العلم للملايين

الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤٢١ ـ آب ـ أغسطس ٢٠٠٠

الطباعة والتوزيع

دار العلم للملايين

بيروت: ٢٠١٤/٢٠٤٥

لبنان

ص.ب: ١٠٨٥ بيروت ـ لبنان

تلفون: ٣٠٦٦٦٦ ٠٠٩٦١١ ـ ٧٠١٦٥٥ ـ ٧٠١٦٥٦، فاكس: ٧٠١٦٥٧

الإهداء

إلى شقيقي المهندس

تركي محمد صالح باشراحيل

حفظه الله ووفقه والمسلمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم وأصلّي وأسلّم على الرسول العلَم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه بعض مقالات عبرت بها ضجيج المراحل ونسيج الظلام وأنة الدروب، فكنت أشرع مراكبي إلى بِحار الحياة أستلهم منها بوازغ من بريق القمر ومن شلّال الشمس أستحيي بقايا خريف العمر.. أجوس عبر مجاهل الدروب والنفوس علني أعثر على بقايا الأمل الضائع في هيولى المدى أبحث عني وعنك.. عن فرحة عين ليست مخدوعة بسراب الوقت... عن صدفة تحملني إليك وتحملك إليَّ.. عن روح طيبة تسكن أعماقك وأعماقي حيث يتوحد، أو يمتزج، الخير في إنساننا.. لنمحو من قاموس الدهر الشَّر.

هذه المجموعة، على ما تحمله من مضامين، في ظاهرها الغضب والألم لكن في باطنها حب كبير يتسع لكل نازع للخير تارك للضغينة والبغض.

رأيت أن أستجمع ثواني صمتي وحبي ووفائي إليك أيها الإنسان. ولأني، أغنّيك في نفسي دائماً وأبداً أحببت أن أضع بعض العلامات المضيئة على طريق الحب.. أن نتناسى جميع ما استحلَّ بريقَ أعمارنا، نسترفد بقايا الحلم الضاحك في حياتنا، ويعود الأمل شمعةً تضيء، وزهرةً تبرعم.. ونفوسًا تأنس إلى الحب، تروّي مناهله جديبَ القلوب في صيف أعماقنا الحارّة... ولكم آثرت الصمت ووجدت أنني لم أستطِع حبس أصداء الصمت.

المؤلف

١ جمادى الأولى ١٤٢١

١ آب/أغسطس ٢٠٠٠

يا أُمَّةَ الحَقِّ

شعر: عبد الله محمد باشراحيل

أَضْحَكْتَني وأنا المَحْزونُ يا زمني ... تقولُ سَوْفَ تُواري سَوْأَةَ المِحَنِ
أضْحَكْتَني يَوْمَ أَن قُلْتَ الرَّبيعُ أتى ... ولا رَأَيْتُ زُهوراً عَطَّرَت مُدُني
أضْحَكْتَني ضِحْكَةَ المَوْهونِ وَهْوَ يَرَى ... زَهْرَ الشَّبابِ وَكَمْ يَذْوي مِنَ الوَهَنِ

* * *

مِنْ أَيْنَ نَبْدَأُ والأَنْباءُ تُخْبِرُنا ... عَنْ مَوْطِنٍ ماتَ مَلْحوداً بِلا كَفَنِ؟

* * *

خَمْسونَ عاماً وما افْتَرَّتْ سَرائرُنا ... إلّا عَلَى صَرْخَةٍ ثَكْلَى لِمُمْتَهَنِ
خَمْسونَ عاماً وَجُرْحٌ لا يُبارِحُنا ... إلا وجُرْحٌ جَديدٌ جَدَّ يا زَمَني
خَمْسونَ عاماً خُيولُ الحَقِّ واقِفةٌ ... واليَوْمَ ضاقَتْ مِنَ الأَغلالِ والرَّسَنِ

* * *

عُرْسُ الضَّحايا وَقَدْ جِئْنا نُبارِكُهُ وَنَحْنُ في رِبْقَةِ الأَعْداءِ كَالدِّمَنِ
عُرْسُ الضَّحايا عُيونٌ كم تُناظِرُهُ وما اسْتَشاطَ بِنا قَلْبٌ مِنَ الحُزْنِ
عُرْسُ الضَّحايا شُموعٌ سَوْفَ نوقِدُها للقادِمينَ وَلَنْ تَخْفَى على الفَطِنِ

* * *

يا (قُدْسُ) ما آنَ للأعْداءِ آخِرَةٌ وما لِصَوْتِكِ يَسْتَعْصي عَلَى الأُذُنِ
يا (قُدْسُ) ماذا دَهانا والرِّياحُ لَظًى تَسَعَّرَتْ كَلَهيبِ النّارِ في البَدَنِ
يا (قُدْسُ) أبْحَرَتِ الأَحْزانُ هائِمَةً تُلقي تَباريحَها لِلْمَوْجِ والسُّفُنِ
وَأَنْتَ كالطَّيْرِ مَكْسوراً جوانِحُهُ فَهَلْ يُغَرِّدُ مَأْسورٌ عَلى فَنَنِ؟
وأَنْتَ قِبْلَتُنا الأولى تُسائِلُنا أَما أَسيتُمْ لَنا والغَدْرُ ظِلٌّ دَني؟
وأَنْتَ تُسْقَى بِماءِ الغاصِبينَ أَسىً فَكَيْفَ تَشْرَبُ ماءَ الذُّلِّ والعَفَنِ؟

* * *

يا (شامُ) مِنْ (بَرَدَى) تَصْفو مَناهِلُنا تَرْوي الظِّماءَ بِكاساتٍ مِنَ المُزُنِ
يا (شامُ) يا رَجْعَ أَمْجادٍ نُرَدِّدُها كَأَنَّها بَعْضُ أَنْداءٍ مِنَ الهَتَنِ
يا (شامُ) يا زَهْرَ أَنْسامٍ مُعَطَّرَةٍ يا كُلَّ حَبَّةِ رَمْلٍ لِلْجِهادِ عَنِي
سَنَسْتَعيدُ ثَرَى (الجولانِ) يا وَطَني بالقاصِفاتِ وَنَحْميهِ مِنَ الوَثَنِ

* * *

(لبنانُ) مُنْتَجَعُ الأَصْباحِ صادِحَةً وَإِنَّهُم وبَياضُ القَلْبِ كَاللَّبَنِ
(لبنانُ) مُنْتَجَعُ الأَبْطالِ تَشْهَدُهُمْ صورٌ وَصَيْدا وَخَصْمٌ غَيْرُ مُؤْتَمَنِ

(لبنانُ) تَرْجِعُ أَنساماً مُنَعَّمَةً بِالحُبِّ والطِّيبِ في أَنْظارِ مُفْتَتَنِ
(لبنانُ) حَيٌّ النَّدى في أَرْضِها أَلَقا وَحَيٌّ أَبْطالَها يا (سَيْفَ ذي يَزَنِ)

* * *

أوّاهُ أوّاهُ واللَّيْلُ البَهيمُ سَجَى وَكُلُّنا غارِقٌ في مُتْعَةِ الوَسَنِ
أوّاهُ أوّاهُ يهتاجُ الضياعُ بنا وكم يُخدِّرنا بالوهْمِ والمِنَنِ
أوّاهُ أوّاهُ إعْصارٌ وقارِعَةٌ تَئِنُّ مِنْها صُدورُ السِّرِّ والعَلَنِ

* * *

كواسِرُ الغابِ جاءَتْ تَبْتَغي نَهَماً تُريدُ شَبْعاً من اللَّحْمِ الطّريرِ هَني
كَواسِرُ الغابِ تَسْتَحْيي رَغائِبَها قَدْ أَبْدَعَتْ في شَتاتِ العُرْبِ بالظُّنَنِ
كَواسِرُ الغابِ أَضْيافٌ بِرَوْضَتِنا تُسْقَى دِمانا بِأَقْداحٍ مِنَ الغَبَنِ

* * *

يا (شَرْقُ) ما أُطْفِئَتْ نارٌ بِمَشْرِقنا إلّا وتُشْعِلُها نارٌ مِنَ الفِتَنِ
يا (شَرْقُ) ما بالُنا إنَّ السِّهامَ رَمَتْ قَلْبَ العُروبَةِ والإسْلامِ والسُّنَنِ
يا (شَرْقُ) لَسْنا كَمَنْ يَنْسى مَواطِنَهُ لَكِنَّ فينا الَّذي يُبْتاعُ بالثَّمَنِ

* * *

(صَهْيونُ) إِنْ تُحْرِقِ الأَشْجارَ مُثْمِرَةً فَسَوْفَ تَنْبُتُ مِنْ حُسْنٍ إلى حَسَنِ
(صَهْيونُ) ميعادُنا الآتي يُطالِعُنا وَسَوْفَ نَثْأَرُ لِلْوَيْلاتِ والضِّغَنِ
(صَهْيونُ) والصَّبْرُ بَعْضٌ مِنْ خَلائِقِنا وَسَوْفَ نَسْقيكَ أَهْوالاً مِنَ الإِحَنِ

أَبْطالَنا يا شُموسَ الفَخْرِ بارَكَكُمْ رَبُّ العِبادِ وَنَصْرٌ مِنْ لَدُنْهُ غَني

أَبْطالَنا يا رُماةَ الحَقِّ لا تَهِنوا وَحَطِّموا زُمْرَةَ الأَوْغادِ في الحُصُنِ

أَبْطالَنا يا جُنودَ العُرْبِ أَجْمَعِها غَداً سَنَسْحَقُ (باراكاً مَعَ النَّتَنِ)

* * *

يا أُمَّةَ الحَقِّ هَلْ هانَتْ مَصائِرُنا وهَلْ نُصابِرُ في ذلٍّ وفي ظَعَنِ

يا أُمَّةَ الحَقِّ والإِسلامُ يأمُرُنا إلى الجهادِ لِنَطوِيَ رِحْلَةَ الشَّجَنِ

يا أمَّةَ الله جَنَّاتٌ تُناظِرُنا فَهَلْ نُميطُ لِثامَ الخَوْفِ والوَسَنِ

* * *

إمَّا الشَّهادَةُ أَوْ نَصْرٌ يؤازِرُنا وَلَنْ يَمُوتَ شَهيدُ الحَقِّ والوَطَنِ

* * *

الباب الأول
قراءات اجتماعية



الفروسية والموعد الحضاري المرتقب

الفروسية:

هي كلمة جامعة لصفات وخلائق رفيعة يفترض أن تكون في الفارس، فهو يتسامى بالشهامة والنبل والشجاعة، ويمتاز الفارس بالمهارة والقدرة على ركوب الخيل وتطويعه وترويضه في الحرب والسلم.

ورسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه كان يحب الخيل ويوصي بتربيتها وإكرامها ورعايتها، والمسلمون الأوائل كان لهم على ظهور الخيل مجد الفاتحين وعز المنتصرين.

إلا أنه جاءت فترة كادت رياضة ومهارة الفروسية أن تندثر حتى جاء الفارس الملك عبد العزيز.. رحمه الله بنصر الفاتحين لاستعادة ملك آبائه وأجداده على ظهور الجياد، وكان من وفائه لها أن كرَّم مثواها وأحسن رعايته لها. وكانت خليقة الآباء يتوارثها الأبناء ـ فكان الملك سعود.. رحمه الله فارساً له دراية ومهارات في ركوب الخيل وله غزوات على ظهورها. وجاء من بعده الملك فيصل.. رحمه الله وهو فارس في كل ميدان، وتلاه الفارس الملك خالد.. رحمه الله، ثم الملك فهد.. حفظه الله فهو فارس ومشجع للفروسية في جميع مناطق المملكة ينطلق من أهداف حضارية لا تقلّ مملكتنا في الأخذ بمقتضياتها المتفقة مع شريعتنا

الغراء. ويبرز دور الفارس الشهم صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز.. ولي العهد رعاه الله في تكريم الخيل بإنشاء نادي الفروسية بالرياض الذي يعتبر بحق معلماً حضارياً من معالم مملكتنا الحبيبة رعاها الله حيث تتوافر فيه جميع الإمكانيات المتقدمة وتقام فيه السباقات الكبيرة، منها ما هو على كأس خادم الحرمين الشريفين وكأس ولي العهد.. وجوائز وكؤوس الوزارات والشركات والمؤسسات الخاصة والعامة. وقد كان للحوافز التشجيعية التي منحها صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز منها منحه رعاه الله قطع أراضٍ لكل نادٍ من نوادي الفروسية بالمملكة وكثير من التشجيع المادي والمعنوي الذي يبذله ولي العهد المعظم ورئيس الفروسية الأعلى بمملكتنا الحبيبة. ويقف أمير محبوب لدى الجميع وهو صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبد العزيز نائب رئيس الفروسية بالمملكة فهو دائم التشجيع مادياً ومعنوياً وأكبر تقدير من لدن سموه حضوره المستمر لسباقات الفروسية.

وإن ذلك يعطي دافعاً قوياً للمنافسة الشريفة التي يجب أن تكون لكافة أندية الفروسية كذلك دور صاحب السمو الملكي الأمير الخلوق ماجد بن عبد العزيز في تشجيع هذه الرياضة العريقة فإنه يقام سنوياً بنادي مكة المكرمة للفروسية سباق على كأس وجوائز سموه المادية وصاحب السمو الملكي الأمير المحبوب سعود بن عبد المحسن سلمه الله رئيس مجلس شرف نادي مكة المكرمة للفروسية.

ولا ننسى دور رجل من رجالات هذه المملكة رحل إلى جوار ربه وترك الذكر الطيب العطر وترك بصمات جيدة لرياضة الفروسية وأخلاق الفرسان هو الأستاذ عبد الله البسام رحمه الله..

وأسكنه فسيح جناته وقد خلفه مدير عام نادي الفروسية بالرياض الأستاذ راشد الزنيدي.. الذي لا تزال له بصمات طيبة على الفروسية من خلال نادي الفروسية بالرياض. وينبغي على القائمين على تلك النوادي الجديدة التنافس الشريف لهذه الرياضة الخلاقة وأن ينطلقوا من مفهوم قومي كبير في أن يكون لرياضة الفروسية صوت فعال لنؤكد للعالم المتحضر أننا نستوعب جميع المهام الحضارية ونسير في ركب المتقدمين والعاملين على رفعة وتقدم هذه المملكة الحبيبة بروح وطنية عالية تحب الخير للجميع ويميزها الإيثار وتنبذ عوامل الإحباط والمحبطين.

ونحمد الله أن ينطلق النادي تلو النادي في مملكتنا الحبيبة بعد نادي الرياض للفروسية.. مثل نادي مكة المكرمة للفروسية ونادي القصيم للفروسية ونادي رماح ونادي المنطقة الشرقية ونادي جدة ونادي المدينة المنورة. كلها صروح فروسية تبشر بخير وتعلن للجميع أن ولاة الأمر في هذه البلاد يسعون دائماً وأبداً إلى التشجيع والتدعيم لأي مشروع وطني هادف، وأن أكبر مدعاة للفخر تشجيع ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز بمباركته إنشاء نادي مكة المكرمة للفروسية بالجهود الخاصة وبعثه رعاه الله ببرقية شكر على هذا العمل الطيب، ذلك هو أرقى أنواع الوعي القومي وأسمى الشعور الوطني الحضاري. وما قدمه رعاه الله لنادي مكة المكرمة وللفروسية من اهتمام يشجع العاملين للوطن أن يبذلوا أكثر فأكثر وأن يقدموا من مالهم وجهدهم وهم يعلمون أن جزاءهم التقدير من لدن قيادتهم حفظها الله.

من شعري:

الفارس الشهم لا كبر ولا صلف

ومن نداه يعيش البدو والحضر

يسري إليه الشذى في لثم غرّته

ويعتلي مَن علاه المجد والظفر

إذا أنلناه حباً فهو باذره

وباذر الحب ينمو حوله الثمر

ولي عهد له في كل معضلة

رأي سديدٌ وفكر ليس ينحسر

نعماه أن يسعد الإنسان في غده

وسعده دائماً أن يسعد البشر

٢٥ ـ ٦ ـ ١٤١١ هـ

السياحة الداخلية

في هذه الأيام يقوم الكثير من أبناء الوطن العزيز بحزم أمتعته بغية السفر إلى خارج البلاد لقضاء إجازته الصيفية بصحبة عائلته. صحيح كما قيل إن في السفر خمس فوائد برغم عناء السفر ومسؤولياته. أنه حق من حقوق العائلة والأبناء الذين يمضون أكثر من ثمانية شهور وهم بين جهد وتعب في تحقيق تحصيلهم العلمي لعل ذلك يكون دافعاً جيداً لعودتهم إلى صفوف الدراسة بهمةٍ وشغف بعدما يتمتعون بإجازة ترفيهية طيبة بما يغري من ألوان الترفيه البريء في كثير من بلاد العالم.

وكم كنت أتمنى كغيري أن يتم الإعداد والتخطيط لمشاريع سياحية في وطننا الحبيب بشكل علمي مدروس مهيأ لاستقبال أبناء الوطن ويرضي شغفهم البريء في المتعة والتسلية.. وفي بلادنا والحمد لله مناطق مؤهلة لإقامة مشاريع سياحية تستقطب تلك الأنفس التواقة للسفر وتختلف من مدينة إلى أخرى من حيث تشكيلتها المناخية وطبيعة تضاريسها.. فليتنا نجد لعشاق البحر مشاريع على امتداد الشواطىء الممتدة على طول السواحل السعودية تُخطَّط لها الخدمات جميعها وتكون خارج المدينة مثلما هو قائم في بعض السواحل المصرية مثل الغردقة على البحر الأحمر وسيدي عبد الرحمن على طريق مرسى مطروح وغيرها من القرى السياحية هناك.. إنني أقترح إنشاء هيئة عليا لتطوير

السياحة الداخلية برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وعضوية وزير المالية ووزير الشؤون البلدية ومجموعة من رجال الأعمال السعوديين ومجموعة من رؤساء إدارات البنوك السعودية... وذلك لإنشاء قرى سياحية تقوم على أساس الإيجار طويل الأجل أو الشراء من قبل الدولة بسعر معقول فتباع، أو تُؤجّر، للمواطن بسعر يجعله يزهد في السفر إلى الخارج ما دام سيجد ما يرضي شغفه في وطنه، ولسنا أقل من بعض الدول النامية التي يتعاون فيها رجل الأعمال مع الدولة في إسعاد المواطن وتحقيق ربح غير مبالغ فيه.

كذلك يدرس مشروع إنشاء مناطق سياحية في المناطق التي يكون مناخها مائلاً إلى البرودة مثل أبها والباحة، وإنشاء بعض الألعاب الرياضية الترفيهية للأطفال. لقد حان الوقت لكي نستثمر أموالنا داخلياً لما يعود بالفائدة على الوطن واقتصاده.. وإضفاء كثير من المتعة على أبناء الوطن والاستفادة من الأراضي البور غير المستفاد منها... وتشغيل الأيدي والكفاءات السعودية المؤهلة في إنشاء هذه المشاريع وإدارتها، ناهيك عن الحفاظ على العادات والتقاليد في إطار الخلق الإسلامي الكريم. وقد يقول البعض إن هناك الكثير من المشاريع السياحية في مختلف أنحاء المملكة، ونقول إنها لا تغطي الحاجة، وليست بالشكل الذي يرضي المواطن لا من ناحية السعر ولا من ناحية الإعداد والتخطيط.

وجميعها مشاريع فردية تتم في إطار ضيق، وأسعارها أكبر من سعر أي أوتيل خمسة نجوم بأي بلد أوروبي. فإذا ما تمت دراسة مثل هذه الاقتراحات المفيدة والبناءة من قبل هيئة مشكّلة بأمر سامٍ فإن ذلك سوف يعطي قيمة لعمل عظيم يستفيد منه

الوطن والمواطن ويحقق عائد أرباح للمستثمرين السعوديين ويشجع رؤوس الأموال المهاجرة للاستثمار في الخارج إلى العودة لاستثمارها في مشاريع تنموية هادفة وبناءة في المملكة والله من وراء القصد.

٧ ـ ٢ ـ ١٤١٦ هـ

تعالوا إلى كلمة سواء

حان الوقت لكي نكون أكثر صدقاً ووضوحاً مع أنفسنا ومع مجتمعنا ـ كل من فينا مسؤول عن عمله أن يؤديه بأمانة وإخلاص ـ أن نصدق مع أنفسنا ونصدق مع بعضنا البعض أن نتفانى في أداء واجباتنا ـ وأن نجعل مخافة الله نصب أعيننا.. فنجعل من الإخاء والتواصي بالحق والرحمة فيما بيننا سبيلاً إلى مبدأ لا نحيد عنه، مبدأ ينطلق من الفضيلة ويمتزج بالود.. ويحتكم إلى العدل.

ليس عيباً أن نعلن عن أخطائنا ونحاول أن نترسم الطريق الأمثل نحو أهدافنا المستقبلية.. نترفع عن الصغائر.. ننبذ الأنانية نعمل من أجل الجماعة لا من أجل الفرد.. نشمر عن سواعدنا للبناء.. نرتفع بالوطن فوق هامات الزمان ـ لنكتب للتاريخ سيرة حياة أمة ودولة رائدها الإخلاص والتفاني والإيثار. لا نجامل فيما يضر بحقوق الآخرين أو حق الوطن.. لا نسمح لأي عابث بمقدرات هذا الوطن أن يحقق مآربه السيئة ولا نعطي الفرصة للأشرار والضالين أن يندسّوا بين صفوفنا ليشيعوا الفرقة ويغرسوا بذور التناحر والتباغض فيما بيننا.. نضع أيدينا في أيدي بعضنا البعض بالحب والوفاء.. نكون سنداً للحق وعوناً للقيادة وحماة لشريعة الله نطبّقها دون خشية من أحد أو طمعاً في مغريات وقتية..

إن هذه المملكة الحبيبة وهذا الوطن الغالي محل إغراء للحاقدين والحاسدين.. بما أفاء الله عليه من نعيم مقيم وأمن عظيم لذلك يحاول المغرضون النيل منا بغية إشفاء جذوة حقد وحسد ومحاولة انتهاب ما أنعم الله به علينا وخصنا به من النعم فلنحمد الله ونداوم بالشكر له على آلائه ومننه الكثيرة التي لا تحصى ولا تعد فإنه بالحمد تدوم النعم.

علينا أن نجعل سبيلنا إلى العدل سحق الظلم وتهديم معاقله والاحتكام إلى هدي الله ففيه العز وفيه النصر على أعدائنا وفيه علو شأننا ولو كره الحاسدون والمبغضون.

لقد عُرف عن هذا الوطن وأهله الطيبة والبذل بسخاء لكل محتاج وكل قاصد.. ولم يمنّ هذا الوطن يوماً على أحد بما قدمه ويقدّمه ولن يثني من همته وارتفاع شأنه تصاغر المتصاغرين.. ونوايا الماكرين لأن هذا الوطن ينطلق من أهداف سامية في مد يد العون والمساعدة للمحتاج. لذلك فإن هذا الوطن محروس بعناية الله من غدر الكائدين والجاحدين وسوف يردّ الله أعداء هذا الوطن على أعقابهم خاسرين ويجعل تدميرهم في تدبيرهم.

لقد اتضحت الرؤى وعرفنا الصديق الغالي من العدو القالي.. فعلينا أن نتعلم كيف يكون تعاملنا مع أعدائنا وكيف يكون تعاملنا مع أصدقائنا. فلقد ظن ضعاف النفوس من أعدائنا أننا نقدّم موداتنا لهم خيفة وخشية منهم وما دروا أن أخلاقياتنا هي التي تدفعنا إلى البر بهم وأنهم لم ولن يخيفوننا في شيء لأننا لا نرضى ولا نقبل أن نكون عرضة للمزايدات أو المراهنات أو المساومات في يوم من الأيام على ثرى هذا الوطن أو مكتسباته، وستكون الأرواح هي الفداء وهي قول الفصل، وإن أكبر شاهد على ذلك تدافع تلك الجموع من أبناء هذا الوطن للفداء

والتضحية دافعهم في ذلك مغفرة من الله وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين وحب الشهادة في سبيل الله.

من شعري:

يا أيها الملك الحكيم ... ما هان في دنياك دين

كم ذا نصابر صامتين ... نرعى حقوق المسلمين

كم ذا نهادن قادرين ... نتوسم السلم المعين

لكن إذا زاد الأسى ... وتضجّر الوطن الأمين

سنكون نحن المفتدين

ونردّ كيد المعتدين

قسماً برب العالمين

٢٠ ـ ٥ ـ ١٤١١ هـ

الأمير عبد العزيز بن أحمد بن عبد العزيز والتسامي الإنساني

يثير مكامن إعجابي تلك الحيوية الشابة والعمل المخلص الذي يتبناه صاحب السمو الملكي الأمير الشاب عبد العزيز بن أحمد بن عبد العزيز.. رئيس الجمعية السعودية لطب العيون.. من خلال تلك الوثبات الصادقة التي تهتم بالنواحي الصحية والإنسانية.. وتوجُّه سموه الكريم من خلال هذا العمل الرائد الذي ينطلق من وعي حضاري لقيمة الإنسان السعودي.

والذي يتجسد في رؤية سموه الهادفة إلى الأخذ بالنواحي المعرفية والإرشادية لعلاج أمراض العيون من خلال الندوات الصحية التي تضم كثيراً من المتخصصين في طب العيون هذه الجمعية التي يوليها سموه الكريم جل اهتمامه... ويرعى خطواتها الحثيثة نحو الأخذ بالطرق العلاجية الحديثة كافة عبر منظور وطني وإنساني سامٍ، يجعلنا نطلب إلى سموه الكريم تشكيل مجلس أصدقاء للجمعية في جميع أنحاء المملكة للمشاركة المادية والمعنوية.

كما نطلب إلى سموه الكريم تكثيف هذه الندوات وتسجيلها في كتاب علمي يعنى بمشكلات أمراض العيون والطرق الطبية الحديثة للوقاية الأولية.. والتعريف بأمراض العيون الشائعة بالمملكة ومناطق تواجدها وأسبابها.

وإذا كان سموه الكريم قد نذر وقته وجهده وماله لهذا العمل الإنساني الخلاق فإن ذلك يعطي دلالة حقيقية إلى استشعار سموه رعاه الله بواجب وطني وإنساني رائده في ذلك توفيق الله والسعي إلى الخير والعمل به ليسجل صفحة مشرقة من صفحات تاريخ أبناء هذا الوطن المعطاء ويؤكد على عمق العطف والتراحم الذي أوصى به الدين الحنيف والذي سوف يكتب له أجر هذا العمل إن شاء الله، وليس أسمى من العمل في سبيل الله، وهذا هو الخلود الحقيقي للإنسان.

ونحن ندرك أن المملكة بفضل من الله ثم برعاية واهتمام خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء.. قد تجاوزت عمرها الزمني المفترض في الأخذ بأسباب الحضارة والتقدم الذي من ضمنه الاهتمام بالنواحي الصحية حتى أصبح لدينا ولله الحمد مزيد من المستشفيات والمراكز الطبية ما نستطيع أن ننافس به الكثير من المؤسسات العلاجية الكبرى في العالم المتقدم.. كل ذلك لم يكن ليؤدي دوره الفعال للمساهمة في تقديم أرقى المستويات من الخدمات الطبية.. لولا أن المواطن بدأ يعي ضرورة الاهتمام بالصحة والحرص على المتابعة الصحية. وإن للجمعيات المتخصصة دوراً هاماً في توجيه الوعي الصحي حتى ليعطي مؤشراً بيانياً عالياً في أن دور مثل تلك الجمعيات دور ضروري تتطلبه المرحلة خصوصاً وإن بلادنا والحمد لله أصبحت تعد من الدول المتقدمة. ونحن بكل الفخر والاعتزاز نهنىء سمو الأمير عبد العزيز بن أحمد بن عبد العزيز.. على هذا المستوى العالي من الإنجاز في زرع الوعي الصحي لدى المواطنين للأخذ بأسباب الرعاية الطبية فيما يختص بأمراض العيون. ونأمل أن يتحقق على

يدي سموه الكريم ما يأمله وما نأمله في سموه لتحقيق الغاية التي تؤدي إلى رفع المعاناة والألم عن كل مريض. وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

من شعري:

هفهفي اليوم يا زهور بلادي	بين تلك الربى وشم النجاد
وأرسلي العطر من شذاك يغنّي	بربيع الندى وصفو الوداد
واشرقي فالرضى عليك تهادى	فاستبنّا مشارف الأعياد
يا سعوديةٌ وأنت ملاذي	طول عمري وكعبة القصّاد
جمع الود أمرنا فغدونا	أمةً للهدى تَمدُّ الأيادي
واعتصمنا بديننا وهتفنا	نحن بالله من خيار العباد

---

٢٧ ـ ٥ ـ ١٤١١ هـ

الوطـــن والفـــداء

وسيظل الوطن دوحة وارفة بالحب والتضحية والشمم مهما داهمته الأحداث ومهما تكالبت عليه الظروف سيظل وطناً يحتضن الإنسانية ويغرس في جبين الدهر تاج الشموخ والعزة والوفاء.. لن تغيره المصائب ولن تنال منه الخطوب فهو في عيوننا قلعة الصمود، ولسوف نمسح بدمائنا عنه غائلة الأحزان والدموع ونستشرف فوق صدره وشاح الكرامة وسوف نلبسه بالفداء ثوب الوفاء.

لو يعلم صدام حسين أن شعب هذا الوطن شعب يجعل للصبر منارة.. وإذا داهمته المحن فإنه بحول الله قادر على أن يسحق فلولها ويحرق ذيولها ليواريها إلى رمسها.

أيها الوطن العزيز هي فتنة وتمر ليكون منها العظة نتعرف منها على عدونا وعلى صديقنا.. ونعرف قيمتنا كشعب تجمعه الكروب ليقف وقفة رجل واحد ليقول للأعداء.. إلا الدين والوطن فلا مساس لأن لنا نفوساً علّمها الحب للوطن كيف يكون الفداء.. وأورثها الدين أن تتسامى فوق الجراح وتعتلي بالله وتؤمن أن ما أصابها لم يكن ليخطئها وما أخطأها لم يكن ليصيبها.. فهي تؤثر الموت على الذل.. وتؤثر الشهادة في سبيل الله.. وإننا نحيي تلك العزائم الوثابة الساهرة من جنودنا.. قواتنا المسلحة.. البواسل.. الذين يرفعون رأس الوطن وأبناءه عالياً ليعيدوا كرامة

الإنسان العربي المسلم الذي حاول امتهانه صدام حسين برعونته ووحشيته وحيوانيته اللاإنسانية.. ويكتبون للتاريخ كيف تكون ملحمة الوفاء والفداء.. ونحن على أثرهم قد أعددنا أنفسنا وأبناءنا.. وأهلينا لخوض غمار هذه الحرب بقوة الحق وحب الشهادة في سبيل الله.. لأننا نعلم أن الموت حياة أخرى محفوفة برياحين الجنة ونور المولى.. وأن عدونا سوف يبوء بخسران مبين في الدنيا والآخرة لأنه جعل للظلم شريعة هو صانعها.. وللطغيان حروفاً هو كاتبها.. وللعار ثوباً هو لابسه.. والله غالب على أمره.

وقفة اعتزاز وفخر: إلى جنودنا البواسل على خطوط النار.. الذين يدافعون عن الوطن ويدفعون الظلم بالحق.. أهديهم هذه الأبيات من شعري:

الباسلون ودين الحق وحّدهم	والحافظون عهود الدين والقسما
ما هان فيهم لدى البأساء عزمتهم	ساروا إلى الحق في أعمالهم قدما
هم الشداد على الأعداء نقمتهم	يستعذبون الردى والهول والألما
هم العماد ليوم النقع قوّتهم	لا ينكصون إذا يوم الوغى عظما
يسترخصون من الأرواح أثمنها	ويسلكون إلى أوطارهم أمما
وما المنايا لتوهي من عزائمهم	حتى وإن نزفوا يوم الطعان دما
هم الكماة هم الأزهار مورقة	قد أثروا المجد والأوطان والحرما
من كان يسلك درب المجد يبلغه	بالحق منتصراً بالجهد مقتحما
ولا تعزّ ديار إن هي افتقدت	روح العزائم إذ تسترخص الذمما

---

٢٤ ـ ٧ ـ ١٤١١ هـ

المسـؤولـية

هي أمانة كبرى في عنق من حملها لا تعفيه المعاذير.. ولا تبرر انزواءه أو تنصله المحاذير.. فإما أن تكون على قدر المسؤولية وأما أن تترك غيرك يتحملها.. ويتحمل آثارها أو أوزارها أو أجرها وحسناتها..

والعلاقة بين المواطن والمسؤول هي علاقة حتمية بين سائر البشر لا يستغني الكبير عن الصغير ولا الصغير عن الكبير.. وكلٌّ مسخر لما خلق له. ومن خلال العلاقات المسؤولة تنشأ الأنظمة التي تقنن تطبيق مسيرة الحياة للبشر في إطار تعاوني مشترك بين المسؤول والمواطن.. واختلاف النوعيات في المسؤول والمسؤولية والمواطن ودرجة الوعي لا تتساوى في الإلمام أو الإدراك أو التوجيه أو التخصص النوعي في كثير من الأحيان..

ونتيجة لذلك تظهر بعض السلبيات العقيمة التي لا تؤدي إلى وعي حضاري بين اتخاذ المنصب كوجاهة وبين إسناد المنصب كعمل لمصلحة الوطن والمواطن.. ولا تعفي المسؤول من المتابعة وأخذ وجهات النظر ليس من منسوبية فقط وإنما حتى من المواطن بتفهم حقيقة مشكلته ومحاولة القضاء على روتينية النظام أو العبثية التعقيدية من مسؤول أوكل إليه عمل وأن لا يحاول بذلك إذلال مواطنيه أو إرهاقهم بالوعود بالذهاب والعودة.. فصاحب الحاجة كما قيل معتاز.. وهو لم يأت لكي

يضيع وقته ووقت المسؤول إلا ما ندر من إنسان جعل من وقت فراغه وسيلة لإشغال دوائر الدولة بما لا طائل منه..

والمشكلة الحقيقية أن الأخذ برأي المنتسب من الموظفين إلى إدارة ما وتصديقه في كل أمر وتكذيب المواطن، من المشاكل التي ربما تخلق نوعاً من عدم الثقة بين المواطن والمسؤول.. ينبغي أن لا يترك لها العنان حتى لا تستفحل وتصبح ظاهرة سيئة تؤدي إلى المساس بمقدرات الأمة من خلال استهتار مسؤول بقيمة مواطن أو امتهان كرامته في أي لحظة ولأي سبب بسيط فيقوم بإخراج ورقة منه ويعمل فيه محضر أنه أساء إليه وشتمه.. و.. الخ ومن ثم يتحمل ذلك المواطن نتيجة هذا الباطل ويشتفي المسؤول لفترة وما الله بغافل عما يعمل الظالمون فالرسول الهادي صلوات الله وسلامه عليه يقول: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» والغضب شيء لا إرادي سواء من المسؤول أو المواطن.. ولكن يجب أن يكون المسؤول على قدر كبير من الثقافة ويفترض في المواطن أن يقدر دور المسؤول الواعي ويحترم مكانته التي أولته إياها الدولة.. وأن يذعن للنظام وأن يتلمس الأبواب والأسباب الكفيلة بتحقيق مطالبه في إطار الأخلاق.. ومرونة النظام وليس جموده.

أما المسؤول الذي قد جعل من المنصب مطية لتحقيق ذاتيته فهو إنسان مريض لا يشفيه إلا غلق أبوابه عن الناس، ولا تجد حتى لدى مدير مكتبه إلا كلمة ماذا أعمل.. إن المسؤول في اجتماع.. وكم منا يعرف أن بعض الاجتماعات التي يدّعيها البعض هي اجتماعات واهية أو مصلحية، أو مهاتفة لصديق تأخذ وقت المراجع ووقت الوطن. ولا يعد ذلك من الوعي الحضاري في شيء إذ إن المسؤول عليه أن يلتزم بحقه وحق المواطن..

وعلينا أن نعي أن المسؤولية مهما كبرت أو عظمت أو صغرت هي مسؤولية انتهاء بالعامل..

ويجب أن يتوافر عنصر المتابعة والإخلاص وإلا أصبحنا نسعى إلى تدمير العزائم الصادقة نحو البناء وزرعنا في النفوس الاستهتار، وأن يقول كل منا (أنا مالي شغل) أو كفاية الذي عملته وليعمل الآخرون وأصبح كلٌّ منا يوكل إلى غيره الخطأ.. وتفشي الكذب والدسائس والنفاق وأشياء أخرى وساعدنا على تحطيم القدرات والمساس بمقدرات الوطن التي تبذل لها الدولة الغالي والرخيص.. وتعودنا على التواكل في كل شيء إلا ما يهمنا شخصياً.. وفي النهاية تكون الحصيلة.. أننا أفسدنا بأيدينا حقوقنا وما نملكه ودمرنا ما شيدته لنا الدولة من عزٍّ ورفاه.

إن التخصص النوعي مهم.. والتجربة والخبرة أهم من ذلك.. واللين مهم والحزم مهم ولكن كل شيء يجب أن يكون في موضعه وفي طريقه، وعلى الإنسان أن يرضي الله في المقام الأول ويرضي ضميره.. وأن لا ينفعل بكل إنسان لا يعجبه فيحاول تعقيد أمره بما لا يرضاه هو لنفسه.. لقد أصبح الكل يشتكي من ماذا؟ من الكل، من نفسه كمواطن يستهين بما صنعته له الدولة، بما يخلقه له المسؤول الصغير من امتهان أو إحباط أو تعالٍ فيخرج من عنده وهو يركب موجة الغضب وفي أغلب الأحيان يرفع بصره إلى السماء ليقول: يا رب أنت على الظالم.

---

١٠ - ٨ - ١٤١١ هـ

السبب.. مريم

إذا نظرت إلى عينيها نسيت كل شيء: سعادتي وابتهاجي.. حين تلامس عيناي عينيها.. لكنها غير عابئة بالمخاطرة ولا تهتم بشيء من الأشياء.. عابثة ـ صارخة ـ ضاحكة ـ باكية. كعادتي معها أترقبها في صحوها وفي نومها. أنظرها فأجدها الغيوم والمطر الهتون والرياض بخمائله والشروق والغروب وكل ما يبهج النفس ويزيل الهم.

لها صولجان كبير وهيمنة عليَّ لا أقوى على دفعها، فكم تخدش وجهي.. وكم تضربني، لكنها حلوة عذبة رغم ما تفعله، وكل ما تفعله برد على قلبي ـ ولا تزعجني إلا أن أراها باكية فأحاول جاهداً إرضاءها بكل الوسائل.. أخرج عن كل (البروتوكولات) العقلانية، وأعود معها لطفولة الزمان الوليد في عينيها ألاعبها، وأغني لها. أُجلسها على حجري تارة وأخرى على صدري.. وإذا نفرَت أُجلسها أمامي، وحيثما سارت أسير.

لم أغضب منها قط إلا هذه المرة حينما كنت في محادثة تلفونية، وكنت قد أعددت مقالي الأسبوعي للجريدة وإذا بها قد مزقت المقال إرباً وبللته بفمها بعد أن بذلْت جهداً غير يسير في صياغة أسلوبه وتجميع أفكاره. خصوصاً وأن أعمالي كثيرة ولدي ما يشغلني، فأسفت كثيراً على تعبي في صياغة المقال. وحاولت عقابها فلم أستطع أن أعاقبها عقاباً بدنياً لأنني كما قلت أحبها،

والمحب لا يقسو على حبيبه بل يدلله ويداعبه ويرضيه.. ولكنني أيضاً لم أشأ أن أتركها هكذا دون عقاب. وحتى لا يتكرر منها هذا الفعل مرة أخرى قررت أن أرفع أمري وأمرها إلى الدكتور عبد العزيز النهاري رئيس تحرير جريدة البلاد حتى لا يؤاخذني على المقال الأسبوعي وبغية الإشارة علي بنوع العقاب الذي أتخذه ضدها..

إنها طفلتي مريم ابنة السبعة شهور..

---

٩ ـ ١١ ـ ١٤١١ هـ

وأذّن في الناس بالحج

الحمد لله الذي هدانا بهديه وأضاء لنا سبيل حياتنا بنهج قويم وكتاب لا يأتيه الباطل وشرع لنا من الدين ما وصّى به نوحاً والنبيين من بعده وصدق الله العظيم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].. ﴿وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وهذا التشريع الإلهي والتكليف الرباني لكل مسلم إنما هو اقتداء لأمر الله سبحانه ليعم الخير والهدى على بني الإنسان والاجتماع في صعيد واحد وفي زي واحد يفترشون الأرض ويلتحفون السماء اعترافاً وإيماناً وطاعة للواحد الديان لا تأخذهم الدنيا بزينتها وبهارجها، يتحللون من كل شغل وعمل إلا أن يكون توحيداً لله الواحد القهار، وهذا مثال ليوم الحشر الكبير الذي يجتمع فيه الناس لميقات يوم معلوم ويرى كل إنسان ما عمل حاضراً وكما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] ولا ينفع في ذلك اليوم ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩] فاللهم تقبل منا ومن عبادك عملهم الخالص لوجهك واغفر لنا ولهم، وبلّغنا باليقين ما نأمله فيك، واختم لنا بالصالحات أعمالنا يا عظيم.. يا خير من سئل وأعظم من أعطى، وصلى الله وسلّم على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

٨ ـ ١٢ ـ ١٤١١ هـ

مأزق ميثاق جامعة الدول العربية

إن أكبر مأزق تاريخي تركه ميثاق جامعة الدول العربية هو أن تكون قراراته شاملة النفاذ وملزمة بالإجماع وليس بالأغلبية. وكان من المفروض أن يكون القرار ملزماً بأغلبية حتى تستطيع الجامعة العربية أن تؤدي دوراً فعالاً على المستوى العربي والعالمي وتستطيع أن تمثل الشخصية الاعتبارية من خلال أعضائها في مواجهة أي قضية اختلافية طارئة أو هي محل نقاش وجدل يتطلب رأياً محدد الاتجاه قاطعاً في السلب والإيجاب.

وإن هذا المأزق لن يؤثر في المسار العربي على المدى القريب إنما سوف يكون مؤشراً لإعادة صياغة ميثاق جامعة الدول العربية في إطار يكفل لها الاحترام العالمي وتكون لها شخصية عربية مستقلة لها قوة التأثير في المجتمع الدولي، ذلك يتطلب بناء قوة عسكرية عربية موحدة ـ بعد إعداد دراسة مستفيضة تبحث في الكم والكيف ـ وأن يكون خضوعها مباشرة إلى أمين جامعة الدول العربية الذي يرشّحه أعضاء مجلس الجامعة بالإجماع ـ وأن تشمل الدراسة تخصص أمين مجلس الجامعة في تنفيذ القرارات أو التوصيات وما يليه من موافقة تخوله ممارسة تنفيذ القرارات الصادرة من الجامعة العربية بعد الموافقة والتصديق عليها من قبل أعضاء مجلس الجامعة.

وإن المرحلة لتؤكد ضرورة بناء جيش عربي موحد يخضع للجامعة العربية يشارك فيه جميع الدول الأعضاء بالجامعة تحدد اختصاصاته في منع وإزالة أي اعتداء غير مشروع من قبل أي دولة عربية على دولة عربية أو أي خصومة ربما يعتقد أنها سوف تؤدي إلى نشوب حرب. ولا يستطيع اتخاذ أي قرار من جانبه إلا بعد عرضه على أعضاء مجلس الجامعة وأخذ الموافقة عليه.. كذلك فإنه من الضروري تخصيص ميزانية عامة تدفع من جميع الدول الأعضاء في الجامعة العربية وتخصص منها بنود للصرف على النواحي العسكرية والإعانات المستديمة والطارئة.

ولا شك أن النقلة الجديدة التي سوف تخطوها جامعة الدول العربية وخصوصاً بعد أن اكتسبت حيويتها بالانتقال إلى جمهورية مصر العربية سوف تحمل المنتمين إليها والضالعين بمسؤولياتها إلى إعادة صياغة ميثاق الجامعة العربية في إطار الأهداف والمبادىء الأخلاقية الإنسانية التي أنشئت من أجلها ووفق معايير قانونية تضمن لها حرية الحركة الاعتبارية للشخصية العربية - في مواجهة أعضائها أو في مواجهة العالم الخارجي من حولها.

وإذا كان البعض يخشى من التأثير الحزبي على جدية القرارات ونفاذها فإنه وفقاً لضوابط قانونية رشيدة سوف لا يكون لأي من الدول الأعضاء الحق في الخروج أو المساس بتلك القرارات طالما أنها صادرة بالأغلبية ولا يعتدّ برفض أو امتناع عن التصويت لصالح أي قرار طالما اكتسب القرار الموافقة بالأغلبية. وإن مظاهر الانفلات العربي وأشكاله أصبحت واضحة المعالم والسمات في ظل أحداث الغزو العراقي لدولة الكويت ولو أنه من الصعب التكهن بما سيؤول إليه حال العالم العربي بعد حالة

التمزق العرقي الذي صنعه صدام حسين بأبناء الأمة العربية الأمر الذي لن يكون بعيداً على الله في سلخ بعض أعضاء الأمة العربية الفاسدة من بعض الزعامات الموتورة ـ الناقصة في الإدراك والوعي الوطني والقومي ليحل محلها قيادات تعرف كيف تسوس شعوبها بمنطق يلفظ الرعونة والانفعالات الوقتية في إطار من الخلق الإسلامي وترشيد النفوس إلى استلهام الحق والصواب ونبذ الباطل والعدوان.

قال الأخطل الصغير:

يا أمة غدت الذئاب تسوسها　　غرقت سفينتها فأين رئيسها

غرقت فليس هناك غير حطائمٍ　　يبكي مؤبنها ويضحك سوسها

١٤١٢ هـ

الصحف والصحافة المحلية

إنَّ كمَّ الصحف التي تصدر بمختلف مناطق مملكتنا الحبيبة يدل دلالة واضحة على الوعي والاستعداد الثقافي لدى المواطن في المتابعة للأحداث التي تطرأ على جميع بلاد العالم وفي الاطلاع على بعض المقالات الاجتماعية التي يستكتب لها نخبة طيبة من مثقفي الوطن الحبيب واستشعارهم بمسؤولياتهم الوطنية والإنسانية في إطار الخلق الإسلامي الكريم.

فالصحافة رسالة إنسانية سامية ومنبر ثقافي رفيع قبل أن تكون أسماء تنميقية أو تلميعية للكاتب.. وإذا ارتفع الكاتب عن الأنا وعن الأهواء.. ونظر إلى شمولية المعالجة للقضايا الإنسانية والاجتماعية بحس الإنسان الذي لا ينظر إلى التفاهات أو الانتقادات الذاتية وارتفع فنه وثقافته بمستوى الفكرة أو الرأي الذي هو بصدده كان ذلك دليلاً على عمق ثقافته.. واستعداده النفسي والفكري للطرح الجيد.. وهذا ما يختص بالكاتب.

أما بالنسبة للصحف كمحاولة لاجتذاب القارىء للاهتمام بما يطرح فيها فإن التطرق إلى مثل هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة جادة للبحث عن سلبيات العمل الصحفي التي ربما تثير نوعاً من السخرية أو الاستهجان في بعض الأحيان نظراً لمستوى الطرح الذي تتصدى له هذه الصحيفة أو تلك. وهناك من الصحف من لا يستطيع رئيسها بالضبط تحديد هوية مواده.. فهي تتغير

وتتبدل في الشكل والمضمون بما يثير الدهشة والغرابة. والاعتماد على منهج واحد ومجموعة واحدة أيضاً لا يتيح لأصحاب الأقلام الأخرى فرصة التعبير. وإن على رؤساء التحرير إعادة النظر في كثير مما ينشر وأن لا يخضعوا للأهواء وأن يفسح المجال لجميع الأقلام التي تحمل أفكاراً هادفة للوطن والمواطن في إطار لا يمس الأخلاقيات ولا الأشخاص إلا إذا كان نقداً موضوعياً يهدف إلى الإصلاح. ورئيس التحرير الناجح هو الذي يستطيع أن يزرع الثقة بين القراء والصحيفة. ولا ضير إذا كان في ذلك إعطاء مساحة أيضاً لغير المنتسبين إلى صحيفة ما.. أما ما يقال إن معاناة الصحف من قلة الموارد يشكل عقبة كؤوداً في سبيل تطويرها.. فهذا أيضاً موضوع مهم، ولكن إذا تم القيام بدراسة علمية وعملية وفي حدود الإمكانات المتاحة أمكن أيضاً الارتقاء بالصحيفة ورفع مستواها المادي، إذ إن الربح لا يتحقق إلا بتحقيق مستوى الأداء، والجودة، إذا قسنا ذلك على أن الصحيفة أيضاً معروض تجاري يفترض فيه المردود الربحي المادي حتى تستطيع الصحيفة تغطية مصروفاتها وإنفاقها.

● هذه خواطر سريعة سجلتها عن صحافتنا المحلية.. وهي خواطر مواطن ينشد لصحافته الارتقاء إلى المستوى اللائق.

---

١٣ - ١ - ١٤١٢ هـ

مناسبة ذكرى اليوم الوطني

إن مرحلة الأدب والأدباء في مملكتنا الغالية تشهد تحركاً تاريخياً يسجل لدولتنا السنية البانية في صفحات من ذهب فعبر الأزمنة والعصور ومنذ أن أسس المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود كانت النقلة الأدبية الواضحة المعالم واللامحدودة تنطلق لتفتح بذلك أفقاً واسعاً وعصراً جديداً يذيب كل ملامح التأخر الفكري وينطلق بالإنسان السعودي نحو بناء عقلي واعٍ ليدرك تقدم العالم من حوله ويواكب ذلك التقدم بل ويحدث الجديد فيه ليلفت نظر العالم للمملكة كدولة وشعب.

ولقد أخذ الأدب مرحلة الوجود الفعلي المدروس وأصبح يمثل وجوداً عالياً حقيقياً في ظل رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك المفتدى فهد بن عبد العزيز آل سعود أطال الله في عمره فهو المربي والموجه والأديب الذي لم يدخر وسعاً في سبيل تحقيق هذه الانطلاقة الواعدة المكينة لأبنائه الأدباء فارتسمت الخطوط العريضة لهذا العمل من مجمل الأعمال التي يوليها جلالته عنايته واهتمامه وتشجيعه للحوافز والجوائز للأدباء، وأنشئت الأندية وطبعت الكتب على حساب الدولة. والكثير الكثير من أعمال بناء قاعدة وجيل أدبي يحمل رسالة تاريخية في عهد تاريخي تمر به مملكتنا الغالية. وإنني لا أستغرب هذه القفزة الأدبية الهائلة لأنني أدرك مدى ثقافة وإطلاع خادم الحرمين

الشريفين واهتمامه الكبير بهذا الجانب الحيوي الهام لبناء جيل سعودي مثقف يقف شامخاً أمام العالم مدركاً لكل تطور وتقدم يعيشه العالم.

١٤١٣ هـ

المناهج والتربية

تأخذ النظريات العلمية الحديثة بمناهج عدة تتسم في معظمها بإيديولوجية لا تبتعد عن مظهر الإسقاط العلمي بشقيه النظري والتطبيقي.. وهو بحث جد عميق وشاقّ لو أردنا الدخول إليه لما فيه من اختلافات تنشأ من خلال النظريات التي عني بها علماء الغرب منذ زمن وقاموا بتطبيقها وتجريبها وما ثبت منها من سلبيات أدت إلى إذكاء روح البحث في خلق انعكاسات لتلك النظريات أدت إلى تطورها وفق منظور التجريب العملي، الأمر الذي يجعلنا نخلص إلى أن الغرب يصدر إلينا نظرياته من حيث بدا للجميع سلبياتها دون أن يكشف لنا مراحل تطور تلك النظريات.

وإذا كان مستوى فكر الطفل لدينا يشوبه شيء من القصور في إدراك الماهيات المحتملة لسن طفل من الأطفال فذلك نتيجة لما يتداخل في أسلوبية المناهج التي تُدرّس بشكل غير متنام. فالطفل لدينا يدرس مناهج أوسع من مستوى فهمه وغير جديرة بالالتفات في مثل هذه السن لما ينتج عنها من سلبيات قد تؤدي إلى الإحباط وتدفع به إلى الاقتناع فقط بالنجاح كوسيلة وليس كعلم مستقبلي يستفيد منه ويفيد.. إضافة إلى (اللا) التي دائماً وأبداً تفرض على الطفل العربي وإلى التقاليد التي تحد من حريته الفكرية وإلى استيعاب عقليته منذ الطفولة وحتى الكبر.. فينشأ

على الخجل وعلى الصمت وعلى عدم القدرة على التعبير. إضافة إلى ما يخططه الغرب لكي ينشأ الطفل العربي على هذا الشكل من الخنوع والغباء والإحباط حتى لا يخلق جيل في أمة العرب والإسلام يستطيع أن يواكب طموحاتهم وإبداعاتهم. وهذا لا شك وفي أسلوب بسيط وقصير هو أكبر العقبات التي تنال من أطفال الأمة العربية إلى أن يُقَيِّض الله للعقل العربي الحكمة والإلهام ليخرج من ضيق الفكرة إلى رحابة التجربة.

---

١ ـ ٤ ـ ١٤١٣ هـ

تعقيباً على سعادة الشيخ

أشار الأستاذ الدكتور عبد العزيز النهاري في مقاله المنشور بجريدة البلاد بتاريخ ١٠/٥/١٤١٣هـ إلى كلمة (شيخ) أو (الشيخ) التي أصبحت تطلق منذ فترة على كل من هب ودب ـ وأصبحت حقاً مكتسباً لذوي المال رغم أن هذه التسمية يجب أن توضع في محلها الصحيح.. ولمن يستحقها، فلا يصحّ أن نطلق هذه التسمية على طفل صغير.. أو أُمّيّ لا يقرأ ولا يكتب، كما أنها ليست إرثاً إلا إذا كانت اسماً أو لقباً، فالناس كما قيل مؤتمنون على أنسابهم. وفي سورة القصص في الآية (٢٢، ٢٣) ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ وهنا جاء المعنى على أنه لا يقدر أن يسقي لشيخوخته وكبر سنه.

ومعنى الشيخ في المعجم الوسيط «من أدرك الشيخوخة، وهي غالباً عند الخمسين، وهو فوق الكهل ودون الهرم»، وذو المكانة من علم أو فضل أو رياسة، وشيخ البلد من رجال الإدارة في القرية وهو دون العمدة. (ج) شيوخ وأشياخ.

(شاخ) الإنسان: شيخاً وشيخوخة: أسنّ، ويقال شاخ النبات: يبس جوفه وتليّف.

(شيخ): شاخ ـ وفلاناً: دعاه شيخاً و ـ عليه: عابه و ـ به: فضحه.

(تشيخ): تكلف الشيخوخة.

(الشياخ): الشيخوخة المبكرة تنشأ عن النمو غير السوي.

(الشياخة): منصب الشيخ وموضوع ممارسته سلطته.

ومثل هذه التسميات وغيرها ظواهر اجتماعية تظهر في أي أمة من الأمم لخلق امتيازات شخصية لا تلبث أن تكون حقاً مكتسباً للشخص وعائلته من بعده. والكتب التاريخية عن الأمم الغابرة تحفل بمؤلفات تتضمن مثل هذه التسميات في بعض الشرائع القديمة تتمثل في ظهور طبقات اجتماعية مختلفة كطبقة النبلاء، والأشراف، وغيرهم من الذين قننت لهم قوانين تعطيهم حق الامتياز على غيرهم من الطبقات الأخرى، كذلك طبقة الأحرار والطبقة الوسطى والأرقاء والموشكينو والإيماخو والكاهن. فكما هو معروف أن القوانين القديمة لم تسوّ بين الناس في الحقوق والواجبات وذلك نظراً لمراكزهم الاجتماعية ـ كما هو الحال في روما القديمة، وفي العصور الفرعونية الإقطاعية ومجتمع بلاد ما وراء النهرين ـ وبصفة عامة المجتمعات القديمة جميعها.

ولن نذهب بعيداً فالمجتمع الأوروبي كانت تحكمه الطبقية وتتخلله التسميات أو الألقاب المميزة للبعض دون الآخر.. فكانت طبقة النبلاء والدوق، والدوقة والمركيز والمركيزة ـ وما زالت بعض هذه الألقاب التشريفية في أوروبا مثل (السير) وهو السيد وهو أعلى من لقب (مستر) التي تطلق على العامة وهذا اللقب يتوارثه الإنجليز أباً عن جد ـ فدرج العرف على ذلك. والعرف في كثير من الشرائع يندرج في إطار القانون الذي يستمد تشريعاته أو بعضها منه نظراً لتطور المجتمعات ونُظُمها التي تحتاج إليها.

وإذا كانت المدنية والحضارة في مجملها تشكل رافداً أساسياً في تنمية البلاد وسعيها نحو الأفضل فلا شك أن ظهور بعض الصور الاجتماعية التي تدعو إلى التمايز هو لون من ألوان التنافس على تبوؤ المكانة العالية، ومن هنا تنشأ الطبقات والاختلافات الاجتماعية. ولو أننا نرى أن ذلك امتداد غير طبيعي على عكس الإسلام الذي ساوى بين الغني والفقير ـ والقوي والضعيف ـ والصغير والكبير ـ والمرأة والرجل، في الحقوق والواجبات حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وإنني أتفق كثيراً مع الأستاذ الدكتور عبد العزيز النهاري في أن تسمى الأشياء بأسمائها، والأشخاص بأسمائهم أو ما يحصلون عليه من تسميات علمية أو عملية أو ما تمنحه الدولة من ألقاب رسمية حسب النظام الوظيفي الذي يفرّق بين الرئيس والمرؤوس في العمل وليس في الحقوق الإنسانية أو الدينية أو العرقية، فكما قيل: كلكم لآدم وآدم من تراب.

وإن مجرد قبول هذه التسمية لشخص لم يتوافر فيه ما يجعله أهلاً لحمل هذه التسمية لا شك أنه يعبر عن نقص عقلاني لن يضفي عليه إلا السخرية أو الاستهجان من قبل العامة وخلق روح من البغضاء، إلا إذا كان عالماً من علماء المسلمين ولو أن كلمة عالم أكبر وأعظم من كلمة شيخ. يقول رسول الله ﷺ: العلماء ورثة الأنبياء، لبيان فضلهم وعلوّ قامتهم، وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. فمن أعظم ممن يصفهم الله ورسوله بالعلماء.. وهم الهداة على أرض الله والداعون إلى الله وإلى سبيله الذي أراده سبحانه وارتضاه لنبيه ﷺ والذين يقع على عاتقهم نشر دين الله في أنحاء المعمورة وتبصير أمة الإسلام بأمور دينهم ودنياهم؟

كذلك فقد كان يوسم بهذه الكلمة أصحاب المهن والعمد وخصوصاً في الحجاز.. وعلى غرار هذه التسمية أيضاً أصحاب المهن العلمية في وقتنا الحاضر ـ فيقال كبير الأطباء، وكبير المهندسين، والكبير هو الله وحده لا شريك له ـ ومن تواضع لله رفعه.

١٦ ـ ٥ ـ ١٤١٣ هـ

المقارنة الصعبة

في الأسبوع الماضي اعتديت على حق أبنائي في إجازتهم الأسبوعية بسبب إجابتي لدعوة حفل قران وحفل زواج في الليلة الأخرى مما جعلهم يشنون هجوماً ضارياً بالكلمات وقد رفعوا تظلمهم ـ ومطالبتهم بتعويض عما لحق بهم وجاء في خطاب الدعوى المرفوعة شفاهة:

١ ـ إننا طوال الأسبوع ونحن في شغل شاغل وجهد جهيد وكفاح مستمر ضد الكتب الدراسية المملوءة بمختلف العلوم (والتي لم تنظر إليها وزارة المعارف بالتخفيف والتبسيط: والأخذ بعين الاعتبار مدى الاستفادة العلمية والمستقبلية للمؤلفات الدراسية التي أصبحت تشكل عبئاً ثقيلاً ليس على عقولنا فقط وإنما على أجسامنا أيضاً لكثرة ما نحمله صباحاً ومساء من الكتب).

٢ ـ إن يومي الخميس والجمعة حق مكتسب لنا بموجب النظام الذي وضعته الدولة للتخفيف والترويح عن المواطن من عناء أسبوع كامل بقضاء بعض الرحلات إلى مدينة جدة أو الطائف ـ وقد استغليت هذا الوقت لمصلحتك الشخصية.

٣ ـ إن يومي الإجازة تلك تتطلب مصاريف نثرية ـ وقد مُنعت عنا بسبب عدم القيام بالرحلة.

لذلك فنحن نرفع دعوانا وتظلمنا إلى مجلس العائلة الذي ترأسه أنت لإنصافنا وإعطائنا حقوقنا المادية، والأدبية والمعنوية.

عند سماعي لخطاب الدعوى وجدت أن مطالبهم قانونية وحكمت على نفسي:

أولاً: ـ بالتعويض المالي وهو ما كان يفترض أن نصرفه للرحلة وقمت بدفعه لهم.

ثانياً: ـ التعويض الأدبي: فقمت بتقديم الاعتذار الكبير لهم.

ثالثاً: ـ التعويض المعنوي: عرضت عليهم أن نقوم برحلة قصيرة إلى الحي الذي ولد فيه والدهم ـ والذي ولد فيه أجدادهم وعشنا وترعرعنا فيه وهو حي (سوق الليل) بمكة المكرمة ـ فوافقوا على ذلك.

وبدأنا الرحلة من العزيزية إلى أجياد مروراً بنفق شعب علي ـ وحط بنا الترحال إلى حارتنا القديمة (سوق الليل) التي لم يبق منها سوى الأطلال وبعض من المباني القديمة المجددة ـ وترجلنا جميعاً عن السيارة وأخذنا نجوب تلك الحارة وقمت بالشرح لهم: كان منزل الأجداد يقع بجوار الدار التي قيل لنا إنها الدار التي ولد بها رسول الله ﷺ الواقعة أمام المسجد الحرام حالياً ـ وعندما نزعت الدولة السنية العقارات لصالح الشارع العام المؤدي إلى الغزة ـ كانت دارنا ضمن ما انتزع لتلك المصلحة.

وأخذتهم إلى الدار التي سكنّا فيها بعد ذلك وهي موجودة على حالها القديم وتبدو وكأنها موحشة لا يسكنها أحد، وأظن أن أصحابها يستغلونها بالإيجار في المواسم. وأخذتهم بعدها إلى الدار الأخرى التي استبدلناها للسكنى ولم تكن أحسن حالاً من سابقتها.. وقد أرجعتني تلك الذكريات إلى الماضي بكل بساطته وطيبته.. أما الأبناء فأصابهم شيء من الفزع وقالوا: (يا) الله كيف

كنتم تسكنون في هذه المنازل؟ واستطردوا: إنه شيء مخيف. نحن لا نستطيع أن نسكن في هذه المنازل والحمد لله أننا نعيش في عصر حضاري سخّرت موارده لرفاهيتنا.

قلت لهم كما قال الشاعر:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

صحيح أيها الأبناء أننا نعيش أزهى عصور حياتنا ولكن المدنية والرفاهية طغتا على كثير من المثاليات والعادات النبيلة، والترابط الاجتماعي الذي كنا ننعم به ـ لقد كان الحي يضج بالفرح النفسي والعوائل تعرف بعضها بعضاً ـ والجيران يتواصلون بالزيارات ويسأل الجار عن جاره ويقف إلى جواره في الفرح أو الترح، وكان الحي أشبه بأسرة واحدة تحكمها الأخلاقيات الطيبة، وكانت قوانين الحارة تنبع من إرث أخلاقي تعارف عليه الناس فاستمر حقبة من الزمان ـ أما اليوم فالتواصل أصبح مقطوعاً وكل يقول كما قال تعالى: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ وأصبح كل منا في شغل شاغل وهم غامر.. وسلوان فاتر.. لا نجد فيه اللذة ولا المتعة فقد طغت الماديات على كثير من المثاليات.

قالوا: ألا ترى النهضة العمرانية والمشاريع الضخمة؟ قلت: وهذه من نعم الله علينا، وينبغي أن نداوم عليها بالحمد والثناء لله الواحد الديان وأن نعود أيضاً إلى التراحم والحب فيما بيننا والتواصل، لقد فرقت الأيام بين الخلان بالفناء، فهل يتواصل الأحياء في البقاء الباقي ويحس بعضنا ببعض؟ (ولم يفهم الأبناء كثيراً مما عنيت) فقد أخذتهم الدهشة وراعهم كيف كنا نسكن في تلك المنازل ولكنهم استمتعوا بتلك الرحلة رغم ضحكهم واستغرابهم.

ونحن نرتحل عن حينا القديم كان يشدني الحنين وكان الأبناء هاجسهم الرحيل. وسألتهم ونحن في السيارة: هل تتمنون أن تعيشوا حياتنا وجيلنا وأخلاقياتنا؟ قالوا: مستحيل إلا أن نعيش أخلاقياتكم فهي أخلاقيات المسلم الذي يشد بعضه أزر بعض، ونتمنى أن تكون لغة الحب هي التواصل فيما بين الأصدقاء والأقارب والأحباء.. المبني على الطيبة والإحسان والصدق.

فدعوت الله لهم - (بأن يجعلهم خلفاً صالحاً).

وقال أحدهم: «إن المقارنة صعبة».

---

٧ - ٦ - ١٤١٣ هـ

الواجب الإعلامي

لم يعد خافياً على كل ذي لب وبصيرة الدسائس والمكائد التي يتعرض لها المسلمون في مختلف بقاع العالم.. والقصد هو التعتيم على رسالة الإسلام وإلقاء ظلال من الحجب على دين الله سبحانه ومحاولة تبديد الإسلام وقوته بكل الوسائل ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. وإن أعداء الإسلام وقد أتيحت لهم الفرصة.. يعلمون ما للإسلام من قوة وصولة.. وأنه دين البشر أجمعين لذلك فأخوف ما يخافون هو انتشار الإسلام ليعم بني الإسلام في كل أصقاع العالم وهذا ما سوف يتحقق بإذن الله.. وما الشعوب العربية إلا تلك الشعوب التي نزل القرآن على نبيها بلسان عربي فصيح وانتشرت دعوة محمد ﷺ من مكة المكرمة.. لتنير للناس عتمة الوقت.. وتحملهم إلى أمل المؤمن إلى الجنة التي وعد المتقين وللإجابة على السؤال.. المفروض من وسائل الإعلام العربية الخروج بالإنسان المسلم إلى عالم المعرفة ومحاولة إذكاء روح الثقافة في المواطن العربي.. وتنوير العقول لمعرفة الهدف البغيض الذي يسعى إليه أعداء الإسلام وأعداء العروبة.

إن الواقع العربي والإسلامي وما نعيشه من أحداث وما يكتنف أجواءنا من سحب سوداء لا شك أنها تشكل كثيراً من الألم الإنساني والاكتئاب النفسي. أما المقولة بمنع انتشار تلك

الأكاذيب والإشاعات فضرب من المستحيل.. ولكن يجب الإعداد لكيفية مواجهة تلك الأباطيل التي يتزعم تصديرها أعداء العرب والإسلام.. لتفريق وحدة الشعوب العربية والإسلامية ومحاولة زعزعة الثقة بين العربي وأخيه العربي وبين المسلم وأخيه المسلم.. حتى يسهل انقياده وتأثره بالأفكار الهدامة.. والإشاعات الملفقة والأكاذيب المختلفة.. ومحاولة التشكيك في بعضنا بعضاً حتى يخرجونا من دائرة الصواب العقلي إلى دائرة العدائية الهمجية، وبدل أن يكون عدونا هو الكفر والكفار والملاحدة نجد أنه قد نزغ الشيطان فيما بيننا ليأكل بعضنا بعضاً ويستعدي بعضنا بعضاً ويحتقر بعضنا بعضاً وبذلك تسود روح العدائية وتنتج نتاجاً هائلاً من البغض والتناحر والتدابر.. وتؤدي في النهاية إلى الهلاك لا سمح الله.

دور الإذاعات الإسلامية أن تسعى إلى الوصول إلى أذن كل مسلم في بلاد العالم.. وإلى كل فكر سويّ يستطيع التفريق بين الحق والباطل.. وإن سعي الدول إلى خلق قنوات إعلامية سواء تلفازية أو إذاعية هو عمل جد عظيم لكي تصل رسالة الإسلام وأهدافه إلى الناس كافة، ونستطيع فضح المخططات التي تسعى إلى محاولة هدم أمتنا العربية المسلمة وبثها إلى شعوب العالم التي سوف تؤيد بالمنطق السليم والكلمات الصادقة وسيكون لها الدور الكبير في تلمس قضايانا والوقوف إلى جانب الحق والمنطق والصدق يوماً من الأيام.

أما قضية رفع دعوى على ما تلفقه بعض الإذاعات فإن العالم أصبح يموج في ليل من الخطر المدلهم والذي يشكل بركاناً يوشك أن ينفجر إلا أن يتداركنا الله بعفوه ورحمته.. وكثير من دعاوانا أمام هيئة الأمم ومجلس الأمن.. لم تُجْدِ القناعة بإزالة

ليل الظلم ورفع المعاناة عن كواهل أمتنا العربية المسلمة.. فلا أظن أن رفع دعوى للقضاء في أي مكان سوف يكون له المردود المفروض والمطلوب ولكنه شيء من إضاعة الوقت. وعلينا أن نوطن أنفسنا على الصبر والتقوى امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ كذلك نعمل على المصارحة فيما بيننا وتجميع بقايا الحب المتناثر في أرجاء الوطن العربي لنستطيع أن نحتكم إلى فكر واعٍ.. ينطلق بأمة الإسلام والمسلمين من ضيق النظرة إلى رحابة الفكرة، يومها نقول إن الفكر العربي المسلم انطلق في كل اتجاه ليقول في كل المدائن والأمصار والأقطار والدول والممالك في عزمة الواثق وقوة المنتصر: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

---

٧ ـ ٣ ـ ١٤١٤ هـ

ثــلاث رســــائــل

يطيب لنا أن نتقدم بالتهنئة وخالص الدعاء إلى جميع وزرائنا الكرام على الثقة الملكية الغالية، وهذه ٣ رسائل موجهة إلى:

١ ـ معالي وزير المعارف المحترم:

نأمل في دراسة نقلة حضارية علمية معتمدة على النظريات التربوية الحديثة في تذليل كثير من المصاعب التي يتلقاها أبناؤنا الطلبة في مختلف مراحل دراستهم.

٢ ـ معالي وزير الصحة المحترم:

نأمل أن يكون عهدكم إضاءة جديدة نحو مستقبل صحي سليم في إعادة النظر في المباني الصحية الخاصة والمنافسة التي تتم على حساب المواطن والخسارة التي يتعرض لها أصحاب المنشآت الصحية الكبيرة التي أقيمت لتكون مركزاً صحياً بالفعل، وأن يتم منح التصاريح لإقامة مستشفيات على أساس دراسة ميدانية لواقع المنطقة ليكون الأداء في مستوى جيد يخدم الوطن والمواطنين بنزاهة وشرف، كما نأمل في استكمال دراسة التأمين الصحي ليطبّق على المواطنين كافة لخلق مجتمع صحي يساهم في نهضة حضارية لهذا الوطن الغالي.

٣ ـ الرئيس العام لتعليم البنات المحترم:

نأمل بكل تقدير القيام بجولة في مباني كليات البنات إذ ربما يجد معاليكم ما يستحق الشفقة على تلك المباني ومحاولة استبدال ما يمكن استبداله أو إصلاح ما يمكن إصلاحه.

وفق الله الجميع لخير البلاد والعباد والله من وراء القصد.

---

١٠ ـ ٤ ـ ١٤١٦ هـ

إليك ـ نايف

كان مثل الألق الضاحك في بكور الصباح.. تعلو محياه ابتسامة كابتسام الربيع للزهر. وقف شامخاً كنخلة ممتدة إلى أعالي الفضاء يتفيأ الناس ظلالها ويستمتعون بحلو جناها... انحنيت له.. فازدان بالخجل.. وقال: لا لا. وقفت إلى جواره، قرأني بلمحة فيها ذكاء خارق.. إنسان ليس من السهل أن تسبر أغوار حكمته وعلوّ ثقافته وجلال هيبته.. متواضع في غير تصنّع.. كبير في نفسه كريم في طبعه.. سألني.. فأجبته... أعادني بكريم لطفه وجميل صنيعه فرحة أشرقت في وجه الحياة تتناغم مع بشريات العطايا الجزال حينما تتفاعل مع النفس حباً صادقاً يقدّمه الكبير للصغير.. بحنوٍّ وعطف، وإن شئت قلت: بحنوّ الأبوة أو الأخوة وعطفها...

عقدت لساني الدهشة وأخذت بمعاقل فكري... ابتسم ثانية في خجل متواضع وكأنه لم يفعل شيئاً ولم يعط أي شيء، ثم ذهب في رعاية الله.. وأنا في دهشتي نسيت أن أشكره.. فتنبه قلبي إلى غفلة عقلي ولساني.. فدعا له بالصحة والعافية وعظيم الثواب. قلت: ما أروعه! وذهبت أنا بفرحتي.. وذهب هو بطيب الذكر وجميل الثناء.

---

١٩ ـ ٤ ـ ١٤١٦ هـ

الـدور الـريادي للمملكـة

إن المتابع للأحداث السياسية في العالم يعرف الدور الكبير الذي تلعبه المملكة العربية السعودية وتأثيرها الإيجابي في تحقيق التكامل الدولي الذي يسعى إلى خلق روح التعاون بين الدول في إطار الأخلاق والتعامل الإنساني.. وما من شك أن النظر إلى المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يمثل حقيقة التأثير الفعلي للكثير من القضايا العالمية التي تتماشى مع منطق الحق والعدل الدوليين بعيداً عن الصراعات السياسية التي لا تتفق مع قواعد الرشد السليم، لذلك نرى أن المملكة بقيادة الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله تمثل قاعدة ارتكاز تقوم على حكمة ملك قد خبر الأيام وألمَّ بمعضلات الأمور العالمية، وأثبت للعالم أجمع أن دور المملكة دور ينطلق من فكر يعي مسؤوليته تجاه المجتمع الدولي في تذليل المصاعب والعقبات العالمية من خلال التوجه الرشيد الذي يهدف إلى خير الإنسان، ولم يكن هذا الدور دوراًسياسياً هامشياً فقط وإنما هو دور فعال بما تقتضيه ظروف القضايا الدولية استشعاراً من المملكة بواجباتها الإسلامية والإنسانية. وليس أدل على ما قامت به المملكة تجاه أفغانستان، ولبنان، والقضية البوسنية، التي ساهمت المملكة فيها مادياً وسياسياً، وكان لقوة موقعها السياسي ذلك التحول في اتخاذ القرارات الدولية. كل ذلك لم يتحقق إلا من

خلال الثقة بأن حكومة خادم الحرمين الشريفين حكومة تزن الأمور السياسية بميزان العقل والحكمة الرشيدة، فاكتسبت موقعها المؤثر في ضمير العالم بعظيم الاحترام والتقدير بعيداً عن المهاترات غير المسؤولة أو الضجيج الإعلامي الذي لا يقوم على الصدق. وإن على الوطن والمواطن أن يفخرا بقائد هذه البلاد الذي جعل لاسم السعودية والمواطن السعودي احتراماً كبيراً على المستويات كافة وفي جميع بلاد العالم، وذلك يجعلنا نضرع إلى الله بأن يحفظ علينا ديننا وأمننا في ظل القيادة الحكيمة لراعي نهضتنا الملك المفتدى فهد بن عبد العزيز حفظه الله.

وقفة.. (للمتنبي):

لئن تركن ضميراً عن ميامننا　　ليحدثن لمن ودعتهم ندم

---

١١ ـ ٦ ـ ١٤١٦ هـ

صندوق الأديب الخيري أو صندوق رعاية الأديب

الأدب هو المنبر العالي الذي ولا شك يحظى باهتمام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حينما رفع من قدره بعطائه السخي وتشجيعه الكبير بتقديم جوائز الدولة التقديرية لعدد من أرباب الفكر والأدب الذين قضوا جُلَّ عمرهم في بناء نهضة الوطن الأدبية وساهموا في إيجاد قاعدة ثقافية جيدة للتنوير والمشاركة في الشعور القومي بتجسيد المعاني الإنسانية في إطار الحب والأخلاقيات الإسلامية.

والأديب السعودي الذي يقف مع الكلمة الهادفة النبيلة والفكرة التي تترسم منطلقات الإبداع وصنع الثقافة الإسلامية الواعية والتي تقوم على البصيرة في ظل الحضارة التي يشهدها الوطن الغالي والتي هي ثمرة فكر وثاب إنما ينهض به مولانا خادم الحرمين الشريفين.. فيستقي أدباء هذا الوطن من إلهامه البديع وارتفاعه بما حملته مسيرة خادم الحرمين الشريفين رعاه الله من غايات سامية خطت بالوطن وأبنائه خطوات يصعب معها المقارنة بين الماضي والحاضر.. لما نلحظه بين اليوم والآخر من تطور مذهل نقابله بالشكر والثناء لله أولاً ثم لراعي هذه النهضة المباركة إن شاء الله..

ومن هذه المنطلقات كان لا بد للأديب والمفكر أن يتفاعل مع مقتضيات تلك النهضة وموجباتها.. وأن يجعل من قلمه لسان

صدق في الآخرين ليروي للأجيال القادمة كيف تكونت ونمت هذه الحضارة التي نعيشها وننعم منها برفاه العيش وجليل العمل.. وحين أعطى المليك المفتدى للأدب والفكر قيمة رفيعة فإن ذلك لم يأت من فراغ وإنما كان ذلك حصيلة ثقافة عالية وفكر يضيء في كل الاتجاهات مستشعراً بقيمة الحياة وإنسانها المعاصر.

فقد أولى حفظه الله أمانة الأدب والأدباء لرجل من رجالات الوطن العزيز عرف بخلقه الجم وفكره الخلاق فوضعت الأمانة في مكانها الطبيعي واستشهدنا بما قاله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ وهو أميرنا الشاب فيصل بن فهد ابن عبد العزيز الذي ينتسب إليه جميع أدباء ومفكري هذا الوطن ويعرفون قدره في نفوسهم، وقدرته في تحقيق آمالهم..

ولقد عرفت في شخصية سموه الفذة كيف يتعامل مع محترفي القلم وعشاق الكلمة في أي طرح جاد وبناء يخدم الوطن وأبناءه الأوفياء لقيادتهم... وكنت قد تقدمت باقتراح فكرة إنشاء صندوق خيري للأديب، وتلا ذلك اجتماعَ لهذا الغرض بالمنطقة الشرقية. وكان الاجتماع الذي حضره رؤساء الأندية الأدبية بالوطن الحبيب قد ناقش فكرة صندوق رعاية الأديب.. وقد نشر عن ذلك في جريدة عكاظ. ومن واقع النبالة التي يتسامى بها أميرنا الشاب فيصل بن فهد بن عبد العزيز فإني أرفع إليه أن الأديب الذي يدين بِولائه لهذا الوطن واعتزازه بقيادته يتلمس إنشاء مثل هذا الصندوق لما له من أثر فعال على حياة الأدب والأدباء في كثير من شؤون حياة الأديب. وإذا ما تمت دراسة هذا العمل على ضوء توجيهات سموه الكريم التي تنبع من إنسانيته التي شملت الكثير من الأعمال الخيرة التي لا زالت تتحدث باسم سموه.. وإذا انطلقت موافقة سموه على هذه الفكرة وفق لوائح ونظم

تهدف إلى إقامة هذا الصندوق على غرار الجمعيات الخيرية.. فإنه ولا شك سيشارك الأدباء أنفسهم والموسرين من أبناء هذا الوطن في تدعيم هذا العمل الإنساني تقديراً لدور الأديب الذي يشتعل ليل نهار لكي يضيء لمن حوله مشاعل من وحي الفضيلة ونبذ الرذيلة.. صوراً ترسمها الكلمات من وقائع الحياة، كما أن الدولة رعاها الله سوف لا تدخر وسعاً في تدعيم ذلك الصندوق طالما أنه يساعد أدباء هذا الوطن على قضاء حوائجهم المعاشية أو رفع معاناتهم الطارئة من مرض أو شيخوخة أو حوادث ربما تجعلهم في شديد الحاجة إلى مد يد العون والمساعدة فَيَفي الصندوق باحتياجاتهم ويساهم في إهداء الفرحة إلى قلوبهم.

إننا نأمل من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد ابن عبد العزيز رعاه الله أن تنال هذه الفكرة رعاية سموه الكريم الشخصية ونتطلع بآمال المحبين لسموه الكريم أن ننعم من كريم رفده وجزيل عطاياه التي تهمي على أبناء شعبه لتكون صفحة تاريخية أخرى من مبادرات سموه الكريم وإنه على ذلك لقدير بإذن الله وحسن توفيقه ودعاء إلى الله جل وعلا أن يسدد على طريق الخير مقاله وفعاله.

---

٣ ـ ٧ ـ ١٤١٢ هـ

القنـــوات الفضائـــية

القنوات الفضائية في مجملها تعبر عن نقلة حضارية واسعة في مجتمعاتنا العربية.. ونرى في أكثرها ما يؤدي إلى الاستفادة العلمية والأدبية، ويجدد بناء الفكر الإنساني إضافة إلى ارتباط العالم بعضه ببعض عبر هذه القنوات بهذا النقل السريع لأخبار العالم. والملاحظ أنه بقدر حداثة هذه القنوات تبدو المواضيع التي تبث منها تمثّل كماً هائلاً، إلا ما ندر من برامج سخيفة أو وضيعة مثل القنوات المخصصة للغناء وما يسمونه اليوم (فيديو كليب)، فهذا منتهى الانحراف الذوقي والفني.. فقد كان الفن يمثل قيمة حضارية وتراثاً أصيلاً يعبر عن واقع البلد وأهله وينقل واقعاً لأمة من الأمم.. وكنا نود أن يكون التطور الفني في الغناء بما يتفق والذوق السليم، وإذا بنا نصاب بشيء من الغثيان لهذا الكم الهائل من الأغاني والأسماء غير المعروفة وأصبح الحابل مختلطاً بالنابل، وراح كل من تسوِّل له نفسه أنه فنان يجد أنه ليس عليه إلا الذهاب إلى إحدى القنوات محمّلاً بشريط تم تسجيله من ذلك (الفيديو كليب)، وبين عشية وضحاها يصبح من ليس له عمل فناناً.. وينسى أن الفن موهبة وإبداع لا تعطى لمن هب ودب.. ونسي هؤلاء الشباب من الفنانين أنهم قد شتوا أذهاننا بالصور المتحركة مثل أفلام الكرتون ويددوا الذوق السليم وضيعوا أوقاتنا بكلام سقيم لا يمتّ إلى الشعر بصلة سواء منه

الفصيح أو حتى الغنائي المتعوّدَ عليه، وإنما هو هراء وشيء يدعو للبكاء.

وقد يتسبب هذا بتدمير الأغنية العربية وعزوف أصحاب الذوق السليم عن سماع مثل هذه الأصوات التي يعتبر نقيق الضفادع أفضل منها.

وأكثر ما يدعو إلى العجب كثرة تلك البرامج الثقافية والأدبية والدينية التي تبث من أكثر من قناة.. فيجب على المسؤولين بتلك القنوات إعادة تقييم مثل تلك البرامج، ونبذ ما لا يتفق مع عاداتنا وتقاليدنا وأذواقنا، فنحن لا زلنا، وسنظل، ذلك المجتمع العربي الذي يتحدّر من أصلاب أبناء هذه الصحراء.. فلنتطور ولكن بما لا يخدش الذوق أو الحياء.

١٨ ـ ٧ ـ ١٤١٦ هـ

الشباب والجريمة

الفرق كبير بين سن الشباب وسن النضوج.. ففي سن الشباب تندفع العواطف وتفور الغرائز بشكل تضيع معه الحكمة في كثير من الأحيان وأمام بعض السلوكيات.

وكثيرٌ من مشاكل الشباب هو نتائج غير طبيعية إذا أخذت هذه المشاكل شكل الاستعداد الانفعالي في ارتكاب الخطأ، والمحصلة الأخيرة نشوء فرد من أفراد المجتمع لا يتلاءم في إمكاناته العقلية مع نوازع الخير والفضيلة، ويصاب بشيء من الخروج على عادات المجتمع وتقاليده فلا يقبله المجتمع ويعتبره شخصاً شاذاً في نظره يجب إصلاحه حتى يصبح عضواً صالحاً يتعامل حسب طبيعة الأشياء بما يمجد الأخلاق والفضيلة. ومما لا شك فيه أنه لا يخلو مجتمع ما من بعض الشواذ الذين ساهمت في خلقهم الظروف الفطرية أو الاكتسابية.. فإذا كانت الدوافع فطرية فهنا يكون الداء العضال. إذ إن ذلك مردّه إلى الأجنّة الوراثية التي تترك في الشخص استعداداً إجرامياً ربما يقود إلى شذوذه وخروجه عن عادات مجتمعه وتقاليده بالإساءة إليه، ونبذ ذلك المجتمع واستهجانه لتلك السلوكيات. وهنا يتطلب الوضع نوعاً من العلاج ربما يؤدي إلى عقوبة سالبة للحرية لأنه في عرف المنظرين يعتبر فرداً شاذاً يجب إصلاحه.

أما الجانب الآخر فهو الجريمة بالاكتساب.. وهذا ما يعاني منه أكثر المجتمعات المتحضرة وغير المتحضرة فهي نتاج حتمي لعوامل الإهمال في تربية الشاب ومراقبة سلوكياته وتركه يخالط رفقاء السوء وعدم إشغال وقته بالهادف والمفيد. وهذه قضية تحتاج إلى إعادة نظر بالنسبة لكل رب أسرة وكل مؤسسة تعليمية في تربية النشء. وأمام تلك المتغيرات العالمية السريعة يجب إعادة النظر أكثر من مرة في الحفاظ على هذه الثروة الإنسانية ألا وهي تربية النشء تربية إسلامية صحيحة بعيداً عن كل مبتذل ورخيص لأن هؤلاء الشباب هم أغلى مكتسبات الأوطان، هدانا الله وإياهم سواء السبيل.

---

٢٥ ـ ٧ ـ ١٤١٦ هـ

الجمعيات الخيرية

تزخر المملكة ولله الحمد بالجمعيات الخيرية التي تدعمها حكومة خادم الحرمين الشريفين وتدعمها أريحية أبناء هذا الوطن الكريم. ولا شك أن مثل هذه الجمعيات تدل دلالة كبيرة على مستوى الوعي الإنساني الذي يساهم في بناء الفرد في مجتمعنا الإسلامي ويحقق الكثير من متطلبات الحياة الملحة والضرورية... وقد رأينا كيف أن كثيراً من مشاريع تلك الجمعيات آتت أكلها وساهمت إلى حد كبير مع ما تقدمه الدولة في خير الوطن والمواطنين... ولكن الملاحظ أن هذه الجمعيات متعددة الأغراض، منها جمعيات خيرية وجمعيات للزواج الخيري.. وجمعيات لتوزيع الأطعمة، وغير ذلك، وبودي لو تدرس الجهة المختصة بوزارة العمل والعمال والشؤون الاجتماعية فكرة توحيد هذه الجمعيات في مسمى واحد.. وأن يتم اختيار مجموعة ممن تتوفر فيهم سمات الخير والصلاح وهم كثر لرئاستها في كل بلد.. وتضم بعض الأعضاء ممن يحبون المشاركة في أعمال الخير.. وأن يقنن لها نظام يؤدي إلى استدامتها عبر بعض المشاريع التجارية التي تدرّ على بعض الأسر كل بحسب حاجته مرتبات شهرية لتلك الأسر تقيها مذلة الحاجة والمسألة.

---

٩ ـ ٨ ـ ١٤١٦ هـ

الوزراء والمرحلة

نزول الوزراء إلى القاعدة الشعبية وعقد مؤتمرات في كل مناطق المملكة يعبر عن صحة التوجه الحضاري الذي تسعى إليه حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، وهذه ظاهرة تسترعي الانتباه بحيث أصبح المواطن يشارك أيضاً فيما يعود بالنفع لصالح الوطن من خلال المناقشات البناءة التي تتم بين الوزير والمواطنين كل في مجال اختصاصه. هذا يؤكد حقيقة الوعي المتنامي بين القيادة والشعب لتمثيل الكيان الواحد والجسم الواحد لبنية هذه المملكة الفتية.

ولا شك أن حرص مولاي خادم الحرمين حفظه الله في التواصل الذي يهدف إلى رفاه المواطن وخدمته يأتي في مقدمة اهتماماته، الأمر الذي استشعره هؤلاء الوزراء الكرام، فقاموا بمثل هذه المبادرات الحية النابضة بحرارة الوقت والإمكانيات والعمل، لخلق جيل يضع نصب عينيه الأخذ بمعايير الحضارة وفق تخطيط علمي مدروس تدعمه مثل هذه المؤتمرات للأخذ بالآراء المفيدة للمحافظة على تلك المكتسبات التي تحققت بتكاليف باهظة وعقليات واعية جعلت هذا الوطن في مصافّ الدول المتقدمة. وهذه ظاهرة صحية نأمل أن تمارس من قبل وزرائنا الكرام على شكل دوري، وليس بشكل عفوي، للنظر في القضايا المطروحة حسب الاختصاص، والتي يحس المواطن أنه يحتاج إلى ما يروي

تطلعاته من خلال الوزراء في كل وزارة لمتابعة مراحل التطور الذي يعيشه وطننا الغالي التي تهدف إليه قيادتنا الغالية.

ما دعاني إلى هذا الطرح هو قيام معالي وزير التجارة الأستاذ أسامة جعفر فقيه بعقد ذلك المؤتمر في رحاب أم القرى الطاهرة قبل فترة بتاريخ ١٤١٧/٨/١هـ. وما شدني هو صراحة معاليه ولماحيته وذكاؤه وعلمه وهي الصفات التي تؤكد حقيقة الثقة السامية في وزرائنا الكرام... والله يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه.

---

١٦ ـ ٨ ـ ١٤١٦ هـ

توظيف الشباب السعودي

حقيقة إن الشباب السعودي شباب مؤهل علميًا يستطيع بشيء من الخبرة والتجارب أن يشارك في بناء وطنه في مختلف الاتجاهات حسب التخصص النوعي.. وإن الندوة التي أقيمت لتحديد ضوابط ومعايير تنظيمية وما نجم عنها من توصيات ليست بعيدة عن فكرة أي رب عمل خاص وهي تعتبر أن توظيف الشاب السعودي مكسب لا يعادله شيء.. وهو أيضاً واجب وطني يمليه الضمير الحي الصادق في حب بلاده والمشاركة في مجالات النهضة التي تشهدها مملكتنا الحبيبة.

ولكن مثل هذه الظاهرة تحتاج أولاً ـ إلى تقييم.. ثم إلى دراسة نظام يكفل حق رب العمل من النواحي الانضباطية. ثالثاً ـ تقدير نسبي بين المؤهل والعمل المتاح بالقطاع الخاص. رابعاً ـ النظرة.. إلى المرتبات التي يطالب بها الشاب السعودي.. والتي لا تتيسر مع حجم الإنفاق والمصروفات أو مستوى الدخل الذي يشكل في بعض مشاريع الخدمات نسبة خسارة قد يتجاوزها بعض أرباب العمل بالاقتراض من البنوك في بعض الأحيان والظروف ومن واقع التعامل مع السوق. وأنا هنا أتحدث عن المشاريع الخاصة في قطاعات الخدمات ومن واقع تخصصي في هذا المجال لأن هناك بعضاً من المشاريع التجارية تمثل ربحية لرب العمل ولا تعرضه لخسارة مثل شركات السيارات أو شركات

الزيوت أو استيراد الأغذية بكل أنواعها فهذه جميعها تمثل سلعاً محددة السعر ونسبة الربح.. وهذه عمليات تخضع للعرض والطلب. أما بالنسبة لقطاعات الخدمات.. فإن لها من المشاكل ما يجعلها تسير وفق حذر شديد ومنظور إداري ضيق لا يجب التوسع فيه وإلا تعرض المشروع للخسارة، وهذا لا يمنع من إحلال الشاب السعودي المؤهل محل الموظف المستقدم بل هو الطريق الأمثل لأرباب العمل أن يقوموا به.

وأقترح أن تقوم وزارة العمل بعمل دراسة ميدانية لمشاريع القطاع الخاص بالمملكة كافة.. ضمن استبيان من خلال مكاتبها وفروعها، ومعرفة التخصصات التي يشغلها الأجانب في جميع القطاعات الخاصة.. ومرتباتهم التي يتقاضونها.. ومن ثم التعامل على ضوء حجم دخل المؤسسة وإنفاقها.. ومجالات التخصص النوعي الذي تطلبه المؤسسة والموجود الحالي من التخصصات المتوفرة والتي ربما لو تركت لأحدثت بطالة مقنعة لا سمح الله.

كما أن على وزارة العمل والعمال حماية رب العمل.. فمجمل النظام المعمول به في المملكة يخدم العامل أو الموظف أكثر من حماية رب العمل. وهذا منظور مهم يجب التعامل معه بموضوعية وحذر حتى لا يخلق شيئاً من عدم القناعة والاحتجاج وكثرة المشاكل وتلمس الأسباب لمضايقة العامل أو الموظف حتى يقدم استقالته. ومن خلال التجربة فإن البعض من شبابنا يحب أن ينتظم في عمل حكومي أو شركات حكومية، وفي النادر تجده يرغب في العمل في القطاع الخاص.. وإذا اقتنع وتم التعاقد معه تجده في أغلب الأحيان غير منضبط نظاميًا ويعتبر أي توجيه إليه أو تكليف امتهاناً لإنسانيته.. وقد يقول البعض إنها رؤية خاطئة ولكنني أقول ذلك من خلال التجربة والتعامل وليس

انتقاصاً من كفاءة الشباب السعودي أو جديته نحو العمل المخلص، ولكني أطبقها على القلة غير الفاعلة والتي تود أن تؤكد أن القطاع الخاص يرفض توظيف السعوديين. وعلى العكس، يتمنى القطاع الخاص توظيف السعودي بل ويشرّفه ذلك إذا التزم بضوابط العمل من الناحية التنظيمية والعملية.. وإذا أراد فعلاً أن يكون القدوة.. ورغب في العيش الكريم..

وإذا أخذنا جانباً من جوانب التخصصات التي يطلبها القطاع الخاص نجد أن تحقيق ذلك ليس في الإمكان نظراً لندرة التخصص أو قلته حتى إن بعضاً من القطاعات الحكومية يستقدم الكوادر المتخصصة في بعض مجالات التقنية الحديثة.. وهذا أيضاً من الظواهر السلبية التي يتعرض لها القطاع الخاص.

كما يجب الأخذ بعين الاعتبار أن بعض القطاعات الخاصة مرتبط مع الدولة بقروض واجبة السداد في حينه ومن خلال جدول زمني يشعر رب العمل بمسؤولية مستمرة تجاه الوفاء بالتزاماته وأن يتمشى وحدود طاقاته وإمكانياته حتى يحافظ على سمعته وعلى تطور أعماله إلى الأفضل والأحسن لتؤدي مهمتها الوطنية والإنسانية بغية تحقيق ربحية معقولة..

كل ذلك يتطلب أن تؤسس خطة عمل تكون موزعة على مراحل زمنية حتى نستطيع الاستغناء عن العمالة الوافدة التي أرى أنه حتى القطاع الحكومي لم يتحلل منها إلى الآن نظراً كما أسلفنا إما إلى الندرة أو إلى عدم الاستطاعة لسد جميع العجز في بعض التخصصات وخاصة التقنية أو الطبية.

ونجاح التواؤم بين رجال الأعمال والموظفين أو العمالة السعودية لا يؤدي ثماره بغير اشتراك وزارة العمل والعمال في خلق روح الإحساس بالمواطنة بين رب العمل والعامل،

وبالعكس. كما يُعد إيجاد المتخصصين الإداريين في فروع مكاتب العمل والتي تكون مؤهلة أحسن تأهيل ضرورة ملحة لخلق أرضية جيدة لمشاركة العمالة السعودية.. فبعض الإداريين بمكاتب العمل ينظرون إلى رب العمل وشهرته أكثر مما ينظرون إلى حجم مصروفاته وقلة دخله وحقيقة أعماله الوطنية التي تساهم في المشاركة مع المرحلة النهضوية التي تشهدها مملكتنا الفتية بقيادة خادم الحرمين الشريفين.

أقول أخيراً إن صنع القرار يتطلب التمعن والتعمق في النظرة الحالية والمستقبلية، والنظرة يجب أن تكون في رجل الأعمال من خلال تقديمه لأعمال وطنية وإنسانية نافعة وليس بالنظر إلى شخصه أو ما ميزه الله بميزات هي منح من عند الواحد الوهاب وحده..

وإذا ما تم الأخذ بعين الاعتبار جميع السبل والوسائل التي تحقق التلاؤم بين رب العمل والموظف أو العامل فإن الهدف الوطني سوف يحقق أهدافه بالكلية.. ويقدم كل منا جهده ووقته وماله في سبيل عمل منظم ومحقق لأهداف السعي الحثيث نحو موارد الحياة وتحقيق الرفاهية لتشمل رب العمل والموظف أو العامل بالمعنى البسيط.. ويؤدي كل دوره المناط به دون إخلال بالنظم والقواعد والأعراف السائدة.. وبالله التوفيق.

---

٥ ـ ٢ ـ ١٤١٧ هـ

أول الغيث شركة جدة

تتحاور الأفكار وتتسابق الأنظار في منطقة مكة المكرمة وما حولها لسبر أغوار أميرنا عبد المجيد بن عبد العزيز.. كل يصدر حكمه وانطباعه من خلال النشاط الذي يلمحه الناس في جميع ما يهم الوطن والمواطن، وتجمع الآراء على أن الأمير عبد المجيد قدرة متنامية لا تعرف الكلل ولا الملل ما شاء الله، وقيمة إنسانية تتعامل بروح الزمن الحضاري الذي يوكل الآمال والأعمال إلى الفكر الذي يخضع كل شيء إلى الدراسة والبحث المتواصل وخصخصة الأعمال المناطة بالعاملين والنقاش الموضوعي الذي يميزه العمل بروح الفريق الواحد.. وقبل الحيرة والتخرّصات التي اعتملت في النفوس وفي خلال مدة زمنية قصيرة حمل إلينا الأمير عبد المجيد نبأ إنشاء شركة جدة القابضة للتطوير وأعلن سموه شخصياً أسماء عشرين مؤسساً من خيرة رجال الأعمال وتمت الاجتماعات المتوالية رغم كثرة مسؤوليات سموه الكريم خصوصاً وأن موسم الحج كان على الأبواب وجميع أجهزة الدولة كانت في استنفار بجميع طاقاتها لتحقيق راحة ورفاهية الحجاج. ولقد صفت النوايا الطيبة بنجاح حج هذا العام ومثَّل ذلك مفخرة واعتزازاً بقيادة هذا الوطن وحكمتهم واعتمادهم على الله سبحانه وتعالى فأشرق الوطن قادة وشعباً متهللين بالدعاء لله بالحمد والشكر على كون حج هذا العام متميزاً بكل المقاييس

رغم إني كنت مسافراً ولم أكن حاضراً المسجد الحرام في فترة الحج، ولكنني سمعت الذي أبهجني.. فالحمد لله من قبل ومن بعد..

والذين يتطلعون إلى مشاريع أم القرى وما يعتمل في فكر الأمير عبد المجيد عليهم أن يستبشروا خيراً حيث قال سموه الكريم: إن مكة في قلوبنا. لن نتوانى عن تقديم كل ما من شأنه تقديم أرقى الخدمات والمشاريع التطويرية التي تقدم لمسات من الجمال الإبداعي بما يتلاءم وقدسية البيت الحرام.

ومن خلال نظرتي المتواضعة أرى أن الأمير عبد المجيد يحمل أفكاراً غير عادية، ففي خلال مدة وجيزة بدأ الحماس والنشاط يتفاعل في النفوس لدى كل مسؤول ومواطن.

فالمسؤول يتلمس مواطن ضعفه وسلبيات عمله ليكون المثل الأعلى في تنفيذ النظام وتمثيل العصر الذي يعيشه بروح من الصدق والبعد عن الذاتية المقيتة أو النفسيات المريضة التي تتصاغر الآمال لديها فترى أن القدرة في الانتقام.

ورجال الأعمال يتواثبون لتحقيق الآمال الوطنية والتجارية وخلق روح من العمل الذي لا يخضع للأهواء بقدر ما يخضع للدرس والبحث والتجربة، وهذا المنطق العلمي الذي ننشده وينشده كل من يعيش عصر المتغيرات الحضارية، خصوصاً وأن أصوات العولمة تدق أجراسها لمن يكون مستعداً لها. ونحن لن ينقصنا الفكر الذي يعدنا للدخول إلى هذا العالم وتجنب سلبياته والأخذ بمعطياته التي تحقق حضارة الوطن ورقيّه في ظل الدين الإسلامي الحنيف وتحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

إن نظرتي الخاصة أن الأمير عبد المجيد حفظه الله سيحول المنطقة إلى (خلية نحل) فالبعض يود أن يعمل وسيجد العمل إن شاء الله.

والكل يريد أن يكسب وسيتحقق ذلك من خلال المشاريع التنموية التي تسعى إلى تحريك البنوك والأموال المجمدة بها من خلال توجهات الدولة المستقبلية.

فالاستثمار في المملكة أجدى من الاستثمار خارجها وذلك لسبب مهم وهو نعمة الأمن والأمان التي ننعم بها بفضل الله، وهذا يجعل رأس المال يتدفق باطمئنان ويسير في شرايين الاقتصاد الوطني والأجنبي بروح من التكامل الاقتصادي عبر قنوات توظيف رؤوس الأموال الأجنبية والقروض البنكية الإسلامية في تحريك الجانب الاستثماري في المملكة.. وسبب آخر أن المملكة إلى هذا التاريخ لم تفرض ضرائب كالتي تفرضها بقية الدول على المستثمرين أو المقيمين أو المواطنين وهذا أيضاً جانب مشجع لدخول المستثمر الأجنبي وفق معايير نظامية وقانونية تقننها الدولة.

وأخيراً:

لا يمكن أن نقول إلا أن بلادنا مقبلة على خير إن شاء الله.. فإذا صحت النيات صدقت العزائم وصار الصخر ورداً وتفجرت عيون الأرض ماء تشرق به الأرض وتتعطر به الربى، ولن تبخسنا الأعيان والأجيال حقنا بعد ذلك لأننا عملنا لنخطىء ونصيب.

فاللهم وفّق الجميع لما تحب وترضى إنك على كل شيء قدير، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

٢٨ - ١٢ - ١٤٢٠ هـ



الباب الثاني

آراء أدبية ونقدية



شاعران من شعراء مكة المكرمة

حسين عرب ـ حسين سرحان

ونحن في خضمّ هذه الساحة الأدبية في الوطن الغالي وما ترتفع به أو تنخفض به هذه الساحة من إبداعات شعرية لبعض الشعراء الذين يعيشون على تراب هذا الوطن الكبير العزيز يستشعرون بقيمة الفن الرفيع، يعكف شاعران كبيران من شعراء المملكة في عزلة ارتضياها لنفسيهما بعيداً عن صخب الجدل وعقم المناجاة في عالم أصبحت قيمة الفكر فيه بقدر احترام الأديب لنفسه وأدبه وفنه.. وبعده عن السفاسف والابتذال.. هما الأديبان الكبيران الأستاذان حسين عرب وحسين سرحان..

١ ـ **يمثل الأستاذ حسين عرب** قيمة فكرية وأدبية كبيرة فهو كما قيل الآخذ من كل علم بطرف، فأنت تجده في المجالات الثقافية والفقهية والفلسفية والرياضية تجتمع لديه صفة العالم والأديب.. وقد عنى فيما عنى الأستاذ الكبير العالم الشاعر أحمد الشامي أن لفظة أديب لم تكن تطلق في السابق إلا على من أخذ من كل علم سواء كان في الفقه أو الفلسفة أو في الشعر أو الثقافة العامة على أن يكون ملماً مستقصياً لكثير من فنون الأدب ومجالاته وضروبه، وليست كما نطلقها اليوم على كل من تميز بخصوصية منفردة في واحد من الفنون أو علم من العلوم.. وأرى أن الأستاذ حسين عرب ـ حفظه الله ـ حجة فيما يسأل عنه وأن

أقرانه يعترفون أنه الضليع المتمكن الدارس الباحث وهو ملم بالكثير من العلوم البلاغية ـ وعلوم اللغة ـ والعلوم الفقهية ـ والثقافة الأجنبية. هذا ما سمعته من المغفور له الأستاذ عبد القدوس الأنصاري والأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ـ حفظه الله ـ والأستاذ حسين سرحان.

وأكثر ما يتميز به معاليه إضافة إلى سعة أفقه وعلمه اتزانه فيما يقول ويذهب إليه وصمته عما يشين.. فلا يعرض القول إلا لماماً ـ يلفّه تواضع جمّ، وحياء المسلم الذي يُعرض عن الجاهلين.. كما قال الشاعر:

يُغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يُكلَّم إلا حين يبتسم

وعندما خصني معاليه ممن خصهم بإهداء مجموعته الشعرية، قبل سنوات لم أتجرأ أن أمسك بالقلم لكي أعبر حتى مجرد التعبير بالإعجاب والإكبار لهذا الشعر إلا بعد أن تمثلت قناعات تخرج عن إطار الدراسة لهذا الشاعر وهو الإعجاب وحده.

فلقد وجدت في هذا الشعر الراقي الفياض بالمعاني النبيلة والأهداف السامية والشخصية المتفردة إنساناً يحمل هموم أمة وفكراً يتجاوز حدود عالم كبير وفلسفة عميقة في التصوُّر الكوني، وليس هذا الأفق الشعري إلا حصيلة عمر من التجارب والتعمق والبحث في كنه الأشياء والماهيات والمنظورات ـ والمحسوسات تمتزج فيه روح العصر مع الأسلوبية القوية القريبة إلى التواصل الفكري يغلب على شعره الرمزية المحببة البعيدة عن الضبابية المفتعلة.. في إطار وقوالب شعرية أصيلة.. مصاغة كما تصاغ الجواهر بأيد ماهرة.. مثل قصيدته (جنكيز).. ففيها من حسن السبك وروعة التصوير والإثارة والرمزية النابضة بالحركة والتواثب الفكري المتتابع والمتابع لما يعتور عالمنا العربي من ألوان الغدر

والذل والهوان إضافة إلى تلك الملحمة الكبرى عن القضية الفلسطينية التي تشدّ الانتباه وتسترعي الفكر الواعي إلى دقائق تاريخية مرت على أمتنا الإسلامية والعربية دون الوقوف على مجرياتها وأحداثها وقفة تأمل واتعاظ. والمجموعة تذخر بقصائد أكبر من أن يستطيع أمثالي سبر أغوارها بلغة نقدية دقيقة فليس هذا مجالي وما إلى هذا عنيت..

٢ ـ **أما الأستاذ حسين سرحان** ـ حفظه الله ـ هذا الشاعر والمفكر والفيلسوف الذي يعيش عزلة زمنية غير مبالٍ بأي شيء عارض أو مغرٍ فإن هذا الأديب الكبير يتمتع بشخصية مستقلة ـ يعيش الحياة كما تشاء هي لا كما يشاء هو.. يطل يومياً من الثامنة أو السابعة صباحاً حتى التاسعة صباحاً من نافذته المطلة على الشارع العام في مجلسه العامر وكأنه يتعجب من الحياة ألف مرة في اليوم.. فهو لا يرى فيها إلا الحقد والحسد والبغض والتناحر بين الإنسان وأخيه الإنسان والآلام التي تنتابه هي آلام حقيقية غير واهمة... وما يلفه من ضياع وحرمان هو نتاج معاناة نزف عليها من دمه وعمره.. تجد كل هذه الصور والمعاني في أسلوب شعري رفيع ومضامين ثرية وموسيقى شجية حالمة.. وألفاظ بكر يتميز بها وينفرد بها في إطار أصيل رغم وعورة اللفظة والتعمق في دقائق الحياة بأسلوب وإن كان يغلب عليه السخرية في بعض الأحيان لكنه أخاذ وصورته التي ترتسم على صفحات الجرائد هي تلك الصورة التي تجده عليها صباح مساء.

له نفس عرف كيف يكرمها ويرتفع بها عن الخسة والمذلة.. ولكنه لم ينس كرم الضيافة العربية.. فناره لا تطفأ في بيته، وأنت تزوره تجد القهوة العربية والشاي كعادته بدوياً حضرياً من غير تنميق أو تزييف. فرحته بمن يحبهم فرحة غامرة صادقة.. يسأل

عن أحوال الدنيا والناس الذين يعرفهم من قديم وفرّقت بينهم الأيام.. فإذا سألته عن معنى أو عن كتاب ـ فإنك تجده حاضر البديهة يروي عنه في غير ريبة أو تلعثم.. برغم تجاعيد السنين التي تمر على وجهه وهي بقايا أرزاء حملها في جلد وصبر. وفي بعض الأحايين يطبق عليه صمت مريع وأحياناً يروي ذكرياته في لبنان والإسكندرية.

تلحظ في عينيه أنه يتعمق في زمن بعيد إلى زمن بعيد ليبحث عن شيء ما افتقده ولم يجد ضالته إلا بالتأمل.. فهو السر الخفيّ الذي يعيش بين حنايا صدره الكبير بالحب.. والبؤس يقول: «إنني أنتظر الصباح لكي أنتظر الليل وهكذا.. يقول إنه نسي الحب.. وهو العاشق الواله للكتاب الذي يريده هو لا الذي يأتي على غير رغبته ـ ذكي لماح، صريح إلى أبعد حدود الصراحة، يَضِنّ بالكلمة مع محدثه إلا أن تكون ذات قيمة وفي موضعها الصحيح ـ له تعليقات تسير مسار المثل في الحياة ـ محب لوطنه يسأل عن أصدقائه الذين يودهم إذا غابوا عنه ـ تلمس فيه نقاء السريرة ونزاهة الفؤاد من الشوائب والأدران ـ وهو غير اجتماعي بالمعنى العام»..

إن الراصد لشعر هذا الشاعر من خلال ديوانيه اللذين أصدرهما نادي الطائف الأدبي يجد أن شعره لم يخرج عن إطار الرومانسية العائدة إلى عالم الذات.. له شعر يحاكي في صوره وفلسفته كثيراً من شعراء العالم المرموقين.. ومن قصائده الرائعة المجسدة للنظرة الكلية بين الصراع الدنيوي والموت وهي قصيدة ذات بعد وعمق فكري كبير، هي قصيدته (الدودة الأخيرة)..

وإذا كان تاريخنا الفكري والعلمي والفلسفي والأدبي الذي لم تستطع حجبه سدف القرون المنفلتة من الحياة ـ قد حمل إلينا

أسماء من عصور مضت لعلمائنا الذين تأثروا وأثّروا في الفكر العالمي بعامة بنتاجهم المتميز في مختلف العلوم والفنون ـ وعكفوا على استنباط النتائج العلمية في الطب والفلك والطبيعة.. والرياضيات والفلسفة والثقافة والأدب ـ حتى إن أسماءهم ما زالت مدوية في مشارق الأرض ومغاربها ـ فقد لعب النظام السياسي الإسلامي دوراً بارزاً في إثراء هذه الأفكار فاستفادت وأفادت من تلك الومضات الفكرية والعلمية.. وامتزجت معها في استنباط النتائج المفيدة والتي اقتبس وتواصل معها العالم المتقدم في شتى العلوم بالتنظير والتطبيق.. ومن المؤكد أن هؤلاء العلماء والأدباء خلال القرون الماضية مروا بعوامل إحباط كبيرة وكثيرة.. كادت أن تؤدي إلى تفتيت عزائمهم.. فمنهم من لم تثنه تلك الإحباطات.. ومنهم من قتلت عزيمته حياً وتوارى خلف أسوار الحياة، غير أن للتاريخ عيناً راصدة عادلة لا تستطيع الرؤى أن تحتجب عنها أو تحجبها دياجير الظلام فهي كالشمس.. تظهر للعيان ما لهم من عطاء عبقري خلاق..

وأذكر في مرة من المرات عن أستاذي القدير الشاعر الكبير عبد الله بلخير عندما شكوت إليه حظ الأديب في عالمنا العربي وما يتعرض له من إحباطات.. قال لي معاليه ما معناه إن هذا هو حال الزمان نمر بجميع دوراته.. فلا عليك..

وبعد مدة بعث لي معالي الأستاذ عبد الله بلخير بقصاصة من جريدة مصرية كتب فيها د. زكي نجيب محمود مقالاً بعنوان (ويل للمعاصرين من المعاصرين) وكأنها شكوى مكلوم من الزمان وأهله..

إن ما رمزت إليه وقصدته في مقالي هذا أن تبادر دور النشر لتبنّي ترجمة أعمال كبار أدبائنا ومفكرينا وعلمائنا إلى اللغات

الأجنبية ومن هذه البادرة الجريئة يستطيع العالم المتقدم أن يعي آمالنا وآلامنا وأن يرى الصورة الحقيقية لسلوكياتنا وطريقة تفكيرنا التي عكسها دهاقنة العداوة والبغضاء عن مجتمعاتنا العربية والإسلامية وأننا دعاة حب وسلام للإنسانية جمعاء، ولسوف تكون هناك وقفات فكرية وعكوف كبير على دراسة أفكار الشرق في العصر الحاضر دراسة متأنية غير قابلة للانفعالية أو التسلطية وتتغير بذلك المفاهيم القديمة عن مجتمع البداوة الذي تسيطر عليهم أفكاره القديمة في ظل المستجدات الحضارية ويتحدد على ضوئها التعامل الإنساني لا التعامل السياسي المصطنع..

ولتكن البداية بتسجيل سيرة هؤلاء الشعراء والأدباء بترجمة مختارة لبعض القصائد الإنسانية والتأملية والتصويرية والقصائد التي تحمل همومنا ثم تليها ترجمة للأعمال القصصية والرياضية.. والنقدية والبحوث والفنون التشكيلية. إن المرحلة مهمة وسوف تسجل بنجاح يؤكد حقيقة حضارية رائدة في مجتمعاتنا العربية..

فهل نبدأ؟..

خاتمة:

ذكر فولتير: (إذا أراد الإنسان أن يتثقف في الأحداث التي تقع على هذه الأرض كفيلسوف يجب عليه أن يتجه إلى الشرق أولاً مهد جميع الفنون ويدين له الغرب بكل شيء)[1].

---

٢٩ ـ ٣ ـ ١٤١٠ هـ

---

(١) من: كتاب أثر الشرق في الغرب ـ خاصة في العصور الوسطى ـ للمستشرق الألماني ـ **جورج يعقوب** ـ ترجمة دكتور فؤاد حسين علي ـ ١٣٦٥ هـ.

العشرة الأوائل
في مدرسة فيصل بن فهد

إنه صباح مشرق بشموس الوطن مضمخ بأريج الانتماء، لقد عوّدنا أمير الشباب أن نزهو بالبطولات في كل مجال من مجالات التفوق. وكنا نهنئه ونهنىء أنفسنا في كل فوز تحققه منتخباتنا الرياضية. واليوم لن تختلف التهنئة في شيء إلا أنها أدبية، علمية.. ولقد تحققت المعادلة الوطنية على يدي سموه بتتويج الأدب ما يستحقه من ارتقاء وعلو قامة بانتخاب هؤلاء العشرة من أبناء الوطن الغالي ليمثلوا المملكة في عرس الخليج.

ولقد حقق أبطال الأدب العشرة فوزاً جديداً يضاف إلى الفوز الرياضي وهو رصيد يحسب لأمير الشباب والشيوخ. وهؤلاء العشرة المبرزون في المجالات الأدبية والعلمية.. صنعتهم روافد الحب الوطني.. ونمتهم عزائم الفكر وكرّمهم أعاظم القوم من زعماء دارة الخليج العربي في حفل بهيج.. فاعتنق الوفاء بالتضحية وتجلل الإبداع بالاقتناع.

ومن هذا الوطن الذي شع منه نور الفضيلة والهداية.. والذي شربنا من نميره العذب ـ ومعينه الصافي معنى الوفاء تجسيداً صادقاً لما كان عليه موحد الجزيرة العربية المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن في ضرب أروع أمثلة الوفاء بأبناء أمته والأخذ بأسباب تطورهم ورقيّهم في كل اتجاه يحقق

للوطن رفعته وتقدمه، فليس غريباً أن يسير الأبناء على نهج الآباء ـ فيكملون كتاب المجد الخالد بإضافة صفحات ناصعة بمداد الفكر تتلقاه الأجيال القادمة من عيون التاريخ ليكون سجلاً حافلاً بمدنية العصر الذي ننتسب إليه ويكون شاهداً لعهد خادم الحرمين الملك الإنسان فهد بن عبد العزيز بما قدمه ويقدمه لأبناء أمته.

إن الموقف الذي كان بدايته هذا العرس الكبير ـ والذي كان سمو الأمير فيصل بن فهد وراء نجاحه ـ وإيثاره بهذه النخبة ليؤكد لجيل الأدب المعاصر في هذا الوطن أن القيادة السعودية لا تغمط أحداً حقه. وهي تسير وفق خطة مدروسة في رقي ورفعة هذا الوطن وأبنائه، وسوف تكون المرحلة القادمة بإذن الله مرحلة فكر وإبداع واختراع. وسوف يمثل أبناء هذا الوطن وطنهم في مجالات كثيرة وسيعمل الجميع حتى يرى الله عملهم ورسوله والمؤمنون.

وإن من واجب الوفاء أن نقدم التهنئة بين يدي سموه الكريم قبل أن نتقدم بها إلى أولئك الأفذاذ والذين استحقوا بالفعل أن يكونوا العشرة الأوائل في مدرسة الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز. ثم نهنىء أنفسنا بهذا السبق العظيم وهذا النجاح الأدبي والعلمي على مستوى الخليج، وسوف يتبعه نجاحات وطموحات إلى طريق العالمية في مجال الأدب والعلوم الإنسانية.

فللأمير فيصل بن فهد منا التهنئة والشكر هو صاحبهما ولنا منه البذل والتشجيع في تحقيق طموحات الفكر الإنساني الخلاق.

---

١ ـ ٦ ـ ١٤١٠ هـ

سعد بن رويشد وابن عثيمين

ربّ صدفة خير من ميعاد، فقد جمعتني تلك الصدفة السعيدة بمنزل الصديق الخلوق الأديب الكبير معالي الأستاذ حسين عرب بالطائف بدعوة منه على شرف ضيفه القدير معالي الأستاذ فهد بن معمر أمير الطائف، هذا الرجل الذي يكتسي بحلة الخلق الإسلامي.. ويمتلىء بمناقب الأفاضل، ويمتاز بعطر البشاشة والتواضع.

وقد كنت أجلس إلى جوار معالي الدكتور راشد الراجح مدير جامعة أم القرى من اليمين وإلى شمالي شيخ لم أكن أعرفه لأول وهلة وكنت أتجاذب أطراف الحديث مع معالي الدكتور راشد الراجح والدكتور يوسف عز الدين في بعض القضايا الأدبية.. وإذا بالدكتور الفاضل راشد الراجح يشير إلى ذلك الشيخ ويقول لي: ألا تعرف الشيخ سعد بن رويشد؟ وكأن معاليه يشدني إلى ذكريات قديمة استرجعت فيها اسم الأديب سعد بن رويشد في تذكّري لزمالة ابنه الدكتور عبد المحسن الرويشد الذي كنا ندرس القانون معاً في جامعة القاهرة بكلية الحقوق ـ وكان يكبرنا سناً وعلماً وسنوات دراسة.. وما أجمله من إعجاب للدكتور عبد المحسن فهو المحدث اللبق ـ الخطيب الطلق اللسان ـ المثقف المنتمي إلى تعاليم الإسلام وأخلاقه.. فكان لا يمر شهر إلا وتتخلله زيارة من أخي الدكتور عبد المحسن الرويشد في شقتنا

بعمارة التأمين بالقاهرة بصحبة بعض من الزملاء نقضي بعضاً من الوقت في الحديث.. وإطلاق النكات المصرية التي كان يجيدها بعفوية لغة وتمثيلاً ـ أقول ذكّرني (سعد) الأب ـ (بعبد المحسن) الابن ـ وعرفت أن الدكتور عبد المحسن لم ينطلق إلاّ من ثقافة استوحاها ـ وتعلمها من ذلك الشيخ حتى استقام عوده.. وأصبح في مكانته العلمية التي وصل إليها.

لقد وجدت في الشيخ الأديب سعد بن رويشد الرجل الذي يغريك بتواضعه الكبير ـ وخلقه الجم.. وصفاء نفسه المحلقة في عوالم العلم والفضيلة ـ ففرحت كثيراً أنني أكتشف كل يوم جوهرة ثمينة من جواهر أدبائنا رغم أنهم يتوارون عن الشهرة والبريق الذي ينبغي أن يكون لهم الحظ الأوفر منه.

وعلمت أنه محقق وجامع ديوان العقد الثمين للشاعر العلم محمد بن عثيمين فطلبت منه نسخة من ذلك الديوان.. فكان فضله أسبق من شكري له ـ فإذا بسعادة الشيخ عبد الله بن سليم يتصل بي ويقول: لك معي كتاب مرسل إليك من الشيخ سعد الرويشد. وقد تكبد الشيخ عبد الله بن سليم مشقة الطريق.. رغم أعبائه العملية وأعطاني الديوان جزاه الله عني كل خير ومتعه بالصحة والعافية.. وما إن استلمت الديوان الذي كان مخيطاً في قطعة بيضاء من القماش تنبىء عن ذوق رفيع في الهدية وتقديمها مخطوط عليها بقلم مهديها اسمي وعنواني. كنت شغوفاً بأن أطّلع على ذلك المؤلَّف القيّم وعلى محتواه.. فإذا بي قد عثرت على كنز ثمين لفحل من فحول شعرائنا.. قيمة فكرية وأدبية خالدة على مر الأزمان والعصور.. تجسد تاريخ حقبة من الزمان وأهله.

وبرغم أني لست الناقد المتمكن في النقد ولكني أبدي إعجاباً كبيراً بتلك القدرة وذلك البحث بالعكوف من قبل سعادة

الأديب الباحث سعد الرويشد وتحمّله لعناء الاطلاع والمتابعة والتنقيب عن مجاميع أو مفردات شعرية للشاعر الفحل محمد بن عثيمين.. وإن ذلك لم يكن ليتسنى له لولا أن أديبنا الكبير الأستاذ سعد الرويشد قد ألزم نفسه الصبر.. على هذا الجهد الذي يعتبر بحق تسجيلاً دقيقاً لحقبة من الزمان تستوجب من الدارسين التوجه نحوها بالاطلاع والدراسة ـ واستكمال جوانب غير مستوفاة قد أوردها المحقق جزاه الله خيراً وأشار إليها في تقديمه.. لعل الزمن ينفرج عنها تاركاً الفرصة لمن أراد التزود من معين الآداب العربية أكثر بأن يستكشف الجوانب الفنية التي احتواها ذلك الشعر. وإلقاء الضوء على عوالم ذلك الشاعر الكبير ـ برغم أن باحثنا قد فصّل لنا عن شخصية الشاعر وأخلاقياته وثقافته.. وعلومه.. ورحلاته.. وشجاعته.. وطريقته في بحثه يفتح للقارىء سبيلاً غير مبتور التواصل مع الشاعر عبر سنوات عمره التي قضاها.

ولكن برغم ذلك تظل هناك جوانب فنية ولغوية دقيقة لا تستعصي على أديبنا الكبير الأستاذ سعد الرويشد ولكنها تدخل ضمن منهجية أخرى في موضوعات النقد الأدبي وعلوم اللغة.. الأمر الذي يتطلب منه جهداً آخر ليس أشق من الجهد الذي بذله في تحقيق شعر الشاعر وجمعه أو تبويبه وشرح المفردات ومتابعته لحياة الشاعر وشخصيته.. أو أن تبادر الجامعات السعودية بجعله أحد روافد البحث الأكاديمي عن شعرائنا الكبار.

ولقد توفرت على كتاب دراسات في الأدب السعودي لمؤلفيه الدكتورين الفاضلين عباس بيومي عجلان ـ وعبد الله سرور من كلية التربية جامعة الإسكندرية الصادرة عن دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٨٩م ـ وقد قدِّمت فيه بحوث جديرة بالاهتمام

عن بعض شعراء المملكة ومنهم الشاعر الفحل محمد بن عثيمين.
وقد اعتمد الباحثان في بحثهما على بعض المراجع والمصادر القليلة لدراسة شعر هذا الشاعر هي: شاعر من السعودية دراسة بقلم الأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد وديوان العقد الثمين تحقيق الأستاذ سعد الرويشد وكتاب محمد بن عثيمين للسيد أحمد أبو الفضل ص ١٩٨. ولا أنكر أنني اطلعت على بعض القصائد لشاعرنا الكبير منذ زمن.. ولكنني الآن أستطيع أن أروي نهم نفسي لهذا العقد الثمين الذي طوق عنقي به سعادة الشيخ سعد الرويشد الأديب المعروف السمات والملامح الذي ينتمي إلى أصالة الفكر العربي والإسلامي وأقول له حفظك الله أيها الشيخ حامياً وذائداً عن فرائد لغتنا العربية وذخائرها ـ بما أوتيته من سعة البيان والتبيين.

أربعة أبيات من شعري:

وصبرت للأيام كالطود المنيع
لم أستشر والحق في شفتي صريع

نظروا حروف الوُدِّ في عيني أسىً
كتبوا على الأحزان من دمع الشموع

يا سائلاً عني وعن شعري البديع
طلَّقت أوراقي وأحلام الربيع

ونثرت في عين الرياح وداعتي
واخترت وجه الظل في زمني الوضيع

---

٣ ـ ١ ـ ١٤١١ هـ

مجتمع الغرباء

كلمة الأديب، بكل ما تشمله هذه الكلمة من معانٍ، تفسر التفريعات المأخوذة من الفكر الإنساني وما يوسم به كل فنان سواء الشاعر أو القاصّ أو الكاتب أو المتفقّه العالم في كثير من العلوم ما كان منها الفقهي أو الثقافي. هؤلاء جميعهم يعانون تجربة غربة نفسية عميقة، وهؤلاء الأدباء الغرباء دائماً وأبداً في ارتحال فكري، يركبون متون الخيال على بساط المعرفة يجوبون به عوالم الكون الفسيح.. وطنهم هو الحقيقة وأملهم في السكينة والهدوء والحياة المستقرة الآمنة لكل البشر لأن الشاعر أو القاص أو الكاتب أو العالم ـ أو المثقف هم جميعاً رسل ينشدون تحقيق الفضيلة وغرسها وتأصيلها حسب الفطرة في النفوس. وإن مجرد الخروج على هدف الأدب والفن ومعيارهما لا يحسب في مجتمع الأدباء انتماء إلى الأدب والفن الخلاق.. إلا بقدر الإعجاز الفني في التناول والطرح الفكري والأدبي.

وإذا كان الأدب كما يقال (هو حرفة الفقراء) فإنني هنا أقول إنه (حرفة العظماء) إذا تسامى بالخير والدعوة إليه من خلال تجاريب حياتية وظروف معاشية.. رغم قساوتها، إلا أنهم يعرضونها لأبناء جنسهم في بلاغة تأملية وأسلوبية اصطلح على تسميتها بالفن الرفيع الذي يأخذ بمعاقل الألباب والقلوب في إطار

أسلوبي جذاب يخاطب القلوب قبل العقول ويتسامى بالنفس البشرية إلى نشدان الكمال الإنساني.

وإذا كان الشاعر هو ضمير أمته في عصور مضت ولسان حالها والمدافع عن شرفها وكرامتها وصوتها الإعلامي الذي يعبر المدائن والأقطار فإنه ولا شك وعبر تلك القرون كان يعيش في غربة نفسية كبيرة إذ إن الأهداف المتسامية في نفسه لا تعني البلوغ والتحقيق لاستحالة التشابه العقلي الإنساني وتضارب تلك السلوكيات وتوجيهاتها المعاشية. فإن أبا نواس أو ابن الرومي ويشار سقطوا من حيث التوجه السلوكي الفردي - واستنهضوا الهمم الإنسانية نحو التسامي في أسلوب بياني انطبع بطابع الفن المنسلخ من التجربة الذاتية.. وليس مطلوباً منا التفرغ لدراسة أسرار حياتهم الخاصة إلا بقدر ما يعنيه النص من ناحية دلالية أو تركيبة فنية..

وليس المعيار الفني في خلود تلك الأسماء أو غيرها المساس بالناموس البشري في شذوذه وخروجه عن المألوف إذ إن الشاعر أو الفنان في جميع تطلعاته يسعى إلى ارتقاء ذرى الفضائل ويخيب أحياناً لرسم الهدف مما يخلق في النفس الإنسانية التنافس على المستوى العادي ويستعلي في نفس الشاعر والفنان حتى ليكاد يخرج في كثير من الأحيان بفكره إلى اعتناق الأدب الساخر الذي يعنى بظواهر الحياة الصامتة فينطقها بارتفاعها وتساميها أو بانحطاطها وسفولها.

تلك هي صورة الفنان الحقيقي الصادق مع تجاربه الذاتية يستفرغها من بوتقة الفكر إلى رحابة الحياة تصويراً إعجازياً فنياً يتسم بالنضج والبلاغة في التعبير الفني. إذن فمجتمع الغرباء (الأدباء) مجتمع معزول انعزالاً فردياً ومنفتح انفتاحاً إنسانياً.. هذا

المجتمع المغترب.. الذي يعيش في انعزالية مع الفكر والتأمل ماذا قدّم له الناس المعجبون به عبر توجهه من عطاء رغم أن فنه حصيلة تجاربهم يستشف منها الفنان إلهامه وإيقاعاته البلاغية أو التصويرية.. ففي جميع بلاد العالم ما زال المفكر والأديب يعاني من الاحباط الاجتماعي ومقابلة أعمال ذلك الفنان بالتهكم والسخرية بدلاً من وضعها في موضع النقد العلمي الصحيح ومناقشة أعماله بجدية النقاش الهادف البناء.

إن ما بني عليه نقد الفنان في عالمنا نقد لا يتعدى الحساسية الشخصية المفرطة في البغض والكره لذات الفنان لا الالتقاء مع النص الفني الذي يحمله إلى القارىء العادي أو إلى الناقد.. ويبدو أن عالم النقاد ومتسلقي جدار الأدب في كثير من الأحيان فيه من لم يفطم من ثدي الشهرة والبلوغ أو الرغبة في الاستئثار بالقدر الأكبر من الذيوع والشهرة.. أو الجهل المركب المغرق في الوصولية المعقدة أو نزعة النقص التي تحتل مكانة تجعل طبقة ممن يمتهنون حرفة الكتابة يتخيلون أنهم فوق الأدب والأدباء فامتطوا خيولاً عارية من الدراية والمكنة الإلهامية فنظّروا وقوّموا، وأسقطوا، ورفعوا، وأجزلوا الثناء والمديح والألقاب لمن شاءوا من خلال منظور ضيق هو العلاقات الشخصية، ولا هم (في العليق ولا اللجام) وأسبغوا على غير أصحاب الفضل بالفضل ووصموا أصحاب الفضل بالخسة والجهالة.. هذا هو مجتمع الغرباء الذي ينال منه بعض من عرف الأبجدية الصحفية.. ويحاولون أن يطفئوا أنواره بأيديهم ويأبى الله والتاريخ والعقل السوي إلا أن يتم نوره ولو كره المغرضون.

أقول حسبكم الله في مجتمع الغرباء (الأدباء)! إنهم بحاجة إلى عقول تعرف كيف أن الحضارات لا تبنى إلا عبر مفكري

الأمة وأدبائها وإن مسؤوليتهم تجاه أمتهم قد بذلوها في غير منٍّ.
أما التعتيم وتضييق الخناق على فنهم وجعله رهينة العلاقات والاغتراب المزاجي أو الشخصي فإن ذلك لا يعتبر عيباً فيهم إنما العيب في الذي لا يعرف أقدارهم ويحاول الحجر على فنهم الهادف المفيد البناء وفق معاييره الشخصية الخاصة التي لا تقوم على حجة أو برهان إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها.

وفي النهاية أقول إن الفن فوق الحواجز والجسور، فهو الضوء الخالد الذي يستقر في عيون التاريخ.. والتاريخ لم يكن أعمى في يوم من الأيام ولم يكن كاذباً حتى ولو شوَّه البعض له الجمال وقدم له الصور المعكوسة بدل الصحيحة لأن له مقاييس وأساليب موزعة على جميع الدنيا يرصد تحركاتها ويستجمعها لديه ليقول وقوله الفصل لأنه لسان الحقيقة الأبدية..

من شعري:

يـا سـائـلاً عـنـي وعـن شـعـري الـبديـع

طـلـقـت أوراقـي وأحـلام الـربـيـع

ونـشـرت فـي عـيـن الـزمـان وداعـتـي

واخـتـرت وجـه الـظـل فـي زمـنـي الـوضـيـع

---

٨ ـ ٤ ـ ١٤١١ هـ

مشاعر الأمير عبد الله الفيصل

بين يديّ ديوان (مشاعري) للشاعر الرائد سمو الأمير عبد الله الفيصل تفضل بإهدائه إليّ سموه الكريم بكلمات عذبة نقية ولا يسعني إلا أن أقدم بين يديه الشكر وأبادله الوفاء. وديوان (مشاعري) طبع طبعة فاخرة تدل على ذوق فني رفيع. ولست هنا المكرر لقول الكثير في قولهم إنه يحتوي على كذا قصيدة وعدد صفحاته كذا.. فهذا عمل الباحث أو الناقد ـ إنما أحببت هنا أن أشير إلى بعض الإعجاب الذي أستشعره نحو سموه وهو أديب وشاعر كبير من شعراء السعودية والعالم العربي المرموقين (الذي أسمعت كلماته من به صمم) حينما شدا بشعره فنانو العالم العربي أمثال أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وغيرهم ـ هذا الشاعر الذي لا زال يبحر على أفنان البيان ويسكب إيقاعاته البلاغية للإنسان يستلهم من إيحاءات الزمان الإحساس بالوجود وما حوله يصوغ تلك الأحاسيس أدباً راقياً ينطلق من الذات ويمتزج مع الحياة بحركيتها سلباً وإيجاباً. ولن أتحدث عن سموه في شعره الفصيح فلقد دُرس شعره على المستويين العربي والعالمي ونال وسام باريس في الأدب.

وقد قرأت ديوان (مشاعري) فلم أجد إلا شعراً رفيع الأسلوب والمضمون يمتزج مع الذات في شجن الحياة صيغ باللهجة العامية لكنه لم يخرج عن الوزن والقافية وإن تنوعت

الموضوعات ـ ولكني أسأل سمو الأمير الشاعر لماذا لم يتضمن الديوان قصيدة (سليتكم) ـ التي يقول منها:

سـلـيـتـكـم وأرخـصـت غـالـي هـواكـم

لا تـتـعـبون أنـفـسـكـم خـاطـري طـاب

مـن شـفـت تـغـيـر الأحـبة جـداكـم

دايـم ورغـبتـكـم تـعـلـق بـالأحـباب

تـبديـلـة الـصـاحـب بـغـيـة مـنـاكـم

تـسـهـل عـلـيكـم مـثـل تـبديـل الأسـلاب

يـأمـر خـصـيـن الـحـب هـذا جـزاكـم

خـلـيـتـكـم عـبرة الـمـاشـي وركـاب

هذه القصيدة قرأتها في إحدى المجلات يوم أن كنت أدرس الحقوق بجامعة القاهرة بمصر ـ ومن فرط إعجابي بها حفظت هذه الأبيات وذلك قبل خمسة عشر عاماً تقريباً وهي لسموه.

إن الأمير عبد الله الفيصل شاعر أعتز بأدبه ـ وقد تتلمذت عليه في صفوف الدراسة ـ وهو اليوم يظهر لنا في ديوان (مشاعري) بلون آخر ونكهة أخرى من أفنان الكلمة الفنية العذبة التي تتبلور في مجموعة قصائد ديوان (مشاعري) والذي يعتمد الأسلوب الشعبي الدارج وبلسان سموّه ولهجته الطبيعية التي لا يشوهها التكلف أو التنميق المصطنع.

وأكثر ما شدني في قصائد الديوان قصيدة (شقاي يا خالد) التي يقول مطلعها:

شـقـاي يـا خـالـد عـلـى الـمـال يـغـنـيـك

يـغـنـيـك عـن حـاجـة قـلـيـل الـمـروة

فهذه القصيدة تعبر عن صدق العاطفة وسلاسة الأسلوب وقوة المضمون فهو الأب الذي يعطي عصارة تجاربه لابنه ويود له أن يتأسى بخلائق العظماء وأفعالهم.

وكما نراه في قصيدة (أصيح يا فيصل) فهو الابن الذي عرف أن مرارة الفقد للأبوة عظيم فكانت تلك القصيدة تجسيداً قوياً لألم الفقد ومرارة الوقت الذي يعيشه، وهذا استشعار لا يختلف في كل من فقد أباً أو عزيزاً له وخصوصاً إذا كان مثل الملك فيصل رحمه الله ورحم والدي والمسلمين.

من شدة إعجابي بهذه القصيدة أوردها للقارىء ليرى لوعة الفقد إذا كانت الاستحالة هي الموت:

أصيح يا فيصل على راس ما طال

وين انت يا راعي العلوم المجيدة

حسيت بالوحدة وأنا بين الأظوال

وجرحك بقلبي قام ينزف صديده

الحال بعدك لا تسايل عن الحال

معيشتي ضنك، وحياتي زهيده

فارقت من فارقتكم راحة البال

ولذات عيشي والليالي السعيدة

مثل الغريق اللي شفوق على الجال

فترة زنوده ما بلغ ما يريده

مصايب الدنيا زمان وتزال

ومصيبتك في كل يوم جديدة

البستني من لوعة الحزن سربال

لي قلت ولي شفت شيء يعيده

دفنت في قبرك عظيمات الآمال

ومحاسن الدنيا عليه بعيده

وآلوعتي من شوقي الترب ينهال

عليك يا عزي، يجوف اللحيده

لو مات نصف الناس ما سايلٍ سال

ما هم فقيده أنت اللي فقيدة

وكان هذا البيت يذكرني ببيت للمتنبي يتشابه في أن العظيم من الناس يعدل أمة، يقول المتنبي:

إذا ترحَّلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

فالأمير الشاعر يرى أنه لو مات الناس ومات هو معهم فداء لفيصل لما كانوا يمثلون الفقد الذي مثّله فيصل بن عبد العزيز في نفسه ونفوس شعبه والمتنبي - يرى أنه إذا أجبر العظيم بين الناس على الرحيل عن قوم يستطيعون بقاءه مصان الجانب محمي الكنف كريم المعاش فإنه إذا رحل عنهم فليس هو الذي رحل لأن ذكراه ستعيش وهم الذين سيكونون راحلين، ويتمم سمو الأمير الشاعر قصيدته بهذا البيت:

لوني حظيظ كان قباض الآجال

خذني قبل موتك مناة وحيده

إنه ديوان يحاكي الصدق الإنساني في لهجة شعبية رفيعة الأسلوب والإيقاع كريمة الهدف والمضمون. وفي هذه الفترة التي

أصبح الشعر النبطي حقيقة واقعة وتجسيداً لتاريخ أمة فإنني أرى أن يقنن هذا الشعر بالشكل الذي ألفناه وسمعناه في أسلوب يسعى إلى تحديث المضمون في إطار العصر الذي نعيشه شريطة ألا يطغى على الشعر العربي الفصيح - وحتى لا يؤثر ذلك على روعة الشعر العربي الذي هو ديوان العرب وتاريخهم الفكري، فهل يتبنى الأمير خالد الفيصل هذا العمل الذي أصبح فيه من رواد هذا الفن؟

وأعود مرة أخرى لأزفّ للشاعر الأمير عبد الله الفيصل تهانيّ القلبية بمشاعره الصافية النقية الرفيعة في ديوانه هذا مع تقديم شكري وإكباري بين يديه مع أمل أن نرى آخر قصائده الفصحى أيضاً في المستقبل القريب إن شاء الله.

---

٢٢ - ٤ - ١٤١١ هـ

آثار الغزاوي الشعرية ومكتبته ومعالي الدكتور راشد الراجح

جمعتني إحدى المناسبات مع الشيخ خالد غزاوي كاتب عدل مكة المكرمة الثانية وهو حفيد معالي الشيخ الشاعر الكبير أحمد إبراهيم غزاوي شاعر الكلمة الرصينة ونائب رئيس مجلس الشورى سابقاً يرحمه الله. وقد دار الحديث عن الشعر والأدب وعن الآثار الأدبية التي تركها ـ رحمه الله ـ ولم تر النور لتعم بها الفائدة لطلاب العلم والأدب وتضيء جوانب مهمة للدارسين والباحثين لتسجيل تاريخ حقبة من الزمن من خلال رؤية الشاعر الدينية والسياسية والإنسانية والوطنية، فقد علمت بأن هناك ما يعادل أربع كوابر موجودة لكثير من آثاره الأدبية التي لم تنشر وأرى تشكيل لجنة لإصدار تلك الآثار حسب الخطة التي ترتئيها اللجنة لتكون هذه الآثار إضاءة إلى جوانب فنية لم يبرزها الشاعر حال حياته وأصبح من حق الأدباء والدارسين أن يطلعوا على تلك الجوانب وعلمت أن الشاعر الكبير أحمد غزاوي قد ترك مكتبة ضخمة من الكتب الدينية والعلمية والأدبية لا تقدر بمال. فقد قام الورثة جميعهم بإهداء تلك المكتبة إلى جامعة أم القرى بغية إفادة أهل العلم وطلابه وأملاً في أن تجد مكانها اللائق بين طلاب الجامعة.. لتخليد ذكراه وتكون له عملاً صالحاً ينفعه يوم القيامة.. غير أنهما أشارا إلى أن الجامعة إلى الآن لم تقم بتخصيص مكان

لها ولم تقم بترتيبها وتبويبها.. ولما أعلمه شخصياً في معالي الدكتور راشد الراجح، مدير جامعة أم القرى من حب وتقدير للأدب والأدباء بما أوتي من سعة العلم والسعي حثيثاً لإظهار خارطة الأدب والأدباء على مسرح الحياة وما يتقلده معاليه من أمانة للعلم والأدب بصفته مديراً لجامعة أم القرى ورئيساً لنادي مكة المكرمة الأدبي أن يأمر معاليه بتشكيل لجنة من أساتذة الجامعة الفضلاء للعمل على أن تكون مكتبة الشاعر الكبير أحمد الغزاوي حقيقة يستفيد منها أهل الأدب وطلابه وتكون تكريماً لرائد من رواد الأدب في مملكتنا الحبيبة بتخليد اسمه.. وإن معاليه القادر بإذن الله على ذلك.

ندعو الله أن يكتب له أجر هذا العمل وأن يوفقه في تحقيقه...

---

٣ ـ ٧ ـ ١٤١١ هـ

الأستاذ الفقي والأعمال الكاملة

بين يديّ المجموعة الشعرية المجلد الثامن من أعمال الشاعر الكبير الأستاذ محمد حسن الفقي ذلك الشاعر الذي ذوّب الزمان شعراً وفك طلاسم الوجود..

تتغنى بشعره الحناجر نغماً عربياً.. وتصغي إليه الآذان.. وتهفو إليه النفوس عند الهجير.

وإذا كان واجب النقد يقتضيني أن أدبج دراسة نقدية عن أعمال شاعرنا الفقي ـ فللعذر مكان التقدير إذا اعترف المرء بأنه ليس المتخصص في فن النقد الأدبي ولا في استفتاح مغالقه الدقيقة العصية إلا على أربابه الذين ركبوا مراكبه عنوة واقتداراً وأفادوا فيه ومنه.

ولكنني أجد أن من واجب الإلهام الذي يجمع بيننا والاحتراق الإنساني الذي يعانيه كل منا، والهم الأدبي الذي نمارسه ويمارسه كل من احترق بلغة الأدب واحتبس نفسه في سبيله أن أبديَ مواطن إعجابي بهذا الجهد الشاقّ والمسيرة الطويلة.. والخبرة الحياتية المريرة وأذكر ما قرأته في عيون شعره بما توفر له من بلاغة المعنى، وسلاسة الأسلوب، وصوره الإنسانية الرفيعة.

ولا أعلم لماذا وسم شاعرنا الفقي هذه الأضمومة الكبيرة «بالمجموعة الكاملة» وهو ما زال البلبل الصادح بأفنان الكلم على

خمائل الحياة يتنقل من غصن إلى غصن في دوحة غناء ولم يعلن إلينا أنه قرر أن لا ينظم شعراً بعد هذا المؤلف أو أن قريحته قد نضبت لا سمح الله لنستطيع أن نقول إنه قد تمت الأعمال الكاملة وهو لا يزال يمتعنا بشعره الجزل الرصين الذي نتشوف إليه دائماً.

إن الوفاء بين الشعراء خلة محمودة، وذلك ما رأيناه في تلك المقدمة التي نثر أريجها يراع الأستاذ الشاعر حسين عرب وهو العالم المتفقه في كثير من العلوم اللغوية والفقهية والفلسفية والأدبية، وما أضفاه على شاعرنا الفقي بما هو خليق به.

وهنا ينبغي على نقادنا ممن يزعمون أنهم المتفقهون في علم النقد الأدبي أن يتناولوا بالدراسة أعمال أدبائنا الكبار الذين أفنوا ربيع عمرهم ووهبوا رحيق آمالهم لأمتهم وشعوبهم وقد حددوا إقامتهم بين المداد والورق ينيرون ما استغلق على الأذهان من خلال أسلوبهم الأدبي الرفيع، وأفكارهم الناضجة الحية. ولكنه مع الأسف الشديد وكما أسلفت في تلك المقدمة فإن بعض نقادنا لم يفطموا من ثدي الشهرة وبريقها.. وإن كتب البعض فإن ما يكتبه لا يتعدى بضع أوراق تخلو تماماً من الجانب النقدي الجدير بالنظر والاحترام وهم يكتبون من باب إننا موجودون وإنه يجب أن تشير إليهم الأصابع.. «ولا هم في العليق ولا اللجام» مع الاعتذار للمتنبي. وهم يعيبون علينا إذا تفضّل علينا بعض النقاد العرب بنماذج من الدراسات النقدية الجادة، ويتهموننا بأننا نستورد النقد ونتسول المديح، وهذا هو الجهل المركّب الذي يعمد إليه بعض من خانته لغة الإلهام فلا تجد لديه إلا الأقاويل المترنحة التي لا تغني ولا تسمن من جوع.. وكأن النقاد العرب هم من كوكب آخر لا يجوز لهم أن يتناولوا أدبنا المحلي أو كأن

الأدب مقسم في نظرهم إلى أقاليم لا يتناول نقده إلا سكانها وغاب عنهم أن الأدب والعلم مشاع بين بني البشر لا سيما أبناء اللغة الواحدة وأنه يجب أن نشكر النقاد العرب الذين قاموا بما عجز عنه بعض نقادنا المحسوبين علينا نقاداً.

كما أن هناك فئة من النقاد ترتحل بنا بعيداً، فهم ما زالوا يدرسون آثار الفرنجة ويودون إيهامنا بأنهم قد هضموا التراث العربي، ولم يجدوا ما يروي نهمهم ولا من يطاول علو قامتهم.. والفرنجة وآثارهم في غنى عن أمثالهم فآدابهم قد ألح عليها النقاد بالدراسة وأشبعوها بحثاً وتنقيباً عن ذخائرها واشتهروا بما قدموه عن شعرائهم وأدبائهم فأفادوا واستفادوا، وأجلوا للبصيرة الغائبة، وللأجيال المتعاقبة حضارة ما زالت شاهدة لهم ودافعاً قوياً لاستكمال مسيرتهم الأدبية من خلال أجيالهم المتلاحقة بلا تحيز أو هوى.

وإذا كان شاعرنا الفقي وهو من رعيل الأدباء الأوائل لم تستطع أية دراسة جادة أن توفيه حقه شأنه شأن أترابه من شعرائنا الأفذاذ فما ظنّنا بمن يليهم من جيل الشعراء، وهذا يعطي دلالة واضحة أن مستوى النقد الأدبي في المملكة لم يتوفر له الإعداد اللائق به، وربما كان أحد الأسباب الكبرى أن بعض الذين يتصدون للنقد يسدون الطريق على من هم أهل له من أبناء هذا البلد الشامخ القادر على العطاء. كما أن نقد الشعر ليس بالأمر الهين الذي يتصوره البعض وإنما هو يحتاج إلى علم واسع، وثقافة متشعبة، وموهبة أصيلة قادرة على الابتكار بحيث تصبح العملية النقدية عملية إبداع جديد.

والناقد الحق هو الذي يستطيع أن يغوص في بحر الشعر، وهو بحر لا يحسن ركوبه إلا العليم في فن الغوص ـ وليس في

ممارسة السباحة - فالغواص الماهر يستطيع أن يكتشف اللآلىء التي تسكن المحار، أما السبّاح فإنه يطفو على السطح ليرضي شيئاً من غروره الآدمي.

وأدبنا العربي بجميع أشكاله واتجاهاته حفيل بمضامين إبداعية ثرّة وهي مغرية للنقاد القادرين على الولوج إلى أفكاره ومعانيه واستخلاص محاسنه أو مساوئه الفنية الدقيقة من أعماقه، والأدب العربي عالم أسلوبي تمرّ فيه على مستوى راقٍ من العطاء الفكري والفني يحوي بين متونه الشعر، والفلسفة، والقصة، والأسطورة، والرواية والنثر الأدبي البليغ، والتاريخ.

ونحن لا ننكر أن الاستفادة من معين الآداب الأخرى ظاهرة صحية وهي الحلقة التي يدور حولها الفكر الإنساني ولكننا ننكر ونمقت أن يكون أدبنا حبيس الأهواء، والتقلبات المزاجية، والاستعلاء الفوقي الذي يمارس على شعراء الوطن والذي يصيب خلايا الفكر العربي بالتجمد والقنوط، ويؤدي إلى تذويب شخصية الأدب العربي في تبعية الفكر الغربي وانصهاره في شخصيته بما يغري بانعدام شخصية الأدب العربي الذي أثرى روافد الفكر العالمي قديماً بنظرياته وعلمائه. وهناك الكثير من النقاد العرب الذين طاولت أقلامهم دراسة أعلام الفكر والأدب العربي بما قدموه من دراسات وبحوث قد آتت أُكلها - ووجدوا أن الأدب العربي هو الميدان الذي يبرز فيه الناقد العربي بالمحافظة على التراث العربي بالأصالة، والابتكار - وليس بالتبعية والتقليد - فيما أشار إليه الأستاذ العقاد[1] «لئن تخطىء في الابتكار، خير لك من أن تصيب في التقليد».

وإن جميع النقاد العرب من قدماء ومحدثين لم يجرؤوا على سلخ هوية الأدب العربي رغم تطوره، ورغم اطلاعاتهم

الكثيرة والعميقة على الثقافات الأجنبية، ورغم الدوافع الاستعمارية التي سيطرت على كثير من البلاد العربية. وربما أصابتها في بعض الأحايين بالجمود حتى تم اتصالها بماضيها ومضت في حلقة التواصل مع تراثها إيماناً منها بأن قوة العربي إنما تتضح في انتمائه إلى جذوره وتراثه. ولا ضير من الاستفادة من الاتجاهات العالمية في الفكر والثقافة التي لا تلغي هوية انتمائه العربي الممتد عبر جذور التاريخ بل إن ذلك التواصل أمر مطلوب ولا غنى عنه بين الآداب الإنسانية لأن ذلك يضيف إلى ثقافته إضاءات تساهم في بناء حضارة أمته وإبراز الثقافة العربية بما تستحق من الخلود والتواصل مع مختلف الحضارات في إطار الشخصية الأدبية العربية.

ويقول الدكتور مصطفى ناصف[٢]: «كلما ازداد عنف التطور وزادت الصلة بين العرب والأمم الأجنبية، وطلعت على العقل العربي آثار الثقافات الوافدة أخذ هذا المبدأ (أي نقاء الأدب العربي) يتسلح بما ينبغي له من أسلحة. كان نقاء الأدب العربي هو التعبير عما يشبه صمود العقل العربي وسط الغزوات الثقافية التي تأتيه من كل مكان ولذلك حرص على أن يشخصه جيلاً بعد جيل، شخّصه أولاً برسم الصورة المثلى للغة العربية ممثلة في القرآن الكريم ـ وشخّصه ثانياً بالإصرار على أن الأدب العربي صورة ناضجة كاملة النضج قبل أن تتصل الثقافة العربية بغيرها من الثقافات، ومن ثَم اعتُبِر الأدب الجاهلي أعلى قمم الشعر العربي على الإطلاق».

ويعزز رأينا السابق ما ذهب إليه الدكتور عبد القادر القط[٣] «حيث يرى أن الأمم مدفوعة بحكم وجودها الإنساني إلى الرجوع إلى ماضيها وتراثها لبناء نهضتها الجديدة بعد عصور

التخلف والجمود»، ويستشهد الدكتور القط برجوع الأوروبيين إلى تراثهم الإغريقي والروماني، وقد عاد العرب إلى تراثهم الفكري والثقافي والأدبي لرسم نهضة جديدة تقوم على استخلاص القيم التي تساهم في بناء نهضتهم مستوحين ذلك من حياتهم الروحية والدينية، بما يحقق توازناً بين القديم وموجبات الحياة الحديثة.

فأين نقادنا من هذه التفاعلات الفكرية وأين أدباؤنا من دراساتهم النقدية «وطالما عرف السبب بطل العجب».

وعند قيامنا بالنظر والتأمل الفني في شعر الأستاذ محمد حسن فقي في مجموعته الكاملة الصادرة عام ١٤١٣/١٩٩٢ نجد أن الشاعر يحتفي بلغته الشعرية وإبراز القيم الجمالية في القصيدة، وعناية الشاعر باللفظة تأتي ملائمة لموضعها ومعبرة بارتباطها بجزئيات العمل الفني لتكون القصيدة وحدةً متكاملة في بنائها الفني.. والحقيقة أن قصائد الشاعر الفقي غنية بجماليات اللغة تتكون في إطار إبداعي ينم عن شعور مرهف واقتدار يمتلك ناصية الكلم معنى ومبنى ولا يخلو من الأسلوب القصصي الرامز الذي يؤكد حقيقة الإبداع لديه. حتى وإن تعددت القوافي فإن وحدة القصيدة وعمق المضمون يسيران جنباً إلى جنب في استنطاق المعنى ليكون محصلة عمل إبداعي رفيع وجهد عقلي مضنٍ ندلّل على ذلك بقصيدته (العجز والمقدرة) ص ١٤٢ وقصيدة (ملائكة وشياطين) ص ١٤٥ وغيرها.

والدكتور غازي يموت[٤] يذهب إلى اعتماد اللغة الشعرية بإبراز عناصرها الجمالية ويرى أنه كلما كان المضمون أمامياً (تقريرياً) قلَّ إمكان الشعر.. لأن الشعر يمتاز بقوة الإيحاء وما يتضمنه من معنى خفيّ إلى جانب المعنى الظاهر، ويرى أن

للقصيدة معنيين: المعنى المباشر والمعنى الذي يفيض من الأبيات وهو المعنى الأهم.

فالمعنى المباشر ـ وهو نثر القصيدة ـ والمعنى الذي يفيض هو المعنى الإيحائي الرامز الذي لا يفهمه على وجهه إلا شاعر أو ناقد متمكن في علمه وفنه ليدخل إلى عوالم الشاعر المبدع ويعبر بعالمه هذا إلى المتلقي المؤهل لهذا النوع من القراءة ويجعله يعيش حالة إعجاز الشعر.

والحقيقة أن شعر الأستاذ الفقي من القسم الثاني الذي عناه الدكتور يموت فالمعنى في أغلب قصائده هو الذي يفيض ويوحي ويرمز.

أما الدكتور مصطفى ناصف[٥] فيرى أن المعنى نشاط إنساني رمزي ويؤكد على ضرورة إنعاش الدراسات في فلسفة الدلالات ومفهومها في الشعر خاصة وأن تدرَّس القصص والأساطير والتراث على ضوء الرموز التي تكشف عن القيم الباطنية الكامنة، وهو يدعو إلى ضرورة النظر إلى التراث نظرة موحدة حيث يرى أننا إلى الآن نعزل الشعر عن المادة القصصية وذلك ما أدى إلى صعوبة كشف الرموز أو كشف المعنى.

وليس بالضرورة أن يلمّ الشاعر بالتنظيرات والآراء النقدية طالما أنه استطاع استلهام عمله الإبداعي وفق معايير الفن الملهمة فإن الشاعر المبدع يستطيع أن يحلّق بشعره في عوالم الوجود ويتفوّق بجماليّات القصيدة باستقراء فنّيّاتها في إطارٍ موسيقي تتفاعل معها النفس الشاعرة مع أحداث الحياة.

والشاعر الحق هو الذي يكون صادقاً مع نفسه وعواطفه وعالمه.

كما أن نقد الشاعر لنفسه عند إنشائه لقصيدته إنما يؤسس لعمل متقن يرتفع بلغة الجمال في القصيدة الشعرية ـ ويذيب في معانيها روعة السبك وطلاوة الأسلوب وبكارة المضمون الذي يؤكد حقيقة التجديد الفني في جوهر القصيدة العربية عبر المد الإسلامي الذي تبادل التأثير والتأثر بين الفرس والعرب في الفتح الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري من خلال النقاد وتصارع الثقافات التي أثْرَت الإبداع الشعري في الأدبين معاً. فقد تطورت اللغة الشعرية بالمضمون الشعري، ووظّف الشعر القصة والأسطورة والرمز في الشعر العربي، وتجلّت دوافع الإبداع عبر تطور اتجاه الشعر الحديث في ذلك العصر حتى إن العلماء الذين عنوا بالشعر الحديث كانوا كثرة غالبة، وقد أدّوا واجبهم إزاء ذلك كأحسن ما يكون الأداء، وقاموا بتدوين شعر المحدثين في تأليفهم، واهتموا بجمع دواوينهم وتأليف الكتب في سيرهم وأخبارهم حتى المغمورين منهم(٦)، رغم الخلافات التي كانت تسود بين الاتجاهين القديم والحديث.

وعندما نقرأ شعر الأستاذ الفقي نجد فيه مسحة الحزن، وفي أسلوبه براعة التصوير وبكارة الفكرة، يغلب على شعره العمق الفلسفي والأسلوب القصصي. وليس بدعاً أن يكون الشعر ممتزجاً بالفلسفة، وهذا يدل دلالة واضحة على تعمق الشاعر بالحياة ومكنوناتها وخبرته في تجاربه معها.. حتى انطبع شعره بمضامين ثرية عميقة هي نتاج تصارع الإنسان مع قوى الحياة بخيرها وشرها وأفراحها وأتراحها وجميلها وقبيحها من خلال إيحاء شعوري رامز يتجسد بصوره الحية من مداخلات الأحداث. وقد عرف الأستاذ الفقي كيف يوظف إلهامه واستطاع أن يقف بشعره

إلى جانب أفذاذ وجهابذة الشعر والأدب واللغة فأضحت له سمة منفردة وتميز ظاهر وشخصية لا يخطئها الناقد البصير.

إن شاعرنا الأستاذ محمد حسن فقي يثري عطاؤه الحياة الإنسانية بروافدها المتعددة ـ شاعر يزينه الخلق الجم والحياء الإسلامي الموروث، ذلك ما انطبع في قصائده التي لم تخرج عن قواعد الحب والوفاء والإيثار.

فلا نجد في شعره استكراهاً ولا عنتاً ولا نجد في شعره الألفاظ النابية أو الحوشية التي تجرح الحياء وتسقط الكرامة، فأسلوبه ثريّ الخطاب ثريّ الدلالة تنساب ألفاظه في عذوبة رغم إطالة أبيات قصائده، فهي تجعلك تستمتع بقراءة شعره لتحيطك بصفات الفضيلة وتنأى بك عن مهاوي السفولة والرذيلة.. وشعره يفيض بالحكمة والدفاع عن أخلاقيات الإسلام الرفيعة ومثله العليا.

إن شاعرنا الفحل الأستاذ محمد حسن الفقي يمثل عالماً شعرياً متميزاً يثري الحياة من أجل الإنسان ويرتفع بالإنسان من أجل الحياة.

---

١٠ ـ ٧ ـ ١٤١١ هـ

المصادر

١ ـ (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي) ـ الأستاذ عباس محمود العقاد ـ ص ١٩٣ ـ انظر ما قبلها وما بعدها.
٢ ـ (قراءة ثانية لشعرنا القديم) ـ الدكتور مصطفى ناصف ـ ص ١١ ـ ١٢.
٣ ـ (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر) ـ الدكتور عبد القادر القط ـ ص ١٩ ـ ٢٠.
٤ ـ (الفن الأدبي، أجناسه وأنواعه) ـ الدكتور غازي يموت ـ ص ٦٢.
٥ ـ (نظرية المعنى في النقد العربي) ـ الدكتور مصطفى ناصف ـ ص ١٤٢.
٦ ـ راجع مؤلف (اتجاهات الشعر العربي المعاصر في القرن الثاني الهجري) للدكتور محمد مصطفى هدارة ـ من ص ١٣١ ـ ٢١٢.

الأديب الكبير
محمد سعيد العامودي يرحمه الله

ومات تظلله سحابة الخلق الفاضل.. وانطلق في رحاب الطهر يستمطر من فضل الرب روعة النعيم المقيم.. وترك الخلود الأدبي والذكر الذي يتضوع بعطر العلم والمعرفة ذلك هو الشيخ الفاضل الأستاذ الأديب الكبير محمد سعيد العامودي الذي أغلق نوافذ حياة الزيف وبريقها الخادع.. وفتح في قلبه كوَّة كانت تسكب شعاعاً يسير عليه كل من أطبق عليه الوهم ومشى في ظلمة البر والبحر يضيء له قبساً من جلال الفضيلة، ويمده من نداه الثري بشتى أنواع المعرفة، ويسقيه من معين الأدب الصافي كأساً مزاجها الخلق الفاضل، والحب المخلص، والأدب الراقي من خلال مسيرة حياة كتب فيها من فيض إلهامه، وقوة تعبيره وخلاصة ثقافته وتجاربه صفحات بيضاء سجلت في كتاب التاريخ الإنساني.

وحينما اعتزل داره لم يكن ليعتزل الناس والوطن فقد كانوا جميعاً يسكنون في عمق فؤاده الذي سكت قبل أن يقول لهم كلمة وداع لأنه لم يودعهم.. فهو ما زال علماً بارزاً من أعلام الفكر الإنساني وصوتاً دفاقاً ناطقاً بالحق في أصعب ظروفه.

لقد تذكرته حينما هاتفني عبر أسلاك (المسرة) وقد بعثت إليه نسخة من ديواني «النبع الظامىء» ولم أكن أعرف عنوانه وبعثت بإهدائي إلى عنوان ابنه أخي الأستاذ محمد عمر العامودي.. ويبدو أن الأسماء قد اشتبهت علي بين اسم الأب والابن.. فكتبت الإهداء باسم الأخ الفاضل محمد عمر العامودي رغم أن المقصود هو أديبنا محمد سعيد العامودي وقد لاحظ ذلك بذكائه أخي محمد عمر العامودي فبعث إليَّ بخطاب رقيق يشرح لي أنه فهم أن المقصود هو والده في ذلك الإهداء فقد بادرت أيضاً بإهداء ديواني ذلك إليه شخصياً بعد ذلك.

وعندما وصل مؤلفي إلى أديبنا الكبير رحمه الله وعندما أمتعني بتلك المهاتفة التلفونية التي تركت بصمات جيدة على نفسي بما أشاعه ونثره من جميل الكلم وعظيم الثناء على شعري بما انطبع في نفسي من نقاء سريرته حينما قال لي: «يا بنيّ إنني فخور بك وبشعرك.. ولتمض على رسلك في طريق الأدب الشاقّ». لم تكن هذه كلماته بالحرف الواحد ولكنه المعنى الذي أكتبه الآن والذي يقصده رحمه الله. وقال لي إنه لولا ظروفه المرضية التي تثنيه عن الكتابة لدبَّج عن شعري ما يستحقه ولكنه رحمه الله أثلج صدري برقيق مناجاته، وعذب كلماته وصدق شعوره، فله إذن عليَّ فضل العارف بالفضل لأصحابه.. ولن أزيده إلا بالدعاء إلى الله أن يتغمده ووالدي والمسلمين برحماته وغفرانه وأن ينزلهم منزلة الصالحين وحسن أولئك رفيقاً إن الله سميع مجيب.

وأقول: إن فقدنا للأديب الكبير محمد سعيد العامودي هو فقد لمنبر من منابر الأدب والفكر الرفيع وعزاؤنا فيه أن ما تركه

من تراث سوف يظل فينا معطراً بأعماله الأدبية الجليلة تمطرنا كلما أجدبت نواحينا بالخصب والثراء الفكري الخلاق.

من شعري:

داري المواجد والعظائم   ما دام في الأحباب لائم
لا الصفح لا الأمل الوريف   ولا مغبّات.. الخصائم
كانت زهورك عطرها   ينهلُّ فوّاح النسائم
مالت على الشط الحزين   وكل من في القوم نائم
وسرحت فانتصبَتْ عيونك   في الأنين.. وفي المزاعم
ما للبلابل شُرِّدت قسُرا   على أثر الحمائم
والغيث بارقه انطفأ   والريح تعصف بالقواصم
صفصافتي جفّ الندى   من بعد ظلّكِ من أنادم
تلد الحياة لنا المنى   جذلى بتسكاب الغمائم
لكنها تُعمي الرؤى   عند الحقيقة.. والتراجم
لا كان يومك يا غدي   إن كان شرّك.. في القوادم
لا كان ـ أو لو كنت   عندي ألف حلٍّ فيك حاسم
سأفجّر الحب الكبير   بكل مَوْتور.. وناقم
سأضيء لَيْلكة الدروب   أزيح زوبعة المظالم

---

٧ ـ ٨ ـ ١٤١١ هـ

الحزن المخفي في شعر المتنبي

ذلك الشاعر الذي نظر الأعمى إلى أدبه وأسمعت كلماته من به صمم ـ الشاعر الذي دوّى بوقع كلماته ومعانيه الكون ـ وكأنه عاهد الحياة أن يظل اسمه وشعره مدوّياً كما قال:

وتركك في الدنيا دوياً كأنما   تداول إذن المرء إصبعه العشر

إنه المتنبي الذي شغل الناس بشعره ومعانيه ـ وهو نائم في جدث الكون منذ عشرات السنين فهو كما قال:

أنام ملء جفوني عن شواردها   ويسهر القوم جرّاها ويختصم

هو ذلك الصوت المحلّق في عالم البشر يصدح كبلبل جريح على أفنان الحياة الذي كان طموحه وأمله أن يتفوق على الزمان نفسه حيث يقول:

أريد من زمني ذا أن يبلّغني   ما ليس يبلغه في نفسه الزمن

لا أعتقد أن شعراً يصدر من تلك النفس إلا أنها نفس كبيرة في توجهها وفي طموحاتها وآمالها ولكن برغم ذلك نجد أنه برغم عنفوانه وعلو قامته وعظمة همته إلا أنه يحمل بين جنبيه ألماً دفيناً من الحياة صاغة بكبرياء النفس التي تسامت فوق الجراح وانتصبت كالطود تجعل للكرامة منتهى الآمال وبغية النوال حينما عز عليها بلوغ النوال.

ففي الدواخل أسرار كأي إنسان تراه يبتسم وبين حناياه ينزّ جرح من الألم الدفين فهو الذي يقول:

لا تشك إلى خلق فتشمته
شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

وكن على حذر للناس تستره
ولا يغرّك منهم ثغر مبتسم

غاض الوفاء فما تلقاه في عدة
وأعوز الصدق في الأخبار والقسم

سبحان خالق نفسي كيف لذتها
فيما النفوس تراه غاية الألم

والدهر يعجب من حملي نوائبه
وصبر جسمي على إحداثة الحطم

وقت يضيع وعمر ليت مدّته
في غير أمّته من سالف الأمم

أتى الزمان بنوه في شبيبته
فسرّهم وأتيناه على الهرم

شاعر مثل المتنبي استطاع أن يعطي عصارة تجاربه - وخبرته عن الحياة من معاناة حقيقية يعيشها كل منا - ونحن في كل يوم نقول: عجيب فعل فلان من كذا أو كذا - وهو قال قولته الحكيمة في أخيه الإنسان منذ دهور وهي خلاصة المعرفة في البشر فلا الشكوى تزيد في تقدير الإنسان أو إعطائه حقه المفروض، والنابغ

لن يجد مكانه في أمة ليست في مستوى فكره وعلو همته حتى تجده في ثورة عارمة على بني الإنسان يقول:

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روّى رمحه غير راحم

فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

ولكنه يعود ليتلمس الخير في البعض فيقول:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ناجى كافور مناجاة المحب الواله وقد فارق أحبابه وأهله بغية العيش لدى كافور ظاناً أنه سيجد ضالّته ويحفظ حياءه وكرامة نفسه حيث يقول:

يضاحك في ذا العيد كلٌّ حبيبه حِذائي وأبكي من أُحب وأَندب

ويقول:

فإن لم يكن إلا أبو المسك أو هم فإنك أحلى في فؤادي وأطيب

وكم توصل رامزاً بشعره إليه أن يبلغه غايته لأنه كان يأنس في نفسه القدوة والرجاحة والتسامي وكان يظن أنه بالنبوغ يرتقي.. وبالعلم ينال الدرجات العلى، ونسي أو تناسى أن الكفاءات والقدرات العقلية والفكرية لا تسمن ولا تغني من جوع في الحياة فهو يقول:

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله فإني أغنى منذ حين وتشرب

ولكنه حتى في مديحه لكافور فهو يحتفظ بحقه الآدمي فتراه يقابل ممدوحه مهما علا بنداده كما في هذا البيت:

هو الحبيب ولكني أعوذ به من أن أكون محبّاً غير محبوب

ويرتمي في حضن سيف الدولة فيحاول امتهانه برميه بالمحبرة حينما وشى به البعض لدى سيف الدولة فيرتجل ذلك البيت العزيز قوله على الحر إذ يقول:

إن كان سرَّكُمْ ما قال حاسدنا ... فما لجرح إذا أرضاكُمُ ألم

فهو يمتصّ غضبة سيف الدولة ليغيظ حساده وهو يعلن أن حساده كثر فيقول:

أزل حَسَدَ الحسّاد عني بكبتهم ... فأنت الذي صيّرتهم لي حُسَّدا

إلى أن يقول بكل الكبرياء حيث لم يبق غيرها لديه:

أجِزْني إذا أنشدتُ شعراً فإنما ... بشعري أتاك المادحون مرددا

ودع كل صوت غير صوتي فإنني ... أنا الصادح المحكي والآخر الصدى

تركت السرى خلفي لمن قل ماله ... وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا

وقيدت نفسي في ذراك محبة ... ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

إذا سأل الإنسان أيامه الغنى ... وكنت على بعد جعلتك موعدا

ونفس المتنبي أكبر من أن تسير إلى مذلة أو تباع وتشترى فهو القائل:

فاطلب العز في لظى وذر الذل ... ولو كان في جنان الخلود

إلى أن يقول:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرت لا بجدودي

وبهم فخر كل من نطق الضاد ... وعوذ الجاني وغوث الطريد

إن أكن معجباً فعجب عجيب ... لم يجد فوق نفسه من مزيد

أنا ترب الندى ورب القوافي ... وسمام العدا وغيظ الحسود

أنا في أمة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمود

ومضى المتنبي وهو يعزف على قيثارته أناشيد الحياة بحلوها ومرّها: ومات جسد المتنبي وبقيت روحه تتناقل كل يوم من ضمير إلى ضمير ومن لسان إلى لسان ومن فكر إلى فكر. مات جميع من عاصرهم المتنبي وانتهوا وتفوق المتنبي وتسنم قمة المجد الأبدي حتى صدق في قوله:

وما الدهر إلا من رواة قلائدي   إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

---

٢ ـ ١١ ـ ١٤١١ هـ

الشاعر الكبير إبراهيم فوده

هو ذلك الإنسان الذي جعل الزمان يروي ويرتوي من معين أخلاقه وعظمة نفسه التي جمعت أرصدة كبيرة من الحب.. فقد عرفته وعرفت فيه قلباً محباً مخلصاً لأصدقائه وعارفيه.. مترفعاً عن الهذر معرضاً عن جهل الجاهلين وخسة السافلين..

فهو كبير في علمه.. كبير في وده.. كبير في حلمه واتزانه.. يجبرك على أن تحترمه لعظمة الأخلاق في نفسه وطبعه.. فهو الأستاذ والشاعر والإنسان بكل المقاييس والمعايير الأخلاقية الرفيعة.. تسمو به الفضيلة والخير.. ويتسامى بها.. ولا ينتقص من قدره تواضعه الجم لمحدّثه وطالب أدبه وعلمه بنفسٍ هذّبتها الحياة فأحسنت تأديبها.. فكان ذلك ما امتزج في شعره وأدبه الذي ننهل من مناهله.. ونهفو إليه وقت الهجير.. فيمطرنا بوابل من الدفق الشعري يعلو به ويعتلي إلى قمة البلوغ في البيان والتبيين. وإذا كان الواجب الأخلاقي يقتضيني أن أكتب عن الشاعر الأستاذ الكبير إبراهيم فوده بمداد يقصر عن ذكر جل أعماله وهي أكثر من أن تعدّ فلأنني أعرف أنه مهما استطعت أن أسجله هنا عن شاعريته وإنسانيته فلن أستطيع أن أوفيه حقه من قيمٍ تجللت بها صفحات دواوينه العديدة والمتعددة الأغراض الشعرية التي سكب فيها عصارة عمره.. ونثر فيها من أطاييب جناه وأزهاره من روضته الغناء الوارفة الظلال ولكنني بحكم اقترابي منه وصداقتي له منذ أكثر من

خمس عشرة سنة أعرف فيه الخطيب المفوه.. والناقد الواعي والشاعر.. والمثقف الذي تربى في أحضان العلم والأدب.

فهو الشاعر الذي كتب للزمان عن الزمان وللإنسان عن الإنسان وللأحزان عن الأحزان ـ وللأفراح عن الأفراح بصدق العاطفة وسلاسة الأسلوب وركوب مجاهل الكلمات مطواعة لديه تأتمر بأمره.. وتسكن في تجاويف فكره وإحساسه الفياض بالمعاني النبيلة.

ولن أستطيع أن أمر على كل شعره بما تتطلبه أصول النقد وموجباته إلا أنني أرسم خريطة مصغرة لبعض من شعره الذي عبر أجواءنا الشبابية ليكون سحابة هتوناً بما جسدته مضامينه الشعرية البليغة في المعاني والصياغة.. فكانت أصدق إلى النفس وأمتع للوجدان حين نتذاكر مقتطفات منها.. وإذا كان لا بد من استعراض شيء من اتجاهاته الشعرية فإنني أستعرض بعضاً من شعره الذي عني بالجانب الإنساني لدى شاعرنا الكبير والذي يمثل قدراً كبيراً من أعماله الشعرية. وشاعرنا قد أصدر خمسة دواوين لا ندري هل تمثل جُلَّ شعره أم أن الصبح سينفرج عن مجموعات أخرى تذكي الإحساس وتثري أمتنا العربية الكبيرة.. ولكن الذي بين أيدينا هو هذا الكم الكبير من ذلك الشعر الرقراق الصافي الذي يتسم بالإنسانية والوطنية وقبل هذا أو ذاك بالشعور الديني فقد أصدر مجموعاته الشعرية على التوالي:

١ ـ مطلع الفجر	١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م
٢ ـ مجالات وأعماق	١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م
٣ ـ صوت وتجاريب	١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م
٤ ـ حياة وقلب	١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م
٥ ـ تسبيح وصلاة	١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م

قال الشاعر في تقديمه لمجموعته الأولى إن ذلك الشعر يمثل ما استوحاه وهو في ريعان الشباب وقد طبعه من زمن وهو يعيد طباعته بعد أن نقحه وأدخل عليه بعضاً من التهذيب والتعديل بما يرضى هو عنه وما يرضي ذوق محبيه وقارئيه وإن كان ذلك سوف يجعل دارسي شعره في السابق أن يعيدوا تقييم دراساتهم على أساس الإصدار الجديد بعد أن تم تنقيحه أو محاولة الربط بين الإصدار القديم والجديد والإشارة إلى ذلك في دراساتهم الجديدة ليقف الباحث والدارس والناقد على التطور الشعري للشاعر خلال مراحل حياته.

ولقد أحسن الشاعر صنعاً حين أشار إلى ذلك في إصداراته الجديدة حتى لا يقع الناقد والباحث والدارس في حيرة من أمره إذا ما أراد دراسة شعره. وإن ذلك لا يعد عيباً في أن يقوم الشاعر بتنقيح شعره في فترة من فترات حياته وذلك يدلل على أن الشاعر كلما مر بمرحلة جديدة من مراحل حياته إنما يكتسب من التجربة والثقافة القدر الأكبر فتصقله الثقافة والتجربة وتمتزج الموهبة لديه بالقدرة والكفاية في الأداء ليقف بشعره بما يرضيه ويرتضيه لقارئه، وشاعرنا هو من هذا النوع الذي يحترم فكره وأدبه فيحيطه بالرعاية والمتابعة والتنقيح والتهذيب وهذه محمدة تحسب له.

وللشاعر لمسات وفاء لأصدقائه ومحبيه وأساتذته ووطنه تجسدت في شعره تكسبه طابع التقدير وتؤرخ لشخصيات جديرة بالثناء والتقدير عاصرهم الشاعر حقبة من الزمن.

وشعر الأستاذ إبراهيم فوده يتراوح بين المد والجزر في الكم والكيف ففي بعض قصائده تصل أبيات القصيدة إلى أكثر من ستين بيتاً، وهناك أبيات معدودة لا تصل إلى درجة القصيدة وإنما تعبر عن خواطر يبدو أنها حالات إلهامية تطارد شاعرنا فلا

ينفك حتى يضعها على الورق. والمدقق في شعره يجد أن الكلمة لديه تنطق ولا ترمز والصورة لديه تعبر ولا توحي.

ونستعرض بعضاً يسيراً من الجانب الإنساني في شعره وذلك في ديوانه الأول من قصيدة له:

لا بارك الله في دنيا يهون بها　　　شأن الكرام وتعلو بالأخسّاء

فكم جهول تزيّى كالعلم وما　　　يدري من العلم إلا فضل أسماء

وفي قصيدته (صبر وشباب) من الديوان الأول نفسه يقول الشاعر:

صبرت على مثل وخز الإبر　　　صبرت وطوبى لحرٍّ صبرْ

صبرت مما راعني أن يطول　　　على المدى أو عراني الضجر

صبرت ومن شاء نيل المنى　　　تأنى فنال بلوغ الوطر

وفي ديوانه الثاني (محاولات وأعماق) يقول في قصيدة بعنوان (أمي):

أمي ومن فقد الأمومة　　　شبه من فقد الحياه

هي شحنة الحب التي　　　بلغ الوجود بها ذراه

وكأنها في الحي سرّ　　　الكهرباء لمن وغاه

لولا الأمومة لم يعش　　　طفل بلا صدر رعاه

ومن ديوانه الثالث (صور وتجاريب) أبيات بعنوان (أسلك الحسنى):

افعل الخير ولا تأسف على　　　فعله مهما يكن من ناله

فإذا كان جديراً بالذي　　　ناله منك فزد بذلاً له

وإذا كان الذي قد عقّه　　　فاسْلكِ الحسنى ودع منواله

إنني هنا أستعرض كما قلت الجزء اليسير من شعر شاعرنا عن أخلاقياته المتسامية التي تمثلت فيها شمائله فنثرها في شعره لتكون تثبيتاً لنفس كبيرة في طموحاتها ومراميها.. كريمة في طباعها وأصالتها.

إنني من فرط حبي وتقديري لشخصية الأستاذ الكبير إبراهيم فوده أكتب هذه الكلمات وهي لا تتعدى أن تكون إعجاباً بعيداً عن لغة النقد كما أسلفت. ولو قدّر لي أن أكون ناقداً أستطيع أن أسبر أغوار هذا الفن لاستطعت أن أقوِّم أعماله بلغة نقدية، غير أنني والحمد لله لست ممن يستطيعون ركوب مراكب النقد فالنقد له أربابه الذي لا أشك أنهم سوف ينصفون أعماله بما يستحق فنه وأدبه وشعره ويسجلون ما له أو عليه من قيم فنية أو سلبيات إذا ما قيض الله لشعره وأدبه الناقد النزيه المتمكن من هذا الفن. فلشاعرنا الدعاء بأن يمد الله في عمره حتى يكمل مشوار تاريخنا الأدبي المعاصر.

والله من وراء القصد...

---

١١ ـ ١١ ـ ١٤١١ هـ

الأجانب يستعملون المسواك

في الرحلة المتجهة إلى الرياض يوم الثلاثاء الماضي.. ونحن في الباص الذي يقلنا إلى الطائرة شدني منظر جميل من شيخ كبير في السن يبدو على وجهه خطوط السنين.. ذلك الرجل ذو اللون الأسمر.. واللحية البيضاء كان يحمل كيساً من النايلون يستخرج منه مجموعة من المساويك من أرضنا السعودية الطيبة وكان يقطع المساويك بمطواة صغيرة يحملها معه ويهدي لمن يجاورونه في مقاعد «الباص». وعلى مقربة منه كان يجلس نفر غير قليل من الأجانب.. فكان أول هدف له أن يهدي لكل منهم مسواكاً بعد أن يقوم بتقليمه له.

وكانوا في أول الأمر لا يعرفون ماذا يفعلون بهذه المساويك حتى رأوا من يجلسون بجوارهم كيف يستعملونها فإذا بهم يقومون بنفس العملية ويستسيغون طعمه. وفي أول الأمر كانت تأخذهم ابتسامات خجلة تنطلق منها صورة من صور النكتة.. وعندما استعملوا المساويك إذا بهم يعجبون بها وتبدو عليهم ابتسامة الرضى.. وخصوصاً أن الرحلة كانت في الصباح الباكر وفي حدود الساعة السادسة صباحاً وربما كان البعض في عجالة فلم يقم بتفريش أسنانه بمعجون الأسنان.

ولقد جلست أتأمل ذلك البدوي العجوز لماذا فعل ذلك وخصوصاً مع تلك المجموعة من الأمريكيين..؟ وعدت بالعديد من الأجوبة احتفظت بها لنفسي وأدونها الآن في مقالي.

أولاً: إن ذلك الرجل الطيب أحب أن يعطي صورة للكرم العربي في تحية الضيوف.

وثانياً: إن الفم هو المكان الذي تخرج منه الكلمة الطيبة والقبيحة عن طريق اللسان.. فهو يريد أن ينظف كل إنسان فمه عن السوء وفحش القول.. وانتشار الرائحة الطيبة.

ثالثاً: إنه يريد أن يقول للأجانب: صحيح أننا نأخذ منكم مستحدثاتكم العلمية والضرورية لحياتنا.. وعليكم أيضاً أن تتعلموا من عاداتنا وتقاليدنا.. فنحن أناس طيبو القلب واللسان والفم نكرم ضيوفنا إذا كانوا في وفادة الكرم والإنسانية ولا نفرق في التعامل الإنساني بين أحد وذلك لترغيبهم في دراسة ديننا الإسلامي العظيم ومعرفة سماحته ودوافعه الخيرة لبني البشر عامة التي يتوجها حسن الخلق.

رابعاً: ربما كان ذلك الرجل يهدف إلى إفهام هؤلاء الأجانب أن عليهم أن يبحثوا عن محاسن أمة العرب وأن لا يتعرفوا السلبيات فقط إذا كانوا بالفعل ينظرون إلى إثراء ثقافاتهم عن أمة هم ضيوفها.. حتى يستطيعوا معايشتهم خلال فترة إقامتهم.

لقد أعجبت أيما إعجاب بذلك الشيخ وأكبرت فيه هذه الخلائق النبيلة وقلت: الحمد لله إننا بالفعل كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

---

٢٣ - ١١ - ١٤١١ هـ

النقاد السعوديون

هذه القضية الصعبة.. التي لم يتجاسر على خوض غمارها الكثير من الشعراء السعوديين شباباً وشيوخاً ونساء، الجميع يطمع في ناقد يبرز عملهم وأصبحت المهمة صعبة والقضية شائكة ومعقدة.. في خلق نوعية من النقاد الذين يستطيعون سبر أغوار القصيدة المطروحة.. وليست القصيدة غير الموجودة والتي ينظر لها الخياليون من النقاد، المتسلقون على أعناق الشعراء الذين يؤسسون لمنهج أسميه (بالخيالية) أو العبثية خصوصاً ونحن نعيش فيما يسميه الغرب بالعالم الثالث وفي كل يوم يظهر لنا ناقد يعكف على دراسة كتاب ما.. ويتأثر تأثيراً غير مقنع لنفسه في المقام الأول إلا استعراضاً أمام القلة التي وهبت ملكة الشعر وحرمت من متابعة النقد بأشكاله وأبعاده التي يكون في بعضها الجدية النقدية المفيدة وفي جانبها الآخر يظهر الجانب النقدي المتعدي..

وأقول المتعدي على فنون الشعر العربي المتعارف عليه.. فيرصدون حركات الشعر المختلف عن البيئة والسلوك والأسلوب مدعين أنه مظهر من مظاهر التقدمية والتحريرية.. ويستعملون ألفاظاً غربية لا تمت إلى لغتنا العربية بشيء بغية إيهام القارىء أنهم ممن لا يشق لهم غبار وأنهم قد التهموا جميع شكليات الأدب وأبعاده ونظرياته العلمية.. ونهلوا من مدارسه النهضوية التي

ساعدت على تنمية القدرات العقلية حتى وصل العالم المتقدم إلى ما وصل إليه..

والحقيقة أن هناك بعضاً من النقاد لدينا لا همّ لهم إلا تفتيت أذهان الشباب وخلق انتماء يخضع لهم مثلما ساقهم خيالهم التافه إلى الانصياع وراء نظريات وجدليات عقيمة قد عفا عليها الدهر وانسلخت حتى من الواقع المتعايش به في مكان تنظيرها وصدورها.. وأصبحت غير ملائمة للحالة التي تعيشها الأمم التي خلق منها منظروها..

والمهمة الصعبة.. أن الشاعر يرهب الناقد.. بالرغم من أن الناقد لم يخلق إلا للشاعر.. ويتذلل الشاعر إليه بغية أن يتناول عمله الأدبي بالإشادة والابتعاد عن القدح في شعره حتى يرسم له خارطة تضم جزيرة أو محيطاً خاصاً به مجافياً للحقيقة والواقع.. ولو أنهم بحق امتلكوا ناصية البيان لعرفوا أنهم ولدوا في مجتمع عربي ولغتهم هي العربية والشعر الذي بين أيديهم بلسان عربي فصيح يختلف فيه الزمن ويلتقي في الخيال والأفكار والدوافع التي تمتزج في العقلية البشرية ولا تخرج عن حدودها المتكونة في الحزن أو الاستشعار بوطأة الظلم.. أو الغزل أو المديح وإن اختلفت في الأشكال الأسلوبية وخضعت للمذاهب النقدية.. ودرجت في مدارج الرمزية، إلا أنها لا تخرج بحال من الأحوال عن حالات شعورية يستنبطها العقل ويستنبطها الإلهام لتكون في النهاية قصيدة تعبر عن حالة من الحالات التي تنتاب شعور الشاعر.. يستفرغها عبر قلمه أو لسانه إلى القارىء الذي قد يتأثر أو لا يتأثر..

وقد يبدي الرضا عنها وقد يشيح عنها من خلال قراءته لأول بيت منها حسب الحالة النفسية والذوق الفني الذي يتطلبه

القارىء أو المتابع للشعر ومدى الأهمية التي ترد في القصيدة.. وطزاجة أفكارها التي تعبر عما يستشعره العامة من هموم واقعية تكون مثالاً لما يعتور حياتهم ومشكلاتهم. وهذا هو الشاعر الحق الذي يستطيع أن يصور قضايا أمته بأفراحها وأتراحها في أسلوب شيق رقيق يتفق وأسلوبية الحياة المعاصرة التي تعيشها المجتمعات. ولقد برز رغماً عنا نقاد استلبوا أحاسيسنا وامتلكوا قدراتنا لتطويعها حسب إرادتهم ليكون لهم أنصار وتلامذة يشبّون على أفكارهم ويرفعونهم إلى ذروة منصب ما، وهذه هي النتيجة الأخيرة التي يرمز إليها الكثير من مدعي النقد في بلادنا..

وإلا فالشاعر عليه أن يتمكن من فنه ويقول ويدع الناقد والنقد في جانب وما عليه إلا أن يؤرخ لأمته ويستشعر أحاسيسهم فيصوغها عملاً شعرياً يكون حلقة اتصال بين الماضي والحاضر والمستقبل ليستكمل الآخرون من أقرانهم مسيرة التاريخ للحقب والدهور التي يعيشونها.. وليس أدل على ذلك من قول المتنبي:

أنام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جراها ويختصم

وذلك الشاعر الذي قال:

عليّ نحت القوافي من معادنها ... وما عليّ إذا لم تفهم البقر

والشاعر الذي قال:

سأشكر نقادي اللئام لأنني ... ركبت عليهم في طريقي إلى المجد

وهذه المهمة الصعبة التي لم يستطع شعراؤنا السعوديون أن يفرضوا أنفسهم ويتجاهلوا نقادنا لأنهم في وادٍ ونحن في وادٍ آخر.. فهم يسعون إلى الشهرة لأنفسهم على حسابنا نحن الشعراء.. ولو فهم الشعراء لدينا أن المتنبي والفرزدق - وجرير - وبشّار، وأبا نواس، والبحتري، وأبا تمام، وغيرهم شعراء خلّدوا أسماءهم.. وماتت أسماء نقادهم فأصبح ناقدوهم لا يُذكرون إلا

لماماً.. وهم في مكانتهم التي وهبتها لهم فطرة السماء.. ولو تجاهلنا نقادنا فترة من الزمن لأيقظنا في دواخلهم كيف يتعاملون مع شعرنا العربي المعاصر.. وزرعنا فيهم تجربة البحث والتقصي عن الإبداعات التي غمروها بأيديهم والتي يكاد أن يطبق عليها نفر منهم ظانّين أنهم يستطيعون أن يحجبوا الرؤى عن الشعراء إلا إذا سمحوا هم وأعطوا الضوء الأخضر للمجتمع الذي هو في شغل شاغل عنهم وعن نظرياتهم التقليدية التي يستقونها ليس من أفكارهم، ولكن من أفكار غيرهم، فيضيفون عليها ما يخرجهم عن دائرة الاتهام اللفظي المتكرر.

وقد أضحكني كثيراً قول أحد نقادنا الذي استطاع أن يلقي شيئاً من الاستعباد الذهني على من يطيق قراءة أفكار الغرب وآدابه ونظرياته بهلامية كلامية وفلسفة تناقضية حتى أصبح بعض محرري صحفنا ينقادون إليهم ويعتبرون بأسلوبهم ويمتثلون لآرائهم، وهذه وصمة كبيرة في حق مثقفينا الذين شاؤوا أن يحترموا أنفسهم ويعفوا أقلامهم عن الخوض في مهاترات يريدها أولئك النقاد العابثون بغية ذيوع شهرة لهم. أقول: أضحكني قول ذلك الناقد الذي أشرت إليه حتى قال: (إن الصمت في بعض الأحيان يعتبر نقداً).. كلام سخيف وجهل مركب.. فإذا كان قد رضي هو بأن يكون ناقداً واستلذ بهذه التسمية فمن العار عليه أن لا يواكب النقد ابتداء من وطنه قبل أن يستورده.. وإلا فعليه أن يعيش في بيئة غير البيئة العربية وينهل من مناهلها ويعتنق مناهجها..

والحقيقة التي لا جدال فيها أن الشعراء السعوديين لديهم الشعر.. وهذا هو الذي جادت به قرائحهم إن سلباً أو إيجاباً، غير أن الصحوة النقدية لم تفق بعد من سباتها.. فكيف نتعامل بالجنيه

الاسترليني أو الدولار الأمريكي أو الين الياباني أو غيره من العملات الأجنبية وعملة بلادنا هي الريال السعودي..؟

لدينا شعر سعودي وشعراء سعوديون يتحدثون بلسان عربي مبين ، ونسأل نقادنا الأشاوس: من منهم استطاع أن يؤرخ نقدياً لهذه الحقبة عبر معاييرها النقدية الواقعية وشموليتها دون التحيز أو التمايز أو التخصيص النقدي أو الانتماء الاستعبادي لمجموعة يريدون فرضها على خارطة الشعر وهم ليسوا شعراء، إلا أن تكون تلك دسيسة وجهالة لا يرجى منها إلا أسماء سوف تعريها الحقائق وتكشفها البراهين وينطقها المستقبل عبر أبنائه البررة بأهلهم وذويهم وبيئتهم؟ وإنني أقول لذلك الأستاذ الناقد إن الصمت في بعض الأحيان أيضاً يعبر عن إعجاب كبير بالشاعر وحقد دفين في الناقد بعدم الإشارة إلى مواطن الاستحسان أو الإبداع أو الطزاجة والبكارة في الطرح الشعري لديه وعليه أن يعيد حساباته ويعيد قراءاته في الشعر السعودي الذي يعاصر أفضل حقبة من الزمن ويؤرخ لأهم عصر من العصور بما فيها من متطورات علمية جديدة وما يعيشه من أحداث هامة في حياة أمتنا العربية المعاصرة.. عبر المتغيرات العلمية.. وأن يتجرد من الأنا.. لينال بحق مكانه كناقد نزيه يرتفع بنقده إلى تجسيد الصورة الحية من واقعه ومجتمعه.. ويؤرخ لاسمه من خلال ما يمنحه له شعراء وطنه وإلا فالعالم الآخر في غنى عن أمثاله ولديه منظروه ومؤرخوه وناقدوه ولن يحسب في قاموسهم الأدبي إلا من خلال ما يؤرخه لشعراء أمته وبيئته.

القضية الشائكة والمعقدة:

هي أن بعض النقاد لدينا يعرفون قيمة الشعر والشاعر عبر أدوار الزمان وقيمته كاسم مرسوم على جبهة التاريخ.. وأنهم لن

يخلدوا مثلما يخلد اسم شاعر ما فلجأوا إلى نظم الشعر وإن كانت قصائد يتيمة منهم، يسخّرون بها أقلاماً من نفس الفصيلة ليتحدثوا عنها بما يريدون هم ويستقطبون أسماء أدبية لامعة في استقدامهم لتقديم محاضرات وندوات لكي يشار إلى أسمائهم فيها. وهذا ما تنتهجه بعض النوادي الأدبية عبر توصيات ساسة النقد لدينا.. وفارضي أقلامهم المستوردة علينا.. وإلا لما أصبح حظ الأدب السعودي في هذا المستوى الرديء الذي لم يتعد المحلية..

وهؤلاء وأمثالهم من عوامل إحباط الأدباء السعوديين ولكني أيضاً أؤرخ لعصر يتعامل فيه الناقد بحصيلة هزيلة بقدر تمكنه وحضوره الواقعي وأكون قد قلت كلمة حق في جانبهم. وإنني لا ألقي بالتعميم ولكن هناك من المتخصصين الأكاديميين لدينا من استطاعوا أن يرمزوا فقط إلى بعض الدراسات عن الشعر السعودي ولكنها ليست في مستوى الدراسة أو البحث الجاد الذي يفيد طلاب الأدب وعشاقه ودارسيه.. هذه مقالتي.. وربما يستيقظ نقادنا من سباتهم ويجعلوا من الجدب النقدي نماء وخصباً تزهر على راحتيه أفانين القول.. ويكون دافعاً إلى خلق إبداعات أدبية جديرة بالاهتمام والمتابعة..

لنسمع صوتنا للعالم المتقدم ونكون في مستوى الحضارة التي ساعدت وخططت على وجودها حكومة هذا البلد بما عملته وتعمله من أجل رفعة اسم الوطن والمواطن السعودي في كل مكان من أصقاع العالم.

١٤١١ هـ

إننا ننعى الحب والصدق والوفاء

الأستاذ محمد عبد الله مليباري

حين نودع علماً من أعلام الفكر في بلادنا لا نبكيه بدموعنا ولكن تبكي فينا الجوانح والقلوب.. وتنزف الأقلام.. وهي تئن من حرقة البين.. لتكتب عن رحلة في وجود أديب جعل من فكره وأدبه نبراساً يضيء للأجيال شعاعاً من قبس العلم والمعرفة.. وهو يعزف على قيثارة الزمان من أعذب وأشجى الألحان بفنه الرقيق وأسلوبه الجذاب. ولن ينطفىء ذلك الشعاع وسيظل يروي قصة حقبة من الزمان.. إلى القادم من الزمان.. لنتذاكر عبر ما تركه من إرث أدبي سيرة عطرة.. وأدباً حيًّا لم تقتله السطحية ولا العبثية ولا القومية الناقصة التي ربما تعيش في هوامش البسطاء من مدعي الفكر والأدب والعلم. حين ننعى الأستاذ الأديب الكبير محمد عبد الله مليباري فإننا ننعى الحب والصدق والوفاء.. والكلمة النابضة والتاريخ المتوهج في معاني كتبه وتراثه الخالد.. وحين نعزي أهله وذويه فإننا نعزي أنفسنا بهذا الفقد الكبير.. ونحن لا نملك إزاءه إلا أن ندعو الله أن يسكنه فسيح جناته وأن يعوض الأدب والأدباء في هذا الوطن خيراً في فقيد الأدب والكلمة الجميلة.. ندعو الله أن يلهم آله وذويه الصبر والسلوان..

---

٨ ـ ٢ ـ ١٤١٢ هـ

قراءة في قراءة ديوان الشاعر ابن عثيمين

الحمد لله والصّلاة والسلام على خير خلق الله.

بين يديّ نسخة من كتاب (قراءة في ديوان الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين) لمؤلفه الدكتور الفاضل عبد العزيز بن عبد الله الخويطر وكنت قد تعشقت شعر ذلك الشاعر حينما أهداني سعادة الأستاذ العالم الفاضل سعد بن رويشد سفر (العقد الثمين) من شعر محمد بن عثيمين.. ذلك الشاعر الذي عاش في حدقة الزمان والمكان فلم يغمض به وله جفن فكان متعدد الأغراض الشعرية مالكاً لزمام لغته لا يغلب على شعره الصنعة أو التكلف في الأسلوب أو المعنى أو المبنى - فهو شاعر مطبوع يملأه الإلهام فناً جديراً بالذيوع والخلود.

والذي يقرأ ديوان الشاعر الكبير محمد بن عثيمين يجد في شعره موسوعة بلاغية وتاريخية ودينية وإنسانية إضافة إلى روعة السبك وطلاوة الأسلوب واختيار الألفاظ. ذلك كله لا يتأتى إلا لمن كان له بعد ثقافي عميق وجلد على دراسة آثار الشعراء وشعرهم في بيئاتهم وزمانهم والتأثر الذي ينطبع في ذهن الشاعر فيقتفي أثر الفن فيهم ليجد مسار شخصيته.. ذلك ما تجسد في شعر ابن عثيمين. ونحن نجد في شعره تأثراً كبيراً بالشعراء القدامى. وإذا ما قيض الله لهذا الشاعر من يستطيع دراسة الجوانب المتعددة في شعره فإن ذلك بلا شك سيكون وفاءً

للشاعر وجميلاً يسدى إلى الأجيال القادمة من رواد الأدب والعلم وطلابه ومحبيه.

وأحمد للدكتور الفاضل عبد العزيز الخويطر هذا العمل الذي تواضع في قيمته حين قال: «فهو ليس كتاباً قام على بحث واستقصاء وتحليل وفحص وإنما هو محاولة» محكومة بعامل الوقت والتفرغ. ولعل من يحسنون الغوص بعد ذلك من أصحاب الاختصاص يختارون ما وقف دونه، وقصر عنه، ويصلون إلى أعماق الشاعر وشعره، فالدر دائماً في الأعماق وله رجاله. ومن جهتي أقول إنه بحث أدبي له قيمة كبيرة، وفيه طزاجة وبكارة ليت كثيراً من نقادنا يعمدون إلى طرق مثله ويشحذون مواقد فكرهم ليثرونا بفائدة جمة وعمل رفيع. فالحقيقة أننا أمام بحث له قيمة أدبية وعلمية إذ إن المؤلف استطاع ببراعة وذكاء أن يداعب أحاسيس المشتغلين بالأدب وطلابه بالولوج إلى التنقيب عن ذخائر ذلك الشاعر في شعره العربي الرصين وأن يقدم في بحثه شخصية الشاعر والجوانب المضيئة في شعر ابن عثيمين من خلال قصائده وأغراضه الشعرية فقد عمد المؤلف إلى تقسيم بحثه إلى:

١ ـ (بيئة الشاعر وثقافته وأثرهما على شعره).

٢ ـ السيف والرمح.

٣ ـ الإبل.

٤ ـ الخيل.

٥ ـ الأسود والسباع.

٦ ـ الصحراء.

٧ ـ حيوان الصحراء.

٨ ـ النعام.

٩ ـ الطير.

١٠ ـ الأفلاك.

١١ ـ العوامل الطبيعية.

١٢ ـ في بناء القصيدة.

١٣ ـ الانتقال من التشبيب إلى الغرض.

١٤ ـ أفكار مكررة.

١٥ ـ أسلوب الشاعر.

١٦ ـ ثقافة ابن عثيمين.

١٧ ـ ختام القصائد.

هذه العناوين التي تناولها الدكتور عبد العزيز في بحثه وما نتج عنها من تفريعات استقاها من شعر الشاعر.. وقد أورد نماذج شعرية للشاعر يتلمس من خلالها القارىء أو الدارس أو الباحث شخصية الشاعر وبيئته وثقافته والأغراض الفنية والاتجاهات البيانية التي ترسم جميعها صورة الشاعر الكبير محمد بن عثيمين.. ومن خلالها نرى البيئة التي كان فيها والحياة التي عاصرها الشاعر في أسلوب أدبي راقٍ أورده المؤلف في ثنايا سطوره التي تنمّ أيضاً عن أسلوب شاعري جميل، وجهد أدبي يستحق التقدير والاطلاع وينم عن ثقافة أدبية رفيعة ومعالجة فيها طزاجة الفكرة.. وبلاغة التعبير.. فضلاً عن العشق الذي لولاه لما استطاع المؤلف أن يبرز هذا الشاعر وشعره ليعيده إلينا بلبلاً صادحاً على أفنان الحياة.

نقرأ في شعره الشاعر الإنسان ونراه في جبين الزمان صورة لحقبة مرت تجسد تاريخ أمة ووطن لتعلن للملأ أننا أمة متصلة الجذور، عميقة الثقافة، ملتزمة بعهدها مع ربها وإنسانها، فصدق فينا قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

والمؤلف أدرك ببصيرة ثاقبة ما فات على الكثيرين من مدعي النقد في بلادنا والمتسلقين على أرياح الشهرة الذين يخبطون خبط عشواء بالكلمات ويتقعرون.. ويتغربون ويتأمركون ويتفرنسون حتى يوهمونا بأنهم قد مُلئوا ثقافة وعلماً ودراية بالآداب وفنونها وضروبها. والواقع يسألهم: أين ما قدّموه من دراسات أو بحوث تصل ما انقطع من الماضي بالحاضر وتؤهل جيلنا من طلائع أدباء هذا الوطن إلى معرفة أسلافهم من خلال إرثهم الأدبي الحافل بالنضوج والتجربة الشعرية الإنسانية ودراسة بيئاتهم وثقافاتهم والجوانب المضيئة في أعمالهم الأدبية؟

أقول: لقد قرأت بحثاً جديراً بالالتفات والتقدير ومنبعا ثرًّا للاستفادة.

أشكر لمعالي الدكتور عبد العزيز الخويطر هذا الجهد، وأشكر أيضاً ما قام به الأستاذ الكبير سعد الرويشد محقق ديوان ابن عثيمين.. وما قدمه من جهد كبير ساعد ويساعد الدارس والباحث على سبر أغوار شاعرنا الكبير محمد بن عثيمين وأطلب لهم جميعاً من الله حسن الجزاء على حسن الصنيع.

والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين.

---

٢٢ ـ ٥ ـ ١٤١٢ هـ

الأستاذ محمد حسين زيدان والفقد

حملناه وهو مسجى في نعشه.. وحملنا أمانة الكلمة الصادقة نسترجع في آثاره القيمة صورة لم تمت إيقاعاتها ولم تصمت معانيها.. حية بلسانه العربي المبين تستنطق رتابة الوقت وسطحية الألفاظ.. ووقار الأداء وقوة التعبير.. لن تأخذني دهشة الموت لأنه حق وكما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ وإنما روعني أن يسدل الستار عن فكر كان متجدداً بدماء العلم متعدد الجوانب والاتجاهات مضيئاً على جميع الميادين والساحات.. كان أنيس المجالس ورائدها.. كان لا يبخل بقلمه في تشجيع أبناء أمته من النابهين والموهوبين من غير منّ.. وكان مناضلاً قرماً في ميادين العلم لا تهدأ له فكرة.. ولا تعيبه جملة.. ولا يقيده إلا الحياء. فكم تعجز الكلمات أمام عِالم فاضل من علماء اللغة والأدب وكم ينفد مداد القلم في أيدينا وما نفدت كلماته ولا معانيه ولا أفكاره. جئت لأدبج سطوراً أعتقد أنها لا تعني أكثر من الحزن الذي استشعرت به واستشعر به الوسط الأدبي في وطننا العزيز فوجدت نفسي تهمس تقول له في استحياء: أيها النائم في جدث الفضيلة ستكون آثارك إلهاماً دفاقاً بالفكر الخلاق. سيمتدّ العمر وستظل طوداً شامخاً على قمم العلم ننهل من معينك الثر العذب ونفاخر بك رائداً من رواد حركتنا الأدبية والعلمية ولن ننسى فضلك ما حيينا نقابله بالدعاء إلى الله بأن يجعلك في زمرة الأنبياء

والشهداء والصدّيقين والصالحين جزاء وفاقاً لما قدمت منذ يفاعتك إلى أن لاقيت رباً كريماً هو أولى برحمتك رحمة الأبرار الأخيار وعزاؤنا فيك ما تركت من آثار هي كما ردّدت يوماً والذكر للإنسان عمر «ثانٍ» - رحم الله الأستاذ الكبير محمد حسين زيدان وأسكنه فسيح جناته وعوّض أهله.. وعوّض الأدب والأدباء خيراً.. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

---

٥ - ١١ - ١٤١٢ هـ

الذاكرة عند الأدباء

الأدباء كأي إنسان تتباين استعداداتهم الذهنية في استقبال الأحداث وتخزينها فمنهم من يأخذ حيزاً كبيراً من مساحة ذاكرته ومنهم من يمر لمامًا على الأحداث بحيث يتذكر القليل، وهذا الاستعداد يخضع لعوامل سيكولوجية وفسيولوجية وجميعها تخضع لكمية المخزون الحدثي في الشعور وتجاوزه إلى اللاشعور. وأعتقد أنني من أولئك الذين يملكون ذاكرة ليست مؤهلة للحفظ للمواد العلمية أو الأدبية بنصوصها التَّوثيقية ولكن الذاكرة تحفظ بعض الأشياء إلى حد ما وذلك لتعدد أعمالي وكثرة مشاغلي العملية. أما بالنسبة للشعر فإنني لا أحفظ من شعري إلا البيت أو البيتين، ولكن إذا قرأ أحد ما بيتاً من شعري فإنني أعرفه ولا يجهل عليَّ كأحد أبنائي فإنني أعرف ملامحه وسماته وأميزه من بين سائر الشعر العربي.

١٤١٢ هـ

أي بنيّ ـ الجزء الرابع ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

كتاب صدر لمعالي الدكتور عبد العزيز الخويطر وهو كتاب يتضمن تجميعاً لكثير من الأمثال الشعبية في بعض بيئاتنا المحلية والإقليمية.. وعدد صفحات الكتاب أربعمائة وصفحتين ويحتوي على مائة وتسعة وخمسين مثلاً شعبياً دارجاً على ألسنة الناس جمعت في طباعة أنيقة وحروف لا تستغلق على العين.. يزينها بعض الشروحات التي تيسر على القارىء فهم المثل في محاولة لفك رموزه وذلك لاختلاف اللهجات العامية والبيئية.

وقد اعتمد الباحث على مراجع عديدة ساهمت إلى حد كبير في إثراء معلومات القارىء لفهم الأمثال. ولقد أحسن الباحث صنعاً بهذا العمل القدير الذي يربط الماضي بالحاضر، ويعرّف الأجيال المعاصرة عن أسلافهم ومناسبات تلك الأمثال وخصوصية إطلاقها.

والأمثال الشعبية ثقافة اجتماعية لأي أمة من الأمم تعبّر عنها بلهجتها وتستحدثها من وقائع الحياة اليومية أو الآنيّة وتتطلب قدراً من اللماحية والذكاء وقدرة على الصياغة بأسلوب يسهل حفظه ولو جاء عن طريق النكتة أو التفكه أو الزجر أو الاستعطاف. وجميع الأمم بقدر ما ترتبط تراثياً بآدابها وعلومها فهي تعنى بالأمثال الشعبية الشائعة والتي جرت على ألسنة الأسلاف حتى وصلت إلى أجيالها المعاصرة، وبهذا يتشكل إرثها

الزمني عبر الحقب والدهور وتنتمي فروعها إلى الأصول. وتتواصل الشعوب بقومياتها لتستفيد من حياة السلف وتأخذ العبرة ـ وتعمل بالخبرة ـ وتتواصل بالفكرة ليتحد الجزء مع الكل وتتواصل مسيرة الشعوب في حلقات مكتملة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأعترف أنني لم أقع على قراءة الأجزاء الثلاثة السابقة ليس بخلاً مني لشرائها ولكن الظروف العملية والعلمية ربما حالت دون ذلك حتى تفضّل الأخ الأكبر في علمه وقدره بأن أكون ضمن محبي أدبه وعلمه ـ ومثلي ممن يشتغلون بالأدب ويعيشون ضمن رياضه اللطاف الظراف يستأهلون مثل هذه الهدايا القيمة يستفيدون من أثمارها ويزينون بها صدور مكتباتهم لتضاف إلى ما تحويه خزائنهم من أرصدة أدبية وعلمية يعرفون قدرها وأثرها في نفوسهم في عالم أصبح يهتم بالأرصدة المالية بدل أن يهتم بالأرصدة الثقافية والعلمية..

ومع اعترافي بتقصيري في اقتناء الأجزاء الثلاثة السابقة لهذا الجزء حتى أستطيع أن أكوِّن فكرة عن طبيعة المنهج الذي رسمه الباحث إلا أن المقدمة والتوطئة قد أفادتنا بالنزر اليسير الذي يعرّف بعمل جدّ شاقٍّ ومضنٍ، وهدفٍ سامٍ يسعى إلى ربط تراثنا بعضه ببعض في مختلف البيئات لتشكل وحدة بيئية متكاملة في أعرافها وفي أصولها لا يعيقها الفهم وإن اختلفت اللهجات ما دام أن لغة القرآن هي الأصل الذي ننتمي إليه.

ويبدو أن الباحث قد عمد في بحثه إلى خصوصية في تتبع الأمثال الشعبية ولم يشأ أن يوسع دائرة الأمثال إلا بالقدر الذي بنى عليه طريقة منهجه. وبرغم تعدد المراجع التي أوردها المؤلف فإن هناك مرجعاً وقع بين يديّ وهو من ضمن مطبوعات نادي

مكة الثقافي، وهو كتاب بعنوان (الأمثال العامية في مكة المكرمة)، جمع وشرح حسين عبد الله محضر، صدر عام ١٣٩٥هـ. جمع فيه معدّه ومُصدره ثمانمائة وثمانين مثلاً شعبياً ـ واعتمد على مراجع عديدة ومهمة. وهذا الكتاب يعتبر مرجعاً لا يستهان به من حيث الكم والكيف لندرة ما اعتمده الباحث على الكثير مما اشتمل عليه ذلك المرجع من أمثال حية تجسد تاريخ أمة وبلد.

كما أننا نود لو أن الباحث قد عني بإدراج ما يقع عليه من الأمثال لمختلف مناطق المملكة كل حسب لهجته لتحقيق المعرفة الكاملة وبنفس المنهج برغم أننا نعلم علم اليقين أن ذلك يتطلب جهداً ووقتاً ربما تضيق بهما أعمال معالي الدكتور العملية وارتباطاته ومسؤولياته الجسام.

ولكن كل ذلك لا يقلل من قيمة البحث وقدرة الباحث على إيصال أحداث التاريخ إلى إفهامنا وما خطه يراعه من سرد وشرح مبسط فيه الأسلوب السهل الممتنع، استطعنا من خلاله فك بعض الرموز القبلية التي رسمت تلك الأمثال، فهناك الكثير من الأمثال الشائعة في المناطق النجدية كان يصعب على القارىء تفسير مفرداتها لولا تلك الإضاءات الأسلوبية التي فسرت الصعب من الكلمات وأفادت بشرح المعاني ليقف القارىء على حقيقة المثل ومناسبته وغرضه ويستطيع أن يستخلص منه الحكمة ويأنس بالتجربة ويأخذ بالحذر.

كما أن الأمثال التي نقرأها ونسمعها في مكة المكرمة لم تبتعد كثيراً عن الأمثال الشعبية المصرية.. وفي كثير من الأحيان تكون نسخة مكررة لها. وإننا بحق أمام عمل كبير استطاع فيه الدكتور عبد العزيز الخويطر بأسلوبه الجذاب أن يأخذنا إلى رحلة ممتعة إلى مدن الماضي رأينا فيها أسلافنا الأوائل بأفراحهم

وأتراحهم وفقرهم وغناهم وخلقهم العربي الأصيل وحرفهم التي كانوا يمتهنونها ودوابّهم ومطيّهم وحيواناتهم وبيوتهم وزروعهم فرأيناهم صورة حية تنطلق بها أمثالهم الشعبية من خلال لوحة فنية أبدع إخراجها معالي الأستاذ الأديب الدكتور عبد العزيز الخويطر. نرجو أن يكون الله معواناً له دائماً وأبداً ليقدم لنا النافع من أعماله الأدبية التي ولا شك أنها تقدم إضافات جيدة لمكتبتنا العربية بهذا العمل الجليل، وسوف تكون مرجعاً مهمًّا ضمن اهتمامات شبابنا الملهم المثقف الذي يرى بنور العلم مستقبل أمة ووطن وحضارة.

والحمد لله رب العالمين.

---

٤ ـ ٦ ـ ١٤١٣ هـ

لا توجد أزمة ثقافة عربية ولكن أزمة مثقفين(*)

الشاعر السعودي الدكتور عبد الله باشراحيل له وجهة نظر يلخصها في أن أملح الشعر وأجمله «أصدقه» وليس كما قال الأولون (أكذبه)، وهو يرى أن الشعر العربي لا يعيش حالة انحسار، وأن الشاعر يقوم فقط من خلال إبداعاته وليس لاسمه.

آراء أخرى عديدة وردت في الحوار التالي مع الشاعر السعودي.

□ ماذا يعني لك الشعر؟

- الشعر هو قدري الجميل.

□ هل يمكن أن تحدثنا عن لحظات الإبداع والتجلي عندك؟

- غالباً ما تكون في هدأة الليل - وهذا لا يعني أن لا أنظم في وقت من أوقات الفراغ - المهم أن تكون درجة الانفعال في حالة استنفار واستشعار وإن تباينت درجات الانفعال.

□ هل هذا حقاً عصر الرواية وانحسار الشعر؟

- الرواية لم تكن موجودة بصورتها الحالية في حياة العرب قديماً وإنما كان الشعر هو الأساس والأصل.. ولا أعتقد

(*) حوار جريدة الأنباء الكويتية مع المؤلف.

أن الشعر ينحصر في حياة أمة من الأمم أو شعب من الشعوب حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

علاقة بيئة

☐ ما هي علاقة الشاعر المعاصر بتراثه من وجهة نظرك؟

ـ علاقة الشاعر المعاصر بتراثه هي علاقة ميلاد وبيئة ولغة وثقافة، وأخيراً انتماء الشاعر المعاصر من الفرع إلى الأصل.

☐ الأصالة والمعاصرة كيف تحلل هذه الثنائية؟

ـ الأصالة هي الرجوع إلى الأصل فلكل شيء أصل تتفرع منه الفروع، والمعاصرة هي المعايشة لفترة أو حقبة من الزمان وما يتخلل الحياة من ممارسات وظروف ومظاهر.

☐ ألم تفكر في كتابة المسرحية؟

ـ لقد كانت لي ثلاث تجارب مسرحية إحداها نشرت.

☐ ما هو تقييمك للأسماء الشعرية الآتية: فاروق جويدة، فاروق شوشة، محمد الفايز، البردوني، الجواهري؟

ـ الشاعر لا يقوَّم إلا من خلال عمله الإبداعي. ويقوّم أعمال الشاعر أو الأديب أو الفنان بصفة عامة الناقد المتمكن في مجاله وتخصصه من خلال معايير نقدية فنية دقيقة.

نهم للشعراء

☐ ما رأيك في الحركة الشعرية في الخليج عامة وفي الكويت بصفة خاصة؟

ـ الحركة الشعرية في الخليج لا تبتعد كثيراً عن الحركة الشعرية في العالم العربي.. أما الكويت فأعتقد أنها موضوع

خصب لإرواء نهم الشعراء خصوصاً بعد الأزمة وتجاوزها والحمد لله وتلاحظ ذلك في كثير مما يكتب شعراً.

□ يتردد بين الحين والآخر أن هناك أزمة ثقافة أو أزمة مثقفين، ما رؤيتك الخاصة لتلك القضية؟ وما هي أبعادها؟ وهل تعتقد أن هناك ثمة انفراجة حقيقية قد تحدث في المستقبل؟

- على العكس فإنني أعتقد أنه لا توجد أزمة ثقافة أو أزمة مثقفين ولكن الذي يوجد هو تحديد إقامة الثقافة طبقاً لمعايير سياسية احتياطية والمستقبل بيد الله سبحانه وتعالى.

نستورد الثقافات

□ بلا شك أن هناك عدة تغيرات طرأت على العالم، هل تعتقد أن الساحة الأدبية في الوقت الراهن مهيأة بالفعل لمواكبة هذه التغيرات أم أنها ستظل واقفة في مكانها تهب عليها ريح التغيير ولا تحرك ساكناً!

- الساحة الأدبية في عالمنا العربي تتفاعل بقدر ما يتاح لها من التواصل الفكري والثقافي لتتشارك في صنع القرار الإنساني من خلال المتغيرات العالمية، وهي ولا شك تواكب تلك المتغيرات وفق منظورها الفكري المتاح. وحتى وإن تجاوزت العقلية العربية المفهوم التقليدي والمحلي الإقليمي فإن وصولها بفكرتها وثقافتها يصبح ضرباً من المستحيل في عالم ما زلنا ننقل منه الأفكار ونستورد الثقافات كما نستورد الصناعات الضرورية والأساسية والكمالية. عالم قد تجاوز حدود الإعجاز العقلي بما وصل إليه من مستوى حضاري في مختلف الاتجاهات.. فقط على الأديب العربي أن يتقي ما يصدر إلينا من

أفكار هدامة تنتصر لأهدافها الدينية والعرقية في سبيل هدم ما بقي لنا من ارتباط إنساني ما زال يجمع بين أبناء الإسلام والمسلمين.

☐ يقولون: «أجمل الشعر أكذبه»، هل تتفق مع هذا الرأي؟ أو ترى أن الشاعر الصادق مع نفسه هو القادر على الوصول إلى وجدان المتلقي؟ أو أن براعة الشاعر تظهر في ازدواجية المعنى والأسلوب؟

- ويقال أيضاً: «أعذب الشعر أكذبه»، وأنا أميل إلى مقولة خاصة بي «بأن أعذب الشعر أو أجمل الشعر أصدقه» لأننا في زمن يتطلب منا الخروج من دائرة الخيال الواهم الذي لا يبني أمة ولا يحقق آمال الشعوب.

فالوقت الذي كانت فيه تلك المقولة شائعة كان وقتاً يميل إلى الدعة والراحة وحب التلذذ والاستماع، وكانت هواجس الشاعر القديم لا تخرج عن دائرة المحبوبة والفرس والجمل والخيمة وبعض الحروب القبلية الصغيرة التي كانت عدّتها السيف والرمح. كما أن الشعر الصادق إذا امتزج بالخيال المعتدل والترميز الذكي واختيار اللفظة أو المفردة التي تمتزج بالأسلوب الرفيع وترتقي بها الفكرة الناضجة والسلاسة الشعرية، فلا شك أنها تجسد الصورة الحقيقية لما يود الشاعر إيصاله إلى ذهن المتلقي ويداعب أحاسيسه ويكتسب التعاطف في تقبل لغة القصيدة وفكرتها والتفاعل معها.

الشاعر لسان القبيلة

☐ يواجه الشاعر مأزقاً ذاتياً بين انتمائه لواقعه ولوطنه وبين تطلعاته عبر تلك الحدود، متى يعبر الشاعر هذا المأزق؟ وهل تعتقد أن ذلك يكون دافعاً للإجادة والاطلاع؟

ـ انتماء الشاعر لواقعه ولوطنه ولأمته هو المفترض في الشاعر منذ القدم أنه لسان حال القبيلة ويعبر عن آمالها وآلامها.. أما ما يعيق الشاعر ويحد من انطلاقته الشعرية فهو الواقع السياسي العالمي الذي يبتلع كل الآمال والتطلعات ويصوغها عبر دوائره الإعلامية لخدمة قضاياه الخاصة.. ومن المعروف أن الأدب بجميع أشكاله واتجاهاته قد أسس لحضارة أوروبا منذ القدم، وأمة بلا أدب وبلا فكر أمة بلا هوية. والشاعر العربي المعاصر لم يستطع أن يخلق القصيدة المفردة أو المتميزة إلى الآن ولا يوجد شاعر التفرد إن صح هذا التعبير.. والمشكلة تكمن في حظ الشاعر أو الأديب العربي بالمعنى العام وعدم خلق الدافع للإجادة والإبداع، أما الشاعر أو الأديب فهو يمثل عالماً لا تستطيع الحدود أن تعيق مسيرته ولا اطلاعاته، وهو في تواصل دائم مع لغة الأدب في شتى أنحاء الفكر المنتسب إلى العقل الإنساني.

---

٢٨ ـ ٦ ـ ١٤١٣ هـ

العلماء.. والأدب.. والحوار

في روضة من رياض الخير وفي صالة جمعية الزواج الخيري كنا مع ثلة من علمائنا الأفاضل ونفر من رجال العاصمة المقدسة جمعت كلاً من أصحاب السماحة العلماء والمعالي: محمد بن سبيل ـ عبد الله البسام ـ عمر قاضي ـ سليمان العمرو ـ جابر المدخلي ـ عبد العزيز بن حنش الزهراني ـ المهندس عبد العزيز سندي ـ الأستاذين عبده يماني ومرعي بن محفوظ. وقبل أن ندخل صالة اجتماع مجلس إدارة الجمعية.. حاولت كعادتي أن أجتذب علماءنا إلى لغة الأدب علني أخرج بفائدة تثري ضآلة علمي وقليل معرفتي.

وما إن استفتحت حديثي متسائلاً هل يحب علماؤنا الشعر؟ إذا بالشيخ العالم عبد الله البسام يلقي علينا قصيدة في الرثاء تعتبر من عيون الشعر العربي.. ويعقبه الشيخ العالم محمد بن سبيل بقصيدة أخرى.. وتتوالى القصائد.. ويتوالى الشرح.. ويعقب كل منا بالنظر والتأمل على قوة البناء الفني في عيون الشعر العربي القديم.

ويعقّب الشيخ محمد بن سبيل بأن الشعر هو ما روته العرب منذ القدم وأن ما يطرح من شعر يزعم أصحابه أنه يأخذ الاتجاه الحداثي ليس من الشعر في شيء.. وإنما الشعر هو ما يزكّي النفوس ويرتفع بها إلى سمو الفضيلة ونبذ الرذيلة ويسحر

الألباب، ويمتع الوجدان فكراً وشكلاً ومضموناً.. وكنت أوجس في نفسي خيفة من أن علماءنا الأفاضل لا يميلون إلى ذكر الشعر.. وكأني وجدت ضالتي فيهم فاستزدت علماً وفائدة وأشعلت في نفوسهم ما كنت أجهله فيهم.. فلقد حلق بنا الشيخ البسام والشيخ بن سبيل في عوالم شعرية تمتع القلب وتسحر النفس ووجدت في أعماقهما أدباً يفيض بالمعاني ويتسامى بالعقول بإلقاء عذب ولغة عربية مطواعة لا تلمس فيها أثر التكلف أو اللحن وكأنهما يقولان ذلك الشعر لأول مرة.

ثم عرجنا على بعض أنواع الأدب العربي.. وإلى تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده.. وكيف عز العرب بالإسلام وكيف حفل تاريخهم بمجد لا يضارعه مجد.. ورفعة تسامى بها العربي المسلم بما جاء به دين محمد ﷺ.. فقد كان ﷺ يستمع إلى الشعر.. ويستعذبه وليس أدل على استقباله لقصيدة كعب بن زهير بعد أن أهدر ﷺ دمه.. وإذا به بعد سماعه لقصيدة كعب بن زهير يعفو عنه وهي القصيدة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيّم إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

إلى أن يقول:

نبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

فأهداه الرسول بردته وعفا عنه.. وقال ﷺ: إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً..

ولقد ناضل الشعر إلى جانب صفوف المسلمين على عهد رسول الله ﷺ.. فقد كان يقول لحسان بن ثابت: اهجُهُمْ وروح القدس معك.. وكان الشعر يذود عن شرف الدعوة المحمدية ويناضل جنباً إلى جنب مع السيف والرمح والنبال منذ القدم

وحتى عصرنا الحاضر. والشعر يناضل من أجل سمو الإنسان وفضيلته ويجابه دعاة الشر ومبغضي الخير على هذه الأرض.

والشعر على مر العصور يؤرخ للأحداث والأشخاص ويسجل أسماء لم نكن نعرفها برغم علو مكانة أشخاصها في زمانهم. فامرؤ القيس كان ذائع الصيت بالشعر لا بالملك.. ولولا الشعر لجهلنا الكثير عن سيف الدولة وكافور وغيرهم.. ممن عناهم المتنبي بشعره، وكل شيء قد يذهب ويبلى ويبقى الشعراء وشعرهم خالداً على مر الأزمنة والعصور، تاريخاً مضيئاً على مفترقات الحياة ويبقى من ذكروا في قصائد الشعراء أسماء لامعة في صفحات الزمان.. والشعراء الصعاليك برغم خروجهم على المجتمع وتحديهم له وإضرارهم به فإن ديوان الشعر العربي خلدهم وأعلى شأنهم في فنهم. والشعراء المحدثون من الموالي، بعضهم كان خارجاً على العرف العام والأخلاق العامة لكن ديوان الشعر العربي احتفظ لهم بما قالوه سواء كان لهم أم عليهم.

والشعر العربي حتى يومنا الحاضر.. هو سلاح فعال لتبصير الشعوب وتنويرها بدخائل الشعوب المعادية ونفسياتها وهو ضمير الأمة ولسان حالها.. ولا أدل على نضال الشعر ووقوفه إلى جانب المدفع والطيارة والدبابة والرشاش في الأزمة التي زرعها الطاغية صدام حسين، وكيف انتفض الشعر ليذود عن الحمى وعن شرف الإنسان العربي واستطاع أن يبعث تأثيراً شعبياً وحماساً وطنياً لا يزال وقعه.. وسوف تبقى تلك القصائد في ديوان الشعر العربي المعاصر تاريخاً يجسد أبشع الجرائم التي ارتكبتها يد الخارج عن وحدة الأمة العربية المسلمة صدام حسين بفعلته المشينة وهمجيته المتوحشة.

فالذين يراهنون على انطفاء الشعر العربي وتقليل تأثيره لا شك أنهم يهدفون إلى شيء آخر خطير هو النيل من اللغة العربية لأن الانصراف عن الشعر وعن العناية به يؤدي إلى إهمال تاريخه وإلى الانصراف عن التراث الجليل الموروث منه وهو من أهم مصادر اللغة العربية ومقوماتها. ولعلهم مع حسن الظن يجهلون الأثر الخطير لفكرتهم، وحينئذ تكون المصيبة أعظم لأنهم يخدمون بأفكارهم أعداء اللغة العربية الذين يرون في بقائها وازدهارها خطراً كبيراً يحيط بهم لأن العربية باب الإسلام وحصن الإسلام وهم في دورهم هذا يجاهدون لطمس هذا الفن الرفيع القدر الجليل المنزلة الذي هو ذروة سنام الأدب ولب لبابه فجميع الشعراء على اختلاف بيئاتهم وعصورهم وطبقاتهم يمثلون الوجه الحقيقي لحقب مرت لم تغفلها عيون التاريخ برغم أنها أغفلت حضارات وممالك وأمماً سادت ثم بادت.

ولنعد إلى صحبتنا الفاضلة مع علمائنا الأفاضل. إنهم بحق علماء ليس في الأمور الفقهية والشرعية فحسب ولكنهم أيضاً علماء في الأدب والفلسفة وعلوم اللغة والتاريخ.. علماء حتى في معنى التواضع الذي يرفع أصحابه، ولقد سعدت سعادة بالغة واستفدت استفادة عظيمة.. فقد وجدت علماءنا موسوعة علمية في شتى أنواع العلوم.. وعرفت قيمة العلم والعلماء والفرق بينهم وبين أدعياء العلم والمعرفة الذين يغتالون عقولنا بتشدقهم وتصلبهم دون أن يكون لهم أدنى حصيلة من زاد المعرفة. وهم يجعلون الشكل فوق الجوهر.. ويلبسون حضارة هذا الوطن وسائر أوطان المسلمين بالانغلاق والانعزال الفكري. وكان يفترض فيهم أن يتلمسوا القدوة من علمائنا الأفاضل الذين تلمسوا القدوة لأنفسهم في رسول الله ﷺ وصحابته وسلفهم الصالح..

نحن نريد علماء المسلمين على هذا المستوى من الخلق الإسلامي على هذا المستوى من الفهم والإدراك.. على هذا المستوى من الجدل والحوار.. على هذا المستوى من العلم والحب والتواضع. ونريد شعراء هذه الأمة وأدباءها من العاملين على مرضاة الله الذين ينتصرون لدينه. فاللهم اجعلنا من الفريق الذي أشار إليه القرآن الكريم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في قوله سبحانه وتعالى في سورة الشعراء في الآية ٢٢٣ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

---

٢٩ ـ ٧ ـ ١٤١٣ هـ

الدكتور القصيبي وأمير الآراء

عالم الشعر والشعراء الذي كان وما زال الدكتور الشاعر غازي القصيبي أحد فرسانه في عصرنا الحديث.. عالم يتسع في مكانه وزمانه للعديد والكثير من الشعراء منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث..

هذا العالم الذي يزخر بالشعراء الذين تتباين قدراتهم، واتجاهاتهم لا ينتمي إليه إلا كل من تسامى به الشعور.. وانتفض به الألم الإنساني في استشعار حسي وحدسي يترجمه أصحابه إلى قطع من الكلمات والمعاني تعارف على تسميتها شعراً له إطاره الخاص ونهجه الذي يذكي النفس ويأخذ بالألباب ويسحر القلوب فيتذوقه الناس.. ويستحيون تاريخهم يأخذون منه العظة والعبرة بالمعنى الساحر البديع البليغ.. ويتغنون بجميل ألفاظه.

والدكتور غازي القصيبي أحد الذين ولجوا إلى عالم الشعر فكان له شعر من الجودة والإتقان ما جعل لكلماته وقعاً على النفوس والعقول والقلوب..

وفي وقت سابق أنكر الدكتور القصيبي إمارة الشعر على شوقي السامق يرحمه الله.. مما أقام الدنيا ولم يقعدها.. وأثار بذلك حفيظة الشعراء والأدباء والنقاد في عالمنا العربي، وكنت ممن سئل عن هذا الرأي الذي أثاره وابتدعه الدكتور غازي القصيبي ضمن حديث صحفي معي نشر في جريدة البلاد أعدّه

الأستاذ زهير كتبي ضمن ما جمع وأصدره في كتاب أسماه (لا تقرأوا هذا الحوار).. ولو كان رأي الدكتور غازي رأياً خاصاً به وليس له مساس بقيمة أدبية وشعرية لها خصائصها.. ومميزاتها الفنية والأدبية التي ضربت بأطناب سموقها عالمنا العربي وتجاوزته إلى عوالم أخرى لما كان لنا أن ننحى باللائمة على الدكتور غازي القصيبي على مثل ذلك الرأي المتجني به على شوقي الذي ما زال حياً بيننا رغم أنه مات من عشرات السنين ورغم أن كثيراً من الشعراء أحياء بيننا ولكنهم في عداد الموتى من ناحية الأثر والتأثير.. ولقد سبق أن قلت إن العقاد السامق يرحمه الله سبق أن نال من شوقي وشعره ولكن العقاد بسعة علمه وعلو قامته رفض أن يكون من الجاهلين الذي يغمطون الحقائق والأقدار.. ومنزلة الناس.. فكان رأي العقاد أعظم بكثير حتى من أنصار شوقي.. وذلك دليل على أن شوقي لم يكن قدرة عادية أو قيمة اصطناعية خلقتها الظروف.. والأهواء.. وإنما كان حقاً شاعراً فذاً تميز على شعراء أمته في ذلك العصر وحتى عصرنا الحاضر ولا ينكر ذلك إلا مجادل جاهل لم يؤت من العلم حتى أقل القليل.

وكان ضمن من خالف الدكتور القصيبي معالي الأستاذ حسين عرب وشخصي البسيط.. وكثير من الأدباء والشعراء.. مما جعل الدكتور غازي القصيبي يرد في المجلة العربية في عددها رقم ١٨٦ للسنة ١٧ من شهر رجب سنة ١٤١٣هـ.. على بعض من تناولوه ومن ضمنهم شخصي البسيط راكباً مركب الدهاء والذكاء. وجاء رده على استحياء.. مؤكداً على رفضه للقب الإمارة لشوقي.. مستنداً على رأي الأستاذ محمد حسن فقي الذي لا يبعد عن رأيه وإنما هو يؤيده فيما ذهب إليه.. وكأني بالأستاذ أنيس

منصور يرد على كل متطاول على شوقي وشعره في مقاله الرائع الذي نشر في جريدة الأهرام في الصفحة الأخيرة ضمن عموده اليومي (مواقف) الذي نشر يوم الإثنين ١٦ من شعبان ١٤١٣هـ بالعدد رقم (٣٨٧٨٠) للسنة (١١٧) ويتهكم بالذين ينالون من العظماء في القدر والقدرة.

وفيما أورده الدكتور القصيبي اعتراف صريح بإمارة الشعر لشوقي.. (وكما نعلم أن شوقي لم يطلب إمارة الشعر وإنما هو شرف سعى إليه ولم يسع هو إليه). ورغم أن كثيراً من المناصب وكثيراً من الحاجات الدنيوية يجاهد الإنسان في تحقيقها وتصبح حقاً مكتسباً له بكل مميزاتها المادية والمعنوية إلا أنه في هذه الأمور الإبداعية التي تخضع لمعايير فنية دقيقة لا يكون المبدع طرفاً في سموقه وارتفاعه بها إلا إلهامه وإبداعه وعلمه.. وتجاوزه أقرانه بما أراد له الله من فضل وفضيلة. وأذكر قول المتنبي في هذا المعنى:

ولو جاز أن يحووا علاك وهبتها

ولكن من الأشياء ما ليس يوهب

أقول: لقد اعترف القصيبي لشوقي بإمارة الشعر من حيث يدري أو لا يدري أو من حيث اعتذاره بشكل فيه ذكاء الاعتذار بصورة لا تسفه رأيه السابق. ولينظر معي القارىء الكريم في هذا النص الذي أورده الدكتور القصيبي في معرض رده علينا تجاه مخالفتنا لرأيه فبعد أن استعرض جزءاً من آرائنا أورد رأي الأستاذ محمد حسن فقي الذي يؤيد رأيه من وجهة نظره، حيث قال الأستاذ الفقي (الشاعر أحمد شوقي هو شاعر كبير ولا ريب أثر شعره في جيله تأثيراً بالغاً ـ ولكن إمارة الشعر شيء آخر. ففي اعتقادي أن الأديب والشاعر والأفكار لا تأتمر بأمره ولا تخضع

لها والشاعر الموهوب سيذكره الناس في كل زمان ومكان ويشيدون به ويتمثلون بشعره فهو أمير بدون إمارة بل أكبر من أمير بشعره الخالد) وينتهي قول أستاذنا محمد حسن فقي رغم أن لي بعض التحفظ على جملة أوردها أناقشها في وقت لاحق.

ويختتم الدكتور القصيبي مقاله بهذا النص: «أقول وأجري على الله؛ هذا الرأي أمير الآراء».

لقد اعترف القصيبي بمبدأ الإمارة في الرأي وأجد أن من نافلة القول أنه طالما اعترف بإمارة الرأي ومنح الأستاذ الفقي من جانبه إمارة الشعر وأن يكون أمير الشعراء في ذلك العصر وحتى عصرنا وهو الذي أجمع الكثير على تنصيبه أميراً للشعراء.

وهو يستحق بذلك اللقب الرمزي الذي يؤكد القدر والقيمة وليس الأمر والنهي. إذن الدكتور غازي الذي اعترف للأستاذ الفقي بإمارة الآراء.. حريّ به أن لا يستنكر على شوقي أن يكون أميراً للشعراء.

---

١٨ ـ ١٢ ـ ١٤١٣ هـ

مشـــــوار

في مشواره الأدبي والإنساني الذي تفضل باهدائه لي أخي الصديق الدكتور عبد العزيز النهاري والذي صدر في ١٤١٣ هـ عن دار البلاد للطباعة والنشر.. كان في نفسي محل السمع والبصر والفؤاد لما يحوي بين دفتيه من أسلوب إنساني رفيع هدفاً ومضموناً.. وهو إن كان على شكل مقالات.. فهي ولا شك تعبر عن قطع أدبية جاءت في أسلوب نثري بديع، لم تكن كلمات ومعاني لإرضاء غرور إنساني إنما هي استشعار متواصل مع نبض الحياة والإحساس الملهم من واقع الحياة في تداخلات بلاغية وجرأة محمودة في تلمس قضايا إنسانية تمثل السلوكيات الإنسانية التي تنتظم حياتنا بشكلها الإيجابي من حيث الهدف الإصلاحي والسلبي لإظهار الجانب المعتم في حياة البعض. وهذا الإصدار بلا شك يمثل قيمة أدبية بذل فيه من الوقت والجهد ما يؤكد إضافته إلى المكتبة السعودية.

فالدكتور عبد العزيز النهاري، شأنه شأن الشعراء والأدباء، وهو منهم الذين يبحثون عن الفضيلة والترفع عن التردي والتراجع الذي يؤدي إلى تأخر الأمة في انتهاجها لبعض المواقف التي لا تمثل الواقع الحضاري الذي تعيشه مملكتنا الفتية والتي أخذت بكل أسباب الرقي والحضارة ناهيك عن الجوانب الفردية المعتمة

التي جعلت مسيرة حياتنا تسير في دائرة مغلقة من البغض والتناحر والحقد والحسد.. بما يزرعه البعض تجاه البعض من عقبات هي نتاج عدم الرضى بما قسم الله لكل إنسان..

إنه يتألم كثيراً كيف أن أبناء الأمة الواحدة تسودهم روح العدائية وكيف لا يحتكم الإنسان إلى العقل ليكون المرشد والفيصل في الحكم والسلوك. هذا الألم الذي ينبع من قلمه يجسد صورة إنسان يثور على الفهم الخاطىء والفعل العكسي للمنطق السليم.. وهذا لم يصدر من فكره لولا إيمانه بالحب للآخرين بغية الارتقاء بمجتمع مسلم يفترض أن تكون معاني الإسلام ودوافعه أحد روافد مثوله إلى الفضل والفضيلة.. فالمجتمعات لا تقوم إلا بارتقاء وعيها ومفاهيمها، وهذه مهمة صعبة من قِبل النابهين في أي مجتمع وأي أمة.. وهي لا تأتي بشكل الموعظة والنصيحة. ولن يتأتى جدواها إلا بأسلوب قريب من إحساس الإنسان العادي، وبأن يأخذ الأسلوب شكل العبرة والطرح الذي يتجسد في صورة الترفع عن الهمز واللمز لشخص بعينه وأن يكون كصورة عامة شاملة. وهذا ما عمد إليه الدكتور عبد العزيز في توجهه.

وأسلوب الدكتور عبد العزيز النهاري لا يعوزه التفسير ولا يستغلق على الذهن.. ولا تنكره النفوس السوية التي تنشد التسامي بقوة الخير ونبذ الباطل حتى نغدو مجتمعاً صالحاً يظهر التواد والتراحم فيما بينه وبين أفراده ولا يبطن العداوة لتكون علامة إنكساره وهدمه.

وجدت أسلوب الكتاب يمثّل شخصية منفردة تتميز بسهولة الكلمة.. وسلاسة المعنى ليصل إلى المتلقي في إطار النقاش الذي يتم بين الأخ وأخيه والصديق لصديقه.. والأمين لمن أئتمنه على

قضايا عصره. لم يتقعر في طرحه ومعالجته لقضاياه.. ولم يظهر لنا بمظهر غير الذي ألفناه في مقالاته اليومية التي كان يخطها ببراعة ويرسمها قلمه بريشه فنان صوراً لها مساس بحياتنا اليومية، فرأيته ذلك الفنان الذي جنّد قلمه لخير أبناء أمته، جاء ليحيل الأشواك إلى خمائل في روضة غنّاء، كتب ليكون شاهداً على مسيرة أمة وارتقاء وطن يرتفع بأبنائه الخُلّص بعيداً عن الأغراض الشخصية ودوافع الأغراض المتدنية.. إن مشوار الدكتور عبد العزيز هو امتداد لمشاوير قطعها في مسارب الحياة ولا يزال يسير مشاويره.. أمدّ الله في عمره ليستكمل مشاويره لسعادة أبناء أمته ورفاههم، والارتفاع بهم، والتسامي برقيّهم في إطار الخلق الذي يعتنقه حتى يحيل دائرة أحزاننا إلى أفراح دائمة.. ونتمنى أن يستكمل مشواره فلا زلنا نعتقد أن لديه مشاوير طويلة سوف يستكمل مسيرها لننعم بأخبارها ونأنس إلى أسلوبها ونراها نسائم تقينا هجير الصمت.. وتفتح لنا آفاقاً من الحب ليسود ربوعنا الوئام والمحبة.. فنزرع بذلك سنابل الخير ونرى اخضرار الحياة وليس جدبها.. وتفتّح القلوب للحياة كتفتح البراعم التي تهشّ للماء فتورق وتؤتي جناها أريجاً يعطر نواحينا ويغمر أعمارنا بالبشر والصفاء..

---

٢ ـ ١ ـ ١٤١٤هـ

الشاعر عبد العزيز خوجه

الأستاذ القدير الدكتور عبد العزيز خوجه سفير المملكة في الاتحاد السوفييتي غني عن التعريف، فقد زارني رعاه الله في لبنان وأهداني نسخة من ديوانه الجديد.

والحقيقة أن الدكتور عبد العزيز خوجه رجل مواقف ورجل أخلاقيات كبير، وهو بحق استحق أن يكون سفيراً للوطن لدماثة خلقه وسعة علمه ومعرفته بأقدار الناس..

ولقد أطل علينا الدكتور الشاعر عبد العزيز خوجه بشعره منذ أن قرأناه في ديوانه الأول (حنانيك). كان ذلك الإصدار يعبر عن باكورة إنتاجه الشعري ويمثل مجموعة من القصائد المتعددة الأغراض التي كانت تسير على استحياء لتأخذ طريقها بين يدي القارىء وتوجد لها موقعاً على خارطة الأدب السعودي. واليوم ونحن نستقبل ديوانه الجديد نرى ملامحه الشعرية وأدواته قد برزت بشكل يجسد صدق الإحساس والانفعال فهو يرسم خلجات نفس قد امتزجت بالحب الصادق العفيف والنبض الدفّاق.. وهو في ديوانيه الأخيرين (جئت بعد الغرق والصهيل الحزين) يتفوق في عواطفه على ديوانه السابق، فهو رومانسي حتى إنه يكاد ينسى ما حوله من فرط رومانسيته.. إننا نحيّي الدكتور عبد العزيز شاعراً ورجل مواقف إنسانية.

٢٦ ـ ٣ ـ ١٤١٦ هـ

الجوع الثقافي

لا تسألني عن زمن تجوع فيه القناعات والأفكار والثقافات في كل مكان من العالم فأراها تقتات بشتات الأنفس وانكسار الضمير وإذا بدائها يتعاظم وهزالها يتنامى مع سراب الوهم تفوقاً لا أملاً وقسراً لا إرادة.. لقد تذكرت يوماً أنني ترافقت مع فكري دهراً من الزمان ونضج بعض ما فيَّ أو توهمت النضوج، وكلما زاد عمري تقدماً ازددت يقيناً بأنني ازددت جهلاً بالمنطق والحكمة، لأن الأصوات التي ألفتها والكتب التي قرأتها والأزهار التي كنت آوي إليها في هجير الوقت لم تعد هي ولكنها تتبدل رغم إيماني بأنها الأصوات نفسها والكتب نفسها قديمها وجديدها والزهور نفسها أسماءً لا أشكالاً ولا رائحة، ووجدت أنني محتاج إلى الذهاب إلى الدكتور فربما أصابني شيء من ضعف النظر وقلة السمع.. فألفيت نفسي غير مخدوعة وأنني لم أكرهها على الاقتناع بأن ما يتبدل في ناظري وسمعي هو ضعف في مناطق الإحساس، فالكتب والأزهار والأصوات هي هي لم تتغير، وإنما تغيرت أنا، فاقتنعت أخيراً أو رأيت أن أصدّق ما ينتابني بقناعة تامة.. وبدأت آخذ الأشياء على علاتها وأمضي بها، فلسوف تمضي بي الحياة راضياً أم كارهاً.. ولكن برغم انبهام الرؤى ازداد قربي من الله فتلاشت عندي كل الصور والقناعات والإغراءات إلا أملي في مولاي وهو نعم المولى ونعم النصير.

---

١٨ - ٦ - ١٤١٦ هـ

الفارس المترجل

أخي الشاعر الأستاذ عبد الله جبر

يُحسن الظن كثيراً بي وأنا الشخص الضعيف لله سبحانه وتعالى، وقد تفضّل باهدائي قصيدةً يوم الأربعاء المنصرم في جريدة الرياض الموقرة... وهي تمثّل قمة الحب والتقدير الذي يجمعنا والذي نلتقط بقاياه في زمن أصبح الحب والوفاء والتقدير عملة نادرة وأصبح كثير من المثاليّات والأحلام البريئة التي كنا بها ولها تُحتضر في عالم الموت الحسّيّ.. وبرغم أنني قد هجرت الشعر لأكثر من سنة فإنه جزاه الله خيراً قد أعاد إليَّ ملكة الشعر في هذه الأبيات القليلة التي أهديها إليه:

باسِمٌ والرضى عليك تهلَّل ... أيها الصوت يا صديقي المبجّل

كيف ذكَّرْتَني بعُمْرٍ توارى ... كيف أرجَعْتَني لوهمي المؤثّل

كيف والريح تعصر في قلبي ... والتباريح نزفها صار مُهْمَل

كيف أغريك والجحود إزائي ... كيف أرقى المدى ومِثْلِي أعزل

كان وهماً من الزمان علينا ... وانتبهنا وفرحةُ العمر ترحل

خلْت وقتي وقد مضى وتلاشى ... ما تخيَّلت أنه كان أنبل

لا أعيب الزمانَ والعيب فيمن ... يتعالى على الأنام ويجهل

أيها الشعر يا صديقي تمهَّلْ ... لا تغنّي فدونك السمع مقفل

حالمٌ أنت بالربيع يغنّي ... تتمنى وقوّة ٱلصبر أجمل

وَأَدَ الوَهَنُ قبْلنا ألف عقلٍ ... كان للشعر فارساً وترجّل

لا تلُمْني إذا هجرتُ قريضي ... ورأيت الحياة بالصمت أفضل

أنت أدرى بعمق قدرك عندي ... ولكم ينكر الغرير ويهزل

فاذرعِ الدهر بالرضى والتسامي ... فكلانا من الجحود تحمّل

---

٢٥ ـ ٦ ـ ١٤١٦ هـ

شكوى الأدباء

أتعجب كثيراً كيف زفر الشاعر إسماعيل صبري صرخة الوفاء المجروح في أبياته التي يقول فيها:

إذا خانني خلٌّ وفيٌّ وعقّني وسددت يوماً في مقاتله سهمي

تعرّض طيف الود بيني وبينه فألقيت سهمي وانثنيت ولم أرم

ولا أدري كيف أن الشاعر لو عاش زمن الجحود الذي نعيشه والنكران الذي يقاسيه الكثير منا، أقول: ماذا سيقول.. عن مقابلة الإحسان بالإساءة القاتلة، والسعي إلى ما يهدم جمال الأخلاقيات التي ربينا عليها ورأيناها شعار حياة.. ولا أدري كيف عنّ للشاعر الكبير إسماعيل صبري أن يقابل الخيانة والعقوق بالسماح والعفو ونكران الذات وفي الموضوع نفسه يقول المتنبي:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

لقد قرأنا أمثال هذه القيم وتتلمذنا عليها.. وأكبر منها تعاليم ديننا الحنيف الذي يدعو إلى التسامح والتآزر والحب ويشدد على فعل الخير.. ويذكرنا بأن الحياة قصير معاشها وأن الباقيات هي الصالحات.

وأرفض كثيراً من المتغيرات السيئة التي اندست بين قيمنا وعاداتنا وأصبحت مؤشرات إلى الفرقة والتنابذ وزرع الشرور

وإضفاء صفة البغض بين الأحباء والأوداء فالحياة لا تخلو من الأخيار ومن الأتقياء.. ورسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول: «الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة».

أقول نحن بحاجة إلى العودة إلى كتاب الله العظيم والعودة إلى التراث الأدبي ننهل منه ما يجعلنا متمسكين بأخلاقياتنا وحبنا القديم وإيثارنا لبعضنا البعض حتى نهذب أطباعنا ونرقق أفعالنا.

---

٦ ـ ٧ ـ ١٤١٦ هـ

المحكمة

● يدخل شخص مكبّل بالحديد قاعة المحكمة، ويجلس ثلاثة من قضاة المسلمين يحيطون بالشخص المقبوض عليه مع جنود مدججين بالسلاح، ويقف المتهم أمام القضاة ويسأله

القضاة: ما اسمك؟

- هدام.

القضاة: ما هو عنوانك؟

هـدام: أرض واق الواق.

القضاة: ما هي مهنتك؟

هـدام: رئيس.

يطلب القضاة من المدعي العام أن يقرأ أسانيد اتهام..

المدعي العام:

إن هذا المجرم هو كبير المجرمين الذي علمهم الإجرام.. فقد طغى وبغى وأهلك الحرث والنسل وهتك العرض وسلب المال وتجرأ على الله بعدم امتثال نواهيه.. حيث قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ وقد قتل هذا المجرم الآلاف.. وأعدم حتى النساء والأطفال وأشاع الفساد في الأرض وشتت جمع الإسلام والمسلمين.

القضاة:

ماذا تقول فيما هو منسوب إليك أيها المتهم؟

هدام:

أيها القضاة أنا رئيس دولة.. ولي حصانة وعسكري مدد.

القضاة:

كنت كما تقول.. وخنت أمة العرب وقد أبحت هتك العرض والأهل والولد.

هدام:

يا ضيعة المجد،

أأفتدي بالمال ما أفتقد؟

القضاة:

المال لا يردّ للحياة ملتحدْ

المال لا يفيد مستبدّ.

هدام:

إذن فقوتي عددْ.

القضاة:

اليوم أنت منفردْ

قد زال عنك الحكم والصولجان والسندْ

هدام: شعبي يريدني.

القضاة:

الشعب يا هدام في كمدْ

جعلته من هول ما صنعت يرتعد

جعلتهم دمى تركتهم بددْ

وكلهم للثأر منك مستعدّ

هدام:

يــا شــعــبي.. يــا شــعــبي

الصدى:

لــن يــجــيــب يــا هــدام مــن أحــد

الــيــوم يــوم الــعــدل فــاقــتــصــر

فــأي مــوت تــشــتــهــي

بــالــســيــف؟ لا...

بــالــرصــاص؟ بــالــصــواريــخ؟

هدام:

ويــلاه! إنــني الــذي أذنــب دون حــدّ

قد جئت أطلب السماح والغفران هل أجد؟

القضاة:

أخــصــامــك الــذيــن أعــدمــوا عــدد

وهــم مــضــوا لــحــتــفــهــم كــمــا أردت

ولــتــطــلــب الــســمــاح مــنــهــم.

هدام: لكنهم قضوا وليس من أحد.

القضاة: بل كلهم شوق إلى لقائك النكد.

تمضي لهم للتوّ فاستعدّ

يا نقمة الإله وعده الذي وعد.

هدام: أتوب أيها القضاة.. لا أريد الموت.

القضاة: بل تموت ما رحمت من أحد.

الحكم: اصلبوه شهراً.

وطوّقوا عليه كل الناس

والعَنوه لعنة الأشرار للأبد.

النساء والأطفال - فرحون يتغّنون بالنصر - وهم يطوفون على هدام وقد نفذ فيه الحكم.

سحقنا زمرة الأشرار بددنا نواحيهم

محونا ما أراد العار راح العار يبكيهم

وشاعت نقمة الجبار ترديهم وتفنيهم

فحمداً عالِمَ الأسرار

---

١٦ - ٨ - ١٤١٦ هـ

د. محمد مصطفى هدارة (رحمه الله) للوفاء.. لا للمعاصرين

كان لزاماً عليّ أن أستجمع بقايا الحلم الجميل والأمل الطائف عبر نفحات السنين التي كانت أشبه برحلة ملخصها الحب والشعر، والأدب وانتهت دون وداع.. بل إلى لقاء.

حوادث الزمان كثيرة وفجواته أعظم.. لقد أصبحنا نرى السفر تتسارع خطاه إلى دنيا الآخرة وفي كل يوم نفجع بحبيب أو صديق أو أديب فذ، ترك عبيراً ما زلنا نشم أريجه عطراً من محاسن الأخلاق.. وعمق الأدب وغزارة العطاء..

وفي هذه الأيام تفقد الساحة الأدبية علماً من أعلامها ورائداً من روادها هو الصديق العزيز أستاذنا الكبير الدكتور محمد مصطفى هدارة الذي ما زالت آثاره تطوف بنا وكلماته تتوقد فينا وتذكي أحساسنا.. علماً ينتفع به وهو الذي يظلله في قبره وعند باريه بإذن الله.. كم كنت أود أن أتحدث عن هذا الأديب الكبير.. ولكن ربما لا تسعني السطور.. ولا تسعفني الكلمات لأن الذكرى التي أحملها له هي هموم جمة كنا نتقاسم أثقالها المحزنة في زمان آخر ما فيه وما نراه ونسمعه هو الجحود.. ورحمك الله يا أستاذنا الكبير الدكتور زكي نجيب محمود حينما قلت: ويل للمعاصرين من المعاصرين، ولم نخرج عن دائرة النسيان.. ودائرة

الأحزان.. ولو أن الموت حق على كل إنسان ولكنّ الذكرى والوفاء هما أيضاً حق لمن منحونا ذلك الحب وذلك العطاء.

وحتى تتواصل قطرات الوفاء دعاء يكسب المرتحل أجر الدعاء ويظلل جنبات الإنسانية لحن الأوفياء.. رحمك الله أيها الأستاذ الكبير الدكتور محمد مصطفى هدارة رحمة الأبرار وجعلك في زمرة الأنبياء والعلماء والشهداء والصدّيقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

---

٢٦ ـ ٢ ـ ١٤١٧ هـ



الباب الثالث

جزئية فلسفية



مقاطع إنسانية

الليل صديقي

منذ خمس وعشرين سنة مرت من عمري.. وأنا أعرف ذلك الداجي المحلولك أسامره.. ويسامرني.. أشكو إليه جراحاتي.. وأستلهم منه خطراتي وتهاويمي وأحلامي.. وآمالي..

كنت أحلم إليه بخفقي وعيوني.. أتحمل عتبه وزجره لي فهو قصيدة شعري التي أكتبها بأحلام الأطفال وشدو السيارة إلى قراهم.. وأنين المغتربين عن أيامهم.. لم أتعمد قط أن أنساه أو أن أهجره، إنه الليل صديقي.

الوحدة ليست وحشة

من يظن أن الانفراد أو الانعزال للإنسان مجلبة لضيقه.. وقسوة على النفس فهو مخطىء..

فالوحدة أنيس صادق وخيال يتعشقه الفنانون.. ويهفون إليه.. وأنا أجد في وحدتي نفسي.. وإنسانيتي.. وصدقي.. وبراءتي وأحلامي وآلامي وأراها لذة ومتعة وليست وحشة.

صفات إنسانية

الطيبة ـ الوفاء ـ الحب ـ النبل ـ الكرم ـ الصدق ـ الإيثار ـ العطف ـ الرحمة ـ كلمات تنطوي تحت مدلول الإنسانية الخيّرة.

وفي المقابل.. المكر ـ الغدر ـ الهوان ـ البخل ـ الكذب ـ النكران ـ القسوة ـ التسلط.

وهذه تمثلها الإنسانية الشريرة

وكل هذه الصفات تكمن في دواخل النفوس.. تستدعيها الظروف المؤثرة إليها.. وليست أفعالاً تقوم على الأمر والاكتساب الحياتي إلى حد ما. وإذا كان هناك من يعتقد خطأ ذلك القول فإنني سوف أطلب من الإنسانية جمعاء أن يكونوا:

طيبين ـ أوفياء ـ محبين ـ نبلاء ـ كرماء ـ صادقين ـ عطوفين ـ رحماء.. مؤثرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

فهل يستجيب هذا العالم الإنساني إلى هذا النداء بمدلوله الخيّر وينهي الجانب المقابل أو المضاد له.. الموسوم بالشر بما تحمله معانيه وصفاته ولو ليوم واحد؟ أتمنى.

إعلان مثير

تعلن الشركة الإنسانية العالمية.. أنها استطاعت إنتاج دواء السعادة وهو مركّب من محلول (أحب لأخيك ما تحب لنفسك) وسترات (القناعة) وفيتامين (الحب).

وكلاء التوزيع: القلوب الإنسانية. القيمة: الإيثار.

ولا يزالون مختلفين

الطبيعة الإنسانية طبيعة متقلبة مختلفة.

نفوس تبنى بالحب - ونفوس تهدم بالبغض.. ولكلا الفريقين مؤيد ومعارض وقد يظلم الطيب ويندثر.. ويرتقي الخسيس الشرير.. وهذه ظاهرة صحية لحياة الناس لكي تتحقق الطموحات البشرية مهما تباينت فقد صدق فيلسوف الشعر - المتنبي - حين يقول:

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها   سرور محب أو إساءة مجرم

ولو لم يكن الشر موجوداً.. لما كان للخير وجود.. لأنهما ضدان متنافسان على البقاء..

هل تجتمع القلوب على محبة شخص؟.. لم يحصل قط.. وهل تجتمع على كرهه أيضاً؟ لا.. ولو نظرنا لكل شيء في هذه الحياة لوجدنا أن له ضداً.. فالحب ضده الكره، ولكل شيء في الوجود ند.. وهو أمر طبيعي. والمتفوق.. لن يكون واحداً في هذا العالم.. فكل يتفوق في مجاله.. مهما اختلفت المعايير والمميزات.. فلن تجد متفوقاً وحيداً أو شريراً منفرداً أو طيباً يحتل مثالية الزمان.. أو عالِماً يمتلك العلم له وحده ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

ولكن طبيعة النفس الإنسانية جبلت على التعالي والمكابرة والازدهاء والصلف والتجبر.. والعطف والسماحة والرقة والحنان أمور طبيعية مفطور عليها الإنسان. قد يُعرف إنسان بالخير.. كما يُعرف إنسان بالشر.. وقد تكون الصفتان مصدري إعجاب لأصحابهما.. أو مصدراً عملياً للامتزاج بمسيرة الحياة.

وقد تحس ببغض كبير لشخص «ما» تراه دون أن تعرف عن نفسيته وعن سلوكياته شيئاً وربما كان صافي الود.. نقيّ السريرة وقد يكون عكس ذلك.

وترى المتحذلقين، والمنافقين، والمرجفين وأصحاب النفوس الضعيفة والعقول السطحية تتلمذ على أقوالهم وتأخذ بما يصمون ويصفون.

ويزرعون الأباطيل ويكيلون الشتائم.. في غفلة عن صاحبها.. يأكلون لحمه بدون حق كما قال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وهناك ثلة المجاملين الذين لا تجد غضاضة في أقوالهم.. ومن مسايرتهم لأن مصدر الضرر في ذلك غير وارد.

وهناك الصادقون في القول والعمل.. لا يحابون ولا يعتنون بالصغائر بقدر عنايتهم بالعمل المخلص الجاد وهؤلاء قلة.

نخلص من ذلك أن الخير ضد الشر.. وكلاهما موجود بقدر الاستعداد الفطري وتقبل النفوس لهما..

والخير طريق صعب إذا قوبل بالجحود والنكران في الذات التي عرفت أن طريقها الشر.. ولسوف يكون فاعل الخير من النفائس التي وإن تكتم عن أفعالها وحجب ضوءها ناكر الفضل.. فهي تريح صاحبها وتجعله في سعادة لا يعدلها أي شيء في

الكون.. فترى زمرة الشر.. وقد ألقت عليها أشرعة من الإيهام، وكما قال الشاعر:

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني   إن النفيس غريب حيثما كانا

ليس هناك أثمن من الحب للحياة وللإنسان.. وللكون الذي نعيشه ولكنه صعب على بعض النفوس لأنها لا تعرف أساليبه ومعطياته.. ولن تستطيع أن تزرع الحب والمودة والإخاء في نفس تبغضك لأن هناك شيئاً يجعلها تحس أنك سوف ترتقي عليها. فلا النصح يجدي معها.. ولا الردع والعذر إنها الحياة والفطرة فقد يتمنى الإنسان أن يكون الأفضل.. ولكن حساباته مع الزمن مفقودة في كثير من الأحايين وثقته بأنه يسير في الطريق الأمثل وهو يسير في الطريق المعوج.. وهذا مثار الخطيئة والخطأ. ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة..

---

٢١ ـ ٧ ـ ١٤٠٧ هـ

الفــرح والحــزن

لا أدري أيهما أسبق في التكوين الفرح أم الحزن؟ وهل هما متساويان..؟ وتساءلت مرات: هل يتساوى الفرح والسعادة مع حالات الحزن والاكتئاب النفسي في جميع تكويناته وعبر أدوار الحياة والزمان؟ ورغم اطلاعي وبحثي المتواصل في كتب الفلسفة التي تهتم بالدراسات النفسية والإنسانية إلا أنني لم أخرج بمحصلة نهائية ولا بصيغة علمية تؤكد حقيقة التساوي وإن كانت حقيقة التناسب أو التعادل الافتراضي مقنعة إلى حد ما ولكني أظن أن الحزن هو الغالب على بني البشر والشكوى هي ما يتصدر حياتنا والاحتدام بين الإنسان وبين أخيه الإنسان هو الأكثر شيوعاً وأهم ذيوعاً.. فهل تفوقت النسبة بين كمية الحزن على كمية الفرح في زماننا المعاصر من خلال المستحدثات التدميرية الجديدة؟ وهل يؤدي ذلك إلى تغيرات طبيعية في الكون.. أو تأثيرات الزيادة البشرية وتكالبها على وسائل المعيشة الضرورية للحياة لبني الإنسان فأصبحت موارد الحياة تقل عن حاجة تلك الأعداد المستمرة التوالد في بني البشر؟ أم أن المنافسة لا تعتمد على المادة كمؤثر لدواعي الحزن وأن المؤثر الحقيقي هو المنافسة على عظمة الذكاء في العقل الإنساني ومن هنا تنشأ المبتكرات التدميرية أو المبتكرات المعقدة في تسيير دفة الحياة

رغم الاستحداثات التي سخّرت موارد الطبيعة لحياة الإنسان.. ولكن ظواهر التعقيد تبدو أكثر تأثيراً على النفس الإنسانية؟

والعقل الإنساني لم يبتكر في نظري إلا أنه استطاع التبصر والتأمل والتدبُّر في تكوينات الله العجيبة والمعجزة فبدأ في تقليدها بعقله الذي خلقه الله له. فلو نظرنا نظرة سطحية بسيطة إلى الجمل وهو سفينة الصحراء فقد جعل ذلك المتدبر في صنع الله وإبداعه إلى ابتكار السيارة كذلك الطير الذي يطير بجناحيه.. جعل الفكر الإنساني يخترع الطائرة و.. و.. الخ.. وقد بيّن لنا القرآن العظيم في مواضع شتى من الإعجاز الإلهي الذي ترك للعقل وسمح له أن يتدبر ويتبصر ويتفكر في خلق الله في حدود مقدرته التي وهبه الله..

وعلى الرغم من هذه الحقائق التي نشاهدها والتي ربما لم يصدقها أسلافنا في زمانهم لو قيل لهم ذلك إلا أن الرسول ﷺ قد أخبر عن معجزات سوف تحدث في آخر الزمان ولقد حدث الكثير بما أخبر الرسول العظيم ﷺ والذي لا ينطق عن الهوى.

وبالرغم من تبسيط جميع مشاكل الحياة لبني الإنسان وادعائه الحضارة إلا أن النفوس متعبة مكتئبة.. تنشد شيئاً لا تعرف كنهه يقال له الراحة النفسية.. وما هي الراحة النفسية وكيف تحصل؟ ومن هو الذي استطاع أن يمتلكها وهو على هذه الأرض؟

وإلى الآن وحسب قناعتي إن الحزن يتفوق على الفرح والسعادة تفوقاً ملحوظاً والسبب في نظري هو العقل الذي يتقد لكي ينافس ويصارع على الخلق والإبداع والابتداع وهو إلى الآن لم يخرج عن مكونات الطبيعة ومحاولة تقليدها حتى في بلوغه إلى طبقات الفضاء، والأكثر إعجازاً من ذلك الإسراء برسول الله

إلى السماء وهذا ما حدا بالعلماء والمفكرين إلى محاولة الوصول إلى العوالم الأخرى، وقد يسّر لهم الله ذلك لأمر وحكمة يعلمها هو جل وعلا وحتى يكون اليقين في النفس الإنسانية.. ولسوف تقف دورة الحياة يوماً ما ويعجز العقل عن تطبيق إرادات خارجة عن تكويناته العقلية كإنسان لم يؤت من العلم إلا قليلاً لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] فالقرآن قد أضاء للعقل الإنساني الكثير والكثير ولكنه في علم الله أقل القليل.. فهو الذي يعلم السر وأخفى..

إذن فهل استطاع العقل الإنساني أن يبدع ويبدل حالات الاكتئاب النفسي بمستجدات تجعل الإنسان في راحة بال؟ لا أظن ذلك لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ ويقول المتنبي:

فما يدوم سرور ما سررت به ... ولا يردّ عليك الفائت الحزن

وجميع الشعراء والعلماء والفلاسفة يشتكون من عصرهم كما قال المتنبي شكوى الجريح إلى الغربان والرخم وما من أحد يستطيع أن يمنحك السعادة وإن مُنحتها فهي وقتية وتريد سعادة أخرى من نوع لا يعرفه الإنسان، وكلما بلغ الإنسان السعادة زاده الحزن تعاسة وأملاً نحو المزيد من السعادة ولكن هيهات حتى يبلغ الله أمره ويجتمع البشر في يوم معلوم.. وتنزع أغلال الغل والحقد والحسد والتباغض والتناحر والتنافس والظلم، فما أشقى العقل بدنيا يعلم أنها زائفة وزائلة.. وهو رغم علمه بذلك إلا أنه يواصل مشواره في طرق جميع الرذائل والمخزيات، وفعله للخير لا يتعدى الفعل الضنين بالشيء وهو يريد أن يدّخر كل ما يجده لنفسه والأنا تحكمه والنرجسية تمتلكه في التصنع والتباهي.. إلى

أن نرجع إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ وذلك في الجنة التي وعد الله المتقين بها فالكل في شغل شاغل بما أعطاه الله، يومها يحس العقل بأن لا تنافس ولا ذكاء ينفع إلا من أتى الله بقلب سليم فيموت الحزن ويحيا الفرح والسعادة والفوز برضى الخالق وهذه هي السعادة.

٧ ـ ١ ـ ١٤١١ هـ

الظلـــــم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

هذا البيت من معلّقة زهير.. وفيه جانب من جوانب القانون الحياتي الذي استلزمت ضرورة الحياة الجاهلية الأخذ به كمعيار للحياة الكريمة برغم التناقض الذي يبدو واضحاً في صدر البيت وعجزه.. ففي صدر البيت يقول الشاعر:

١ ـ ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه... يهدم

وهذه دعوة حق تشتمل على وجوب الدفاع عن الحق الإنساني المشروع له.. وأن يكون له قوة للدفاع عن النفس والمال والعرض.. والإسلام شرع القتال دفاعاً عن المال والأهل والولد والوطن.. ومن مات دون ذلك فهو شهيد بنص الحديث النبوي.. فالدفاع عن الحق الشرعي حق مكتسب لكل إنسان وعبر كل القوانين سواء القانون السماوي الذي صدر من الإله والقانون الوضعي؛ وفي عجز البيت من معلقة زهير يقول:

٢ ـ ومن لا يظلم الناس يظلم

وهنا منتهى التناقض المنطقي إذ إن العدل هو القانون الإلهي الذي شرعه الله وكان من أسمائه سبحانه (العدل) فكيف أراد الشاعر الجاهلي أن يسنّ خليقة تتعارض مع أبسط القيم

والأعراف الإنسانية.. إذاً كيف يدعو إلى المبادرة بالظلم وأنه إذا لم يظلم الإنسان الناس فإنهم يظلمونه؟ ربما كانت الحياة الجاهلية أكثر تعرضاً لنواحي الظلم وموجباته نظراً لقسوة الحياة وصعوبة العيش المستقر الآمن.. وأن الظلم كان أحد دوافع البقاء لأنه اعتبره ضرباً من الشجاعة ولو أنه أدخل شيئاً من التحوير على عجز البيت لكان أوقع في النفس البشرية كالقول:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يدفع الظلم يظلم

والظلم تطبعت به النفوس منذ بدء الخليقة واعتمد على القوة ـ ولكنه صفة مذمومة.. إذا إن الظالم يستشعر بالندم تجاه ما اقترفه من ظلم وهذا يشكل له كثيراً من القلق ولو أبدى التجلد.. على عكس المظلوم الذي يرفع يده إلى السماء يقول (يا ربّ إن فلاناً قد ظلمني) فيرزقه الله الصبر الجميل والطمأنينة إلى عدل الله، ولو لم يقتصّ له في الدنيا فإن الثواب العظيم سينتظره في الآخرة.

وبعض النفوس لا تستشعر بظلمها للآخرين سواء بالفعل أو القول وتراه حقاً يكتسبه المرء بجبروته وعنفوانه وتسلطه وهذه الطامة إذا لم يفهم المرء حقيقة أمره في هذه الدنيا.. وخيّل إليه أن الزمان والمكان له فإنه بذلك يكون جاهلاً مغروراً لأن الأعمار والمسافات قصار والموت أقرب إلينا من حبل الوريد. وقد قال المتنبي رحمه الله:

ومراد النفوس أكبر من أن ... نتعادى فيه وأن نتفانى

غير أن الفتى يلاقي المنايا ... كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا

ولو أن الحياة تبقى لحيٍّ ... لعددنا أضلّنا الشجعانا

والزمان هو الزمان والناس هم الناس فيهم الشرير الظالم لنفسه ولغيره وفيهم الخيِّر الطيب الذي لا يسعى إلى ضرر بالآخرين.. والتعميم المطلق على الخير أو الشر في الناس جميعهم ضرب من الوهم والخطل فكما أنه يوجد الطيب أيضاً يوجد في المقابل الشرير الظالم. يقول الشاعر:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلّةٍ لا يظلم

على عكس النظرة في التعميم التي تتضح من أبيات المتنبي حيث يقول:

ومن عرف الأيام معرفتي بها
وبالناس روّى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به
ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

فإن نظرة المتنبي في هذين البيتين نظرة انتقامية من الزمان وأهله، ويبدو أن تأثره ببعض مجريات الأحداث نظراً لتفوقه على كثير من أقرانه أكسبه عداوتهم فأصبحوا يكيدون له ويشون به وقد ترك ذلك في نفسه رواسب جعلته يفقد الثقة في الناس وفي الزمان.. على عكس الروح المتفائلة الطيبة التي تتجسد لنا في أبيات إسماعيل صبري باشا إذ يقول:

إذا خانني خلٌّ وفيٌّ وعقّني
وسددت يوماً في مقاتله سهمي
تعرّض طيف الود بيني وبينه
فألقيت سهمي وانثنيت فلم أرم

وكان أبي رحمه الله، والمسلمون، لا يدعو على من ظلمه إلا بقولة (الله يكافيه) وفلسفته في ذلك أنه لا يريد أن يشترط على الله في عقابه للظالم.. وكان دائماً مقتدراً في العفو على من ظلمه وقد كان يقول لنا (أي بني لا أحب أن يطول بي الوقوف يوم الحشر لاقتضاء حقي من خصمي لأنني أطمع في عفو الله عني فلا أحب أن يوقفني خصمي عن بلوغ المأمول في ربي.. فإنني أحتسب كل ظلم عند الله يعوّضني الله به أجر الصابرين على الظلم).

إن الحياة بها من المكاره والمظالم ما تنوء بحمله الجبال والنفوس الكبيرة العارفة لكتاب الله تعلم أن الظلم ظلمات يوم القيامة.. وفي الدنيا كثير من الشواهد من جعل الظلم قانون حياته لاكتساب حق غير مشروع أو لتحقيق غرض دنيوي أو رمي مؤمن ببهتان أو فتك الإنسان بأخيه الإنسان بغية الارتقاء والارتفاع عليه وكم من الظلمة القساة يعيشون في هذه الدنيا ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً أو أن الله غافل عما يعمل الظالمون ويحاولون أن يأمنوا مكر الله وكما قال سبحانه: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ وليس أعظم من الحديث القدسي الذي يقول فيه سبحانه وتعالى:

«يا عبادي إنني حرّمت الظلم على نفسي.. فلا تظالموا».

اللهم آت نفوسنا تقواها.. وزكّها أنت خير من زكّاها أنت وليّها ومولاها.

---

١ ـ ٤ ـ ١٤١١ هـ

الإنسان والحب

غيظي بماءك أيتها السماء.. وارعدي.. واعصفي أيتها الرياح كما يحلو لك لن تقف الحياة، ولن تحبس الفصول.. ولن يمسك الهواء عن الأرض ولن تتغير الشموس والنجوم والأجرام عن أماكنها المقدّرة لها.

فالحياة مشتعلة بالنبض الإنساني، ميلاد.. وموت وهدوء ـ وصخب.. وخصب، وجدب..

أنت أيها النائم في مهد الفضيلة ـ منذ أحلام الطفولة وحتى تباريح الكهولة أيها الضاحك الباكي.. علام تضحك وإلام تبكي.. فها هي إرادة التكوين الإلهي تمدك بفطرة الحياة ـ فتتمثل تلقائية الوجود.. لأنك الإنسان بجميع تكويناته، ضعيفاً ـ قوياً ـ ضعيفاً.

تتلاشى في هيولى العدم.. لتعود نشأة أخرى إلى حقيقة الحياة الخالدة كما وعد بها الرحمن.. تلك مرحلة انتصاب الموازين ـ واجتماع الخصوم.. عند مليك مقتدر.. وهو الحكَم بين العباد في يوم المعاد كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

تعال أيها الإنسان نتفكر في خلق الله وفي أنفسنا وفي موارد الطبيعة التي أوجدها الله وسخّرها للإنسان. فتعال ننظر إلى الجمال في كل شيء في الوجوه وفي الغيوم ـ وفي المطر الهتون ـ وفي الشجر والطير ـ والحيوانات والجبال والبحار والأنهار

والحشرات وكل ما خلق الله تعالى.. نستخبر الماضي عن أمم غبرت وعوالم اندثرت.. كانت بقاياهم أطلالاً وذكراً.. وسوف نصير بعد ذلك كما صاروا إليه.

تعال أيها الإنسان.. نعتنق الحب الخالد.. نقتبس النور من الخير.. وندوس على مكامن الشرور في نفوسنا.. وننزع أغلال الغل من قلوبنا.. ونحتضن بعضنا بعضاً ويؤثر كل من فينا الآخر.

تعال أيها الإنسان أحبك لأنني منك الجزء وجميعنا يمثل الحياة ما دمنا بها..

تعال أيها الإنسان لا تغضب مني ولا أغضب عليك وإذا تغاضبنا فسرعان ما نعود لأنك الإنسان أنت أخي وأنا أخوك بقدر ما نغضب نرضى.. وبقدر ما نكره نحب.. غير أن الأوقات والأمزجة والتخمين والظنون والارتفاع والانخفاض كلها أمور تحدث ليتم بيننا التنافس على الفضيلة.. نتقاسم فيها وبها استنشاق الهواء.. وشرب الماء.. والأكل وكل ما حبانا الله فلن تزيد حاجتك عن الحق في اقتسام الهواء والماء والأكل.. أما الحظوظ الأخرى فهي هبات الله لك ولي اختباراً لتجاوز الدنيا إلى الأخرى طمعاً في الفوز المرتقب.. فتعال إلى نفسي أقول لك من شعري:

ليتني الحب في قلوب الحيارى ... يدرأ الحزن عن شغاف القلوب

ليتني الزهر منظراً يتراءى ... لعيونٍ تقرحت... بالنحيب

ليتني البدر في السماء منيراً ... عتمة الليل في الفضاء الرحيب

ليتني الدوح والبلابل حولي ... منشداتٌ بـرائع وطروب

ألمحُ السعد بالبشائر يغدو ... ضاحك الثغر بالمنى للغيوب

---

١٥ ـ ٤ ـ ١٤١١ هـ

الدعوة إلى الله

إن الدعوة إلى الله ورسوله هي رسالة كل مسلم غيور على دينه وعلى حرمات الله ـ وطريقة الدعوة إلى الله ورسوله لا تأتي من فراغ. بل يتطلب ذلك عمقاً كبيراً في الإلمام بكتاب الله وسُنَّة رسوله وما سار عليه أصحاب رسول الله رضي الله عنهم.. وما اجتهد فيه أئمة المسلمين رحمهم الله.

والداعية: هو إنسان يفترض فيه النزاهة إضافة إلى الإلمام بالنواحي الفقهية وأن يكون على قدر كبير من رحابة الصدر وقدرة على الإقناع وأن لا يضيق ذرعاً بمن طلب التبصر في أمور الدين فيبادره بالتعنيف والقسوة بغية إخفاء عجزه وعدم الكفاية البيانية في إلقاء المواعظ والنصح والإرشاد بالاستدلالات القرآنية أو السُّنة النبوية التي هي مشعل حياتنا ـ وعصمة أمرنا.

وإن أسلوب التعنيف والتحقير للإنسان ليست من الدين في شيء إلا إذا كانت تمسّ محارم الله ـ التي شرعها لنا رسول الله ﷺ وأبان لنا حلالها وحرامها.

وإذا كان رب العزة سبحانه قد قال لرسوله وهو يعلّمه كيف تكون أصول الدعوة إليه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ فما عسانا نحن أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم

نفعل في سبيل الدعوة إلا أن نتمثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

وهناك كثير من الأخطاء التي يرتكبها البعض باسم الدين ويجادلون فيه بغير بصيرة وتدبّر إلا أن يكون لهم صوت يجب أن يُسمع وكلمة يجب أن تقال ـ فهم يستكبرون أن لا يكونوا حجة للغير وسنداً يُتخذ للفتوى رغم أن الفتوى عظيمٌ أمرها ولا تؤخذ إلا ممن فقهه الله في الدين ـ أما إذا كان علمه في حدود لا تسمح له بالفتوى أو الوعظ والإرشاد فعليه أن لا يكون مدعياً وقد قيل: «من قال لا أعلم فقد أفتى».

وإن العالم اليوم يصطخب باختلافات في الأديان والمذاهب والحركات التنصيرية والحركات التضليلية.. وينبغي لأولي الأمر في هذه البلاد الطاهرة أن يوجهوا جل اهتماماتهم في مواجهة هذه الدعاوى بإعداد دعاة يمتلكون ناصية اللغات إضافة إلى فهمهم علوم الدين ليتمكنوا من شرح الدين الإسلامي لغير الناطقين بالعربية بصورة سليمة وأن يبدأوا بفضائل الإسلام وحسناته ثم الزواجر والنواهي والعقاب بطريقة فيها يسر وسهولة من غير غلظة ولا تعنيف ولا تحقير ـ فالنفس الإنسانية ترفض القسر بكل أشكاله وخصوصاً إذا كنا أمام إنسان يرغب في اعتناق دين الإسلام.. فهو يجهل كل شيء عن هذا الدين.. ونحن بدورنا نقوم بإعداده وتعليمه أصول الدين القويم.. وليتنا نستطيع أن نتحمل قدراً مما تحمّله رسولنا العظيم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم في سبيل دعوته الخالدة إلى الله وصبره على المكاره في سبيل إعلاء دين الله وما صادفه من أخطار وآلام ـ وهو يصرُّ على أن يمضي في سبيله ابتغاء مرضاة الله ورحمة ببني الإنسان من عذاب الله.. حتى أضاء لنا الطريق بهدي الله ـ رغم ما تعرّض له

صلوات الله وسلامه عليه من إغراءات دنيوية كان ينبذها ولم تأخذه زينة الدنيا وبهارجها وكنوزها من رسالته السامية العظيمة التي أرسله الله بها ليكون كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وإن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة وهو قدوتنا في أمور ديننا ودنيانا ـ فالتحلي بالصبر ـ والتجمل بالخلق ـ والاستزادة من التدبر في كتاب الله وسُنَّة رسوله من أهم مؤهلات الداعي لسبيل الله.

فاللهم آت نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكّاها.

من شعري:

النبيُّ العظيم يصدع بالأمر ... ويلقى الأذى من الحسّاد

ويطوف الأمصار في الناس يدعو ... دعوة الدين في جميع البلاد

باركَتْه الملائكة الغرُّ والروحُ ... ودانت له جميع الأعادي

فكأنّ الربيع أشرق للكون ... بفجر المولود والميلاد

وشتات الأنام أيّان كانت ... جمع الله أمرها للسداد

جاء بالبِشر واليقين حفيفاً ... يدرأ الجهل بالهدى والرشاد

---

١٨ ـ ٦ ـ ١٤١١ هـ

الإنسان الطفل المغرور

في حياة كل إنسان فينا طفولة برغم تجاوز سن الطفولة وهذه تلقائيات تتطلبها مراحل الحياة.

لو استطاع الإنسان أن ينزل من عليائه ويتذكر في لحظات تصنعه للعقلانية والكبر المصطنع أنه برغم وجاهته فهناك من هو أوجه منه.. وبرغم منصبه فهناك من هو أرفع منه درجة ورتبة.. وفي الوسامة أن هناك من هو أوسم منه وفي العلم يوجد من هو أعلم منه وقد قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، لو عرف الإنسان أنه ليس وحده الذي يحوي الصفات والمميزات والظروف والحظوظ، لو استطاع كل منا في يومه أن يهذّب نفسه بمصارحة دقيقة مع نفسه وذكر عيوبه لنفسه لاستطاع أن يمتلك زمام أمره ولارتقى بخلائق الفضلاء.. فليس العظيم أو الكبير من يستطيع أن يتزيّى بالملابس أو أن يرتفع بالشكليات أو بالشهادات فيرى الناس أقل مستوى منه فيشيح عن هذا ويعرض عن ذاك لأنه ليس في مستواه المادي أو العلمي أو الاجتماعي بل العظيم فيمن أوتي حظه من الدنيا فكان الشاكر لنعماء الله ببساطته مع عباد الله وحسن معاملتهم والسعي إلى البر بهم وتقديم المساعدة بالخلق الجميل وقضاء حوائج المسلمين.

المفروض أن المكان الذي يرتقي إليه الإنسان يجعله أكثر إحساساً بشعور الضعفاء وأصحاب الحاجات.. وكثير من الناس

من يستطيع جرح أحاسيس الضعفاء أو من يكونون أقل من مستواه المالي أو الوظيفي وكثير من الناس لا يشعرون بالندم على ما يصنعون في نفوس الآخرين.. وكثير من المتسامين هم الذين يعرفون معنى «جبر الخواطر على الله» حتى ولو بكلمة طيبة ـ كلنا يعلم علم اليقين أن الدنيا دار زوال.. ولم تدم لسيد الخلق محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وقد قال ﷺ: «ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم تركها ورحل» أو كما قال ﷺ: «فما أغراك أيها الإنسان حينما تمدك الدنيا بخيرها فتنكر فضلها بقسوتك على أخيك الإنسان! وما أضعفك أيها الإنسان حينما يداهمك مرض أو ينتابك هم أو أسى! وما أحقرك أيها الإنسان وأنت تعلم أنك في النهاية لا تعدو أن تكون جيفة منتنة»!

لقد تضاحكت كثيراً وأنا أرى من يصطنع المهابة والكبر ويتحدث إلى قاصده بالقطارة.. ويشيح عنه كأنه لا يلقي له بالاً أو كأنه مخلوق من طينة أخرى وأن الذي أمامه ليس من نفس طينته.. فإنه من الواجب عليه أن يتعامل معه بالحسنى لأنه خلق ليكون إنساناً يتعامل مع أخيه الإنسان الذي هو من نفس طينته.. وكثيراً ما يبكيني منظر الدموع المتحجرة في المآقي من جراء قسوة صاحب مكانة على شخص من الأشخاص ويحاول امتهانه أمام الآخرين وهو يعلم مقياس الندادة البشرية كمخلوق من دم ولحم لا فرق بينه وبين الآخر ـ إلا أن الله رفعه فكان غير جدير بتلك الرفعة بتعاليه على من دونه. ولكنها النفوس والحياة، والطباع، ومركّب النقص ـ وعدم القدرة على إدراك قيمة الإنسان بإحساس الإنسان.. وكثير منا من يرتكب ذلك ولكنه يستشعر بالندم فيطلب الصفح والغفران من أخيه الإنسان. والأكثر منا من ليس لديه شعور إلا بالعظمة والفوقية ويقول رسول الله ﷺ: «إنكم

لن تَسَعوا الناس بأموالكم ولكن يَسَعهم منكم حسن الخلق» فكم كلمة طيبة داوت جراح مكلوم - وكم من بشاشة غمرت نفس تعيس فنظر إلى الدنيا بمرآة الحب، وكم من الجرائم ترتكب بفعل الكبر والصلف والتجبر والقسوة!

فالأخلاقَ الأخلاقَ.. وقد قال رسول الله ﷺ: «إنما بُعثت لأتمْم مكارم الأخلاق..» فاللهم حسِّن أخلاقنا وخلقتنا.

من شعري:

لم تتعظ هذا الردى يطوي الوليد ومن ولد

لم تتعظ من أنت؟ هل شيء سوى هذا الجسد

فإذا تغشّاك الثرى من فوق أضلعك الهمد

من أنت قل لي يا غرير وأيّ عمر تقتصد

من شاهق الكبر العنيف إذا توسدك الكمد

وتأففت عيناك عن إنسانها بين الأمد

حملَتْك حاظية الحياة وصافحَتْك يدُ الرغد

فتعاظمت في نفسك الدنيا كأنك من خلد

الوغد عندك يبترد. والحر دونك يبتعد

من أنت؟ ماذا قد حويت فكل ما تحوي زبد

٣٠ - ٧ - ١٤١١ هـ

الكلمة والفعل واللافعل

على رسلك أيتها الكلمة الطيبة فليس هناك من يقتنع بإيقاعاتك وما من أحد يلتف عنقه انبهاراً بك لأنك أصبحت رخيصة في كل أذن وعلى كل لسان لأن القول يختلف عن الفعل.

تساءلت يوماً: هل نحن نعيش في زمن يحتجّ بالرجاحة والنزاهة في القول والعمل؟ وتذكرت ذلك العائد بشمائل البراءة والفطرة حين قال: تعلّمت في البيت قول الحق وتعلّمت في المدرسة كيف تكون الخصال الحميدة وسلكت إلى دروب الحياة أحسب أني بما تعلمته أستطيع أن أمارس حياة طبيعية.. فإذا بي أصطدم بواقع غير الذي فُطرت عليه واكتسبته بالتعلم فإذا للناس لغات وميول وأهواء.. تنكر الطيبة وتسلكها بمفهومها الذي تريد وتلونها بواقعها تحت مظلة مصالحها الذاتية. وكدت أسقط إلى هوة سحيقة لولا أن تداركني الله بلطفه وفي كل مرة أغالب اليأس وأنا على مبدأ لا أحيد عنه ولكنه المبدأ الذي ينبذه كل من أراد أن يدوس على أشياء كثيرة بغية تحقيق أشياء كبيرة. وكأن صوت الخير يلح عليَّ في كل لحظة يطوف بي ويهمس: أيها الصادق إن صاحب المبدأ سينتصر يوماً فلا تكن متخاذلاً.. ولا خوّاناً ولا مترنحاً.. ولقد عجبت أنّ شيئاً مغايراً يحدث في أروقة الحياة..

وصموني بطيبتي وأرادوني إنساناً آخر يمضي على نهج غير الذي رسمته وولدت عليه. أرى المنخفض وهو مرتفع والمرتفع وهو منخفض والجهد والكفاءة عبثاً والكثير يركبون على متون الريح إلى القمم وأنا لا زلت على السفح أستمطر من غيوث

أدمية تبخل حتى برذاذ المطير الهتون وتستأثر بكل شيء وتصارع حتى ولو قتلت الجميع في سبيل تحقق الوصول على حطام الفضلاء. ورحت أبتسم في كل مرة وأُلملم جروحي حول أضلعي.. وتذكرت يوماً أن رجلاً له طفلان الصغير كان عابثاً يأنس بالشقاوة والآخر ميالاً إلى الهدوء والطيبة.. وكان الأصغر أحب إلى أبيه من الطفل الذي يكبره ويميزه، وعرفت أن الحياة بكل تكويناتها مطبوعة بالطيبة لذلك فمجرد الخروج على ناموسها يعني أنها سوف تتعرف إلى ذلك الخارج عليها ويكون أحب إليها.. فهنّأت الطفل الشقيّ لأنه المشهور - الذي أسمع صوته بالخروج على المفروض والمألوف وباركْتُ للدنيا مطيّتها واحتسبت عند الله.

من شعري

إنسان هذا العصر ذئب كاشر	عن نابه، متوحش لا يرحم
يا هذه الدنيا أتيتك عاتبًا	فيك الوفاء مطارد ومحرم
يا هذه الدنيا حسبتكِ مركبًا	للأتقياء فخاب ما أتوسّم
يا هذه الدنيا منحتك صادقاً	ودي فما أجفو ولا أتبرم
يسمو الوضيع إلى ذراك بجهله	والطيّب الشهم النبيل يهدم
يا هذه الدنيا مللتك ساخراً	ومللت أياماً تذل وتسقم
فدعى سبيلي إنما أنا زاهد	أرنو إلى الأخرى أتوق وأحلم
وخذي نعيمك لم يعد بي حاجة	فيما لديك فإن زهديَ أعظم

٢١ - ٨ - ١٤١١ هـ

هل نحن أمة مقلدة للظواهر الحياتية المسبوقة أم لا؟

ليس مهمّاً أن أكتب.. إذا كانت لغة الكتابة وموضوعها هامشي الفائدة.. لأن ليّ أعناق الكلمات واعتساف الأفكار.. قضية في حد ذاتها تستحق الدراسة.. أو إجراء تحليل نفسي على الكاتب.. ما الذي يود إيصاله إلى القارىء وإلى أي قدر من التخصص الكتابي يستطيع إضافة فائدة ما إلى عقولنا؟ ما مدى طزاجة تلك الفكرة وغيرها على مخزوننا التحصيلي من سواد الحروف التي احتقبت خلايا الشعور الذهني ورحلت من اللاشعور؟

ليست القضية كما يعتقدها البعض «أكتب إذن أنا موجود» المهم أن نكتب لتلمس وقع ما نكتب في عيون المتلقّين قناعة أو رفضاً.. ليكتمل الهدف بجدلية فكرية ترتفع عن الذاتية الاسمية.. وتبتعد من تكرارية الفكرة إلى بكارتها وحداثتها على ذهن القارىء المثقف أو المفكر لخلق حوار بناء لا نفرض قناعاتنا فيه بقدر احترام وجهات النظر سلباً كان أم إيجاباً.

قضايا فكرية تعيش في النفس كثير منها يصل إلى درجة السخف وفي الإمكان تناولها.. وامتشاق سنان القلم ليكتب الاسم بالحروف الكبيرة البارزة ويردد ذلك الاسم فقط.. أما المضمون التحصيلي لأي قضية مطروحة فإنه يذهب أدراج الرياح.. لكن

الأديب الذي يعفّ قلمه عن الخوض في سطحية القول.. ويربأ باسمه أن يكون صورة مكرورة لتفاعل قديم فذلك هو الذي يدرك حجم عقله وقلمه ولسانه. ونتساءل: هل صحيح أننا أمة مقلدة للظواهر الحياتية المسبوقة؟ لا أود الدخول إلى بحث فلسفي حتى ولو اكتسب منطقية الحجة.. أو فقد منهجية البحث.. ولكنه سؤال يفرض حاله على وقتية الزمان الذي يحيط بنا.. ونوعية الممارسات أو السلوكيات اليومية سواء ما كان داخلاً في إطار الثقافات أو في الإطار التجاري الاقتصادي.. أو الممارسات السياسية وأسلوبيات المعالجة.

قبل أن نصل إلى إيجاد الجواب وحل للسؤال المطروح أود أن أطرح أمثلة كنا نعتقد أنها ضرب من الوهم ونوع من أنواع النكتة المضحكة ـ مثلاً سمعنا أن في أمريكا من يبيعون الهواء في أكياس نايلون.. (وقال المصريون إحنا اللي دهنا الهوا دوكو) على اللهجة المصرية.. سخر المصريون وسخرنا نحن بهذا العمل.

والحقيقة المنطقية.. أن ذلك الهواء المعبأ في أكياس النايلون ربما يكون أوكسجين.. إذن فالفكرة فيها إبداع وسجل لها سبق في طريقة الطرح التجاري والتمييز العقلي الإنساني..

نسمع منذ نشأتنا ما يقال (إن فلاناً بيّاع كلام). أيضاً لم يكن ذلك نكتة أو ضرباً من الخيال أو السخرية.. فالكلام المترجم إلى فكرة مبدعة يباع ويشترى وقد بيعت أفكار كثيرة وحققت لمنفذيها الملايين..

نودّ حل السؤال المطروح قبلاً: هل نحن أمة مقلدة للظواهر الحياتية المسبوقة؟ أيضاً نود أن نطرح بعض السلوكيات قبل الجواب وليكن في النواحي التجارية وهذا التمثيل لا يسري على الدول.. ونأخذه من جانب الأفراد..

ينشئ شخص (مطعماً). انظر بجوار هذا المطعم كم من المطاعم! تقام كذلك محطة بنزين، كذلك سوبر ماركت، وذلك دون إعداد دراسة متكاملة لجدوى اقتصادية تحمي أياً من المنشئين (بكسر الشين) وتجعله يستحدث أو يقف بمشروعه على أحسن ما يكون ويقدّم خدمات متميزة.

أما بالنسبة لبند السياسة.. فهذا يحتاج إلى كتابة مجلدات والخوض في القضايا السياسية وانهزامية الفكر السياسي أو انتصاراته لن يكون في خوضه فائدة.. لأن علينا فتح سجلات أمة منذ العصر الجاهلي مروراً بعصر الشخصية العربية المسلمة وانتهاء ببعض الانحدار النسبي لفاعلية الإنسان العربي المسلم ودراسة الأسباب.. وابتداع العلاج.

أما ما يتعلق بالبند الثالث من مقالنا هذا للإجابة على السؤال المطروح قبلاً: هل نحن أمة مقلدة للظواهر الحياتية المسبوقة؟ فنجده في الثقافات.

مما لا شك فيه أن اتصال الثقافات والمثقفين.. والاطلاع المستمر على ذخائر العلوم العقلية والجدلية الفكرية والأدبية والعلمية بأنواعها يثير مكامن الخلايا الذهنية ـ فمنذ وجد الإنسان على هذه الأرض وهو في نزوع إلى التفكر والتدبر والتبصر والتأمل.. وما كان في حدود قدراته العقلية التي شرع الله لعقلية الإنسان وسمح له بارتياد مجاهل علمه.. لإضاءته.. إما بالتجربة أو الحس بأنواعه أو التنبؤات حيث عنى تعالى في مواضع كثيرة في محكم كتابه.. بالتدبر، والتبصر.. والتفكر.. وهذه إضاءة من الخالق لكي يأخذ الإنسان بالأسباب لحياته المعاشية.. وطريقة التواصل البشري.. وتحريك العقل ليصل في نهاية المطاف إلى حقيقة ما قاله سبحانه وتعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ والعليم هو

الله.. وهذه حقيقة الوجود الإنساني في جميع تطلعاته. هذا التنزيل السماوي الذي بين أيدينا لا يدعو إلى التقليد في أمور الحياة بل أخذها مأخذ التبصر والتدبر.. ومن ثم فالفكر الإنساني لم تحده قيود ولم تثنه عن التحليل والابتكار في إطار الأخلاق السماوية ومعرفة حجم القدرة العقلية التي وهبها الله للإنسان شريطة أن لا يتعدى مداه التكويني واختصاصاته الكونية.

ولو تركنا العنان للفكر الجدلي لاستطال بنا الترحال إلى عوالم وأمم غبرت واندثرت ولما استطعنا سبر أغوارها وصنائعها.. وطريقة تفكيرها غير أننا وجدنا أنفسنا في عالم قيل إنه (المتحضر) رأيناه تكويناً علمياً سبق زمان عقولنا فانبهرت به أبصارنا وهفت إليه قلوبنا ونسينا أننا كنا المبدعين وأصبحنا المقلدين فعندما تنسى أمة عالمها وتنبهر بعوالم أخرى وتعشق الوجه المستعار تنسى أن وجهها الحقيقي أحلى وأجمل ألف مرة من المكياج الذي نزين به العقول والأفكار لذلك يبقى السؤال: هل نحن أمة مقلدة للظواهر الحياتية المسبوقة أم لا؟

---

١١ - ١٠ - ١٤١١ هـ

ثلاث همسات

- ١ -

جئت إليك ببراءة الأطفال.. فقتلت البراءة، واستحييت الألم.. ظننت أن جميع ما تعلمناه، وما سمعناه عن الصداقة والأصدقاء الأوفياء هو أغلى المكتسبات الإنسانية.. ورجعت أقرع أسنان الندم لا عليك ولكن على الصدق والوفاء اللذين انتبذا مكاناً قصياً عنك ونعيت الصداقة الحقيقية بعد أن واريناها إلى رمسها.. وظللت أنت الجاثم في عداد الآثمين.. ولكنك فوق الظنون كرهاً لا طوعاً.

- ٢ -

على المدى البعيد كان يستصرخ بي يقول إنني الآتي إليك لأهديك زهرة معطرة من رحيق الورد.. ولم يأت.. وأنا أنتظر فيه الزمن القادم من ضوء الفجر، أغني فيه أغنية الحياة بأفراحها.. وأستلهم منه كيف يتسامى الإنسان ولقد أتى لكن عليه غبار السنين محملة بالسواد.. وعندما سألته: من أنت؟ قال لي: أنا الأمل قلت له: ولكنني تخيلتك في أجمل صورة وأروع عطاء، قال لي: كثير من الآمال يأتي على عكس ما يتوقع البشر.. ومن يومها عرفت أن للأمل وجهين.

- ٣ -

لقد نعتوه بأبشع الصفات.. وأحقر المعاني ولقد كان حبيب أيامهم، وأنيس وحدتهم، ورفيق همومهم.. جحدوه لأنه الواثب على جبال المحن، القارع أبواب الشجن، الساهر في ديجور الألم ولأنه الذي يستطيع أن يؤثرهم على نفسه.. وهم الرابضون على قلبه يسقيهم كأساً كان مزاجها السعادة والفرح.. ويسقونه كأساً من أهوال أرزائهم.. يصنع لهم المعروف.. ويصنعون له من خطاياهم مستنقعاً من زيفهم.. ينمقون له الزور والباطل، فينبت لهم من ثمر الخير والفضيلة دوحة من الحب.. وكم يبتسم وكم يداري مواجعه حتى اعتاد على نكرانهم وجحودهم فكانت حكمته للحياة «فليكن هذا عطاؤهم وليكن ذلك عطائي» والنور غير الظلمة.. والخير غير الشر، والذي يُسعد غير الذي يؤلم.

من شعري

فالنبل لا تحجب الأستار جوهره

والشمس ما من يدٍ للناس تخفيها

---

١٦ ـ ١١ ـ ١٤١١ هـ

الجريمة والعقاب والتهذيب

جميع الفلاسفة وعلماء النفس والشعراء والأدباء والفنانين والحكومات لم يستطيعوا أن يحلوا مشكلة الارتقاء بالعقل الإنساني إلى مشارف الخير واعتناق مذاهبه، بالرغم من النظريات والجدليات والبحوث العلمية.

ويرى أهل كل زمان أن دوافع الشر والضرر أكثر من الزمان الذي سبقهم.. ومسبباته أقوى.

والذين قننوا نظام العقوبة الجسدية ـ أو العقوبة المالية ـ أو العقوبات المعنوية لم ينطلقوا من فراغ، وإنما كانت نظرياتهم مبنية على واقعية التجربة الإجرامية.. ابتداء من أول جريمة لقابيل وهابيل.. ولو قلنا إن تلك الدوافع الإجرامية تنبع من فرضيات بسيطة في رأي العقل الإنساني وقناعة وقتية.. أو انفعالات فورية أو تلقائية قد لا تخضع إلى التفكير الانتهائي بالعمل الإجرامي أو العمل الشرير.. أو إلحاق الضرر بالآخرين.. ولو أسقطنا عامل الحقد والحسد وأوكلنا عامل الاستعداد الإجرامي في النفس البشرية، لاقتضانا ذلك دراسة كبيرة وعميقة من خلال ما نسمعه أو نشاهده من أحداث إجرامية يومية بل في أقل من الدقيقة والثانية.. لما يحدث في جميع بلاد العالم.. وإذا كانت تلك الأعمال الإجرامية تتكون عبر إرادات الأفراد من الجنسين فإن الإرادة الكاملة لا تتكون إلا في العقل الواعي المدرك لعواقب

الفعل.. لذلك فالتشريع الإسلامي يعتمد على الإرادة العقلية، فهو لا يحاسب الجسم الإنساني ولكنه يستنطق العقل البشري، وإذا تعامت الأمور تكون القرائن والشواهد هي التي تسترعي بصيرة الحاكم الشرعي في تطبيق العقوبة.. وفي كثير من الأحايين تكون المشكلة صعبة في إيجاد الدليل على ثبوت جريمة ما.. وتؤخذ كشبهة لا تلبث أن تزول بعدم الإدانة لافتقار القضية إلى الأدلة التي تدين مرتكب الفعل ويكون الجناة في منأى عن العدالة، والقانون الوضعي يعطي الفرصة للاحتيال بغية البراءة إذ إنهم يعتبرون أن الاعتراف سيد الأدلة.. على الرغم من أن الشواهد والاعتماد على دراسة حالة المتهم تكون من الأمور التي تتيح للقاضي الربط بين أسباب نشوء الحالة الإجرامية. وتكون دليلاً على اتهامه بالنسبة للقانون الوضعي.

وكون الجريمة تنشأ إما بالوراثة أو بالاكتساب كما وردت ببعض النظريات لا يكون حتميّ التعميم، فقد لا يؤدي الحسد أو الحقد إلى السقوط في مهاوي الجريمة.. وليست قاعدة أن تكون العوامل الإجرامية مرهونة بعوامل الوراثة العرقية ـ والأمثلة كثيرة.. فقد ينشأ عن إنسان مجرم إنسان صالح ونفس تنزع إلى الخير.. وقد لا يؤدي الحقد والحسد من قِبل بعض المحرومين إلى انتهاج طريق الجريمة بجميع أشكالها.. وربما تكون هناك دوافع تخضع لإرادة جزئية غير مكتملة لتكوين الإرادة الكاملة. ربما يكون من دوافعها القهر.. أو الظلم ـ أو الإحساس الوقتي لفقدان الكرامة التي تمس العرض أو المال أو الولد.. هذه تلقائيات إجرامية تعتمد على وقتية الحدث وانفعالية النفس البشرية. وربما لا يعتقد البعض أنها جريمة في مثل هذه الحالات ولكنها هي بالفعل جريمتان من الفاعل الأول.. أي المتسبب ومن المدافع المرتكب

للعقاب الفوري الذي يتخذه الشخص. لذلك فحتى التشريع الإسلامي له أحكام قد لا تعفي الشخص المدافع تجاه الجاني، وتأخذ بالعقوبة في إطارها التشريعي الذي يعتمد أيضاً على فطنة القاضي وحنكته بعد رجوعه إلى النصوص الشرعية.. كذلك القانون الوضعي برغم الكثير والكثير من سلبياته التي تعطي للمجرم في أغلب الأحيان حق البراءة بالرغم من الشواهد والأدلة والقرائن.. ولكنها تعمد في البراءة إلى اختراق شرعية النظام في القبض على المتهم حسب المعايير التنظيمية لذلك. ولو تساءلنا عن إحصائية الجريمة بين أفراد دول العالم.. لوجدنا أنها تكثر في البلاد التي تكثر فيها الحرية غير المقيدة بضوابط عقابية صارمة.. وخصوصاً إذا عرف الجاني أن العقوبة هي عقوبة سالبة للحرية وقتية تزول بمدة يقضيها في السجن ثم لا يلبث أن يتحول إلى محترف يتعمد ارتكاب أفعال القتل والسرقة أو الاعتداء على العرض وهذا ما يختص بالقانون الوضعي.

أما حينما نرى أن الجريمة أقل في بلد ما فإننا لا بد أن ندرك أن العقوبة تكون صارمة.. وجادّة مثلما يحدث في المملكة فالجريمة كانت أقل بكثير من معظم دول العالم وخصوصاً العالم الذي يدّعي التقدم، وأسباب ذلك المثول إلى تطبيق الشريعة الإسلامية الذي يجعل من يريد ارتكاب فعل إجرامي يتبصر في أمره ولا يقدم على أي عمل مخالف للشريعة لأن الشرع لا يعفيه من القصاص كنتيجة حتمية للفعل الإجرامي إلا ما ندر، وكان يخضع لعوامل أسلفنا القول عنها أو كانت تخضع لخلل ذهني عدا تعاطي أنواع من المسكرات أو المخدرات وهي أولاً وقبل ارتكاب الجرائم البدنية هي جريمة يعاقب عليها الشرع حسب مقتضيات الحالة إلا إذا كانت إكراهاً على تعاطيها.

لذلك فحتى الآن لم يستطع لا الفلاسفة ولا علماء النفس ولا الأدباء أو الحكومات أو الشعراء ـ أن يخلقوا مدينة منزهة عن الجريمة وليس بها جرائم أو مجرمون.

ولكن هناك مهمة تتطلب حضوراً اجتماعياً وحكومياً في دراسة مستفيضة للحالات التي لم تتعود الإجرام، ودراسة الدوافع.. وعدم التشهير بمرتكبيها إذا كانت لا تمثل إضراراً مباشراً بالآخرين، وزرع نوع من الثقة عن طريق الإصلاح والتهذيب النفسي في الارتقاء بتلك الحالة إلى الأفضل.. والتوعية عن طريق الصحافة والتلفاز، وعقد ندوات، وإجراء بحوث.. وإنشاء جمعيات إصلاحية يكون من شأنها الأخذ بيد المدفوع إلى الفعل إلى التحلي بالخلق الإسلامي.. وعدم المساس بكرامة الفرد حتى لا يدمّر أيّ تكوين اجتماعي خلّاق من خلال فرد مغرّر به، أو كانت إساءته بسيطة حتى لا تخلق منه مجرماً بالاحتراف.. لأنه (من يهن يسهل الهوان عليه).. مع الأخذ بعين الاعتبار إيجاد العمل المناسب له لشغل وقت فراغه بالعمل الجادّ والمفيد وتشجيعه وتنمية مواهبه إذا كانت لديه موهبة ما.. فإن التشجيع يخلق إنساناً والاحتقار يخلق مجرماً في كثير من الأحايين.. أو التمايز في تطبيق الأهميات والعقوبات من شخص لآخر.. كل ذلك يجب أن يقنن له نظام يطبّق على الجميع ويراعى فيه حداثة السن.. والتغرير والإكراه..

لننشىء مجتمعاً يدين بخلق الإسلام ويحب لأخيه ما يحب لنفسه.

---

٢٢ ـ ١٢ ـ ١٤١١ هـ

مدخل في مفهوم الإحاطة الكلية

مستوى الثقافة يتباين من شخص لآخر ارتفاعاً وانخفاضاً.. ودرجة الوعي الكامل مستحيلة الإطلاق.. أن تكون ملمّاً ومدركاً لكل صغيرة وكبيرة.. تحددها معايير صغيرة.. وتقف حائلاً دونها أشياء كثيرة.. منها.. مفهوم الإحاطة الكلية إذا أخذناها كتنظير للمفهوم العلمي.. وخرجنا عن دائرة شمولية المعرفة.. التي يتمنى أن يلم بها الإنسان في جميع توجهاتها ومواضيعها ومناهجها وعلومها.. وهذه تشكل معضلة كبرى لا يفصل فيها إلا الاحتكام إلى الصمت أو الجدل الموضوعي الذي يؤكد بطلان واستحالة شمولية المعرفة الكاملة.. أو الإحاطة الكلية.. بالجسم محل الإحساس بالألم فقط.. أما العقل فهو مكمن الشعور.. والإدراك الاستقبالي للأحداث.

ولكل عضو من أعضاء الكائن الحي وظيفته التي لم يخلقها الله عبثاً وإنما هي تؤدي وظيفة ضرورية لحيوية الجسم.. فإذا قلنا إن العقل هو محل الاستقبال الشعوري للكائن الحي.. فذلك أيضاً ينطبق على الحيوان ككائن حي مناط شعوره هو العقل.. ولكن افتقاده إلى التطور يجعله في رتابة الفعل.. فهو يستشعر بعقله الخطر ويفكر في اصطياد فريسته لإشباع غريزته التي تؤكد له حب البقاء.. والحيوان له حدود في التفكير.. ولا يستطيع أن يقول قائل إن الحيوان لا يفكر وإلا لما خلق له الله مراكز القوى العقلية

للحفاظ على البقاء.. «ولكن العقل الإنساني تجاوز حدود اللامحدود إلى المحدود» عبارة ربما تستغلق على الفهم أو ربما يعتبرها البعض شيئاً من السخف.. ولكن الواقع الكوني واللامحدود العقلي.. قد حدا بالعقل للابتداع التقليدي بإشعال مواقد الفكر الإنساني إلى الخلق والابتكار حتى استنطق الأشياء الجمادية.. ودخل في طور الأفكار الصعبة المعقدة.. فقيل إننا دخلنا عصر الإعجاز العلمي.. ولم نخرج عن القليل من دائرة الإعجاز الإلهي..

كلام ربما يحتاج إلى صفحات كثيرة وإلى تحبير مخطوطات كثيرة.. لو استجمعت وتم دراستها بشكل موسّع لما خرجنا عن دائرة واحدة هي الاعتقاد برحابة الفكرة والقدرة على إعجاز الإعجاز.. والدخول في فلسفة امتدت من عصور سابقة ولم تؤدِّ إلا إلى تشكيل نوعي في القدرات العقلية وتفاوت نسبي في الذكاء لم يبلغ حد الاعتلاء على الذكاء بذكاء أذكى من الذكاء.. وإذا قلنا العبقرية.. في الذي يتفوق على العبقرية.. وهل تخلق العبقرية كموهبة فطرية أم أنها اكتساب علمي أو ثقافي؛ وما هو الأعلى من العبقرية؟

وكما نقرأ أن العبقرية أو الأقل منها وهو الذكاء.. إنما هي مواهب فطرية.. تخضع في تعريفها إلى اللامحدود.. ويخضعها التخصص المعرفي إلى المحدود.. إذ إن التناهي بشمولية المعرفة أو الإحاطة الكاملة لا تتوافر في أي كائن حي.. وهنا يقع في العقل الإنساني إلى المحدود الذي لن يتجاوز تكوينه ـ وربما تجتمع بعض الخصوصيات المعرفية العلمية أو الثقافية في عقل ما ولكنها لا تجمع شمولية الإحاطة الكاملة.. والمثال الصغير أن التكوين الجسمي للإنسان لا نراه داخلياً.. ولا نستطيع كشف

مؤثراته الانفعالية الآنيّة التي تخرج في بعض الأحيان عن العقلية الواعية المدركة لما يدور حولها وفي داخلها.

إذن فالعقل التكويني ينطبق عليه المحدودية واللامحدودية.. ومحدودية اللامحدودية ولم يبلغ حالات الإحاطة الكاملة أو المعرفة الشمولية.. وهذا يحدث فلسفة ربما يستهجنها البعض.. أو ربما تستغلق على الفهم.. أو ربما ينعت بالشطط ومحاولة إرغام الكلمات على أن تكتب فقط.. ولكنه انبعاث فكري استنطق شعور العقل بعدم اكتمال العقل لبلوغ اللامحدود وحده..

وإيماناً أن للعقل مهما توافرت فيه صفات الذكاء والعبقرية فهو لا يخرج عن دائرة المحدود.. ليكون اليقين أن المعجز هو سر الذي يتفوق على كل مكامن العقل وارتفاعاته هو ذلك السر الذي لم يكتشف بعد حقيقة الأسرار التي حجم بها الله العقل.. ووضع له ضوابط.. وأثبت سبحانه أن العلم هو القليل الذي تحويه عقولنا.. وكل ذلك ينطلق من دائرة المحدود إلى دائرة اللامحدود ينتهي إلى محدودية اللامحدودية.. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ومهما ابتدع العقل لن يتخطى ولن يخرج عن ضيق الفكرة وتقليدية الابتداع.. ولن يخرج عن قدرة التجزيئي العلمي بطبيعة الأشياء والتكوين والحياة.. وسوف يظل العقل في دائرة مغلقة لا يعلم حتى آخر الدهر سر الأسرار.. لأن العالم الحقيقي هو الله والمدرك المحيط هو الله.. والذي يعلم ما تخفي الصدور هو الله وما يلج في الليل والنهار.. وخلق الله الذي لا يعلمه العقل.. ومجاهل الحياة ونهايتها إلا أن نكون موقنين أن الإحاطة الكاملة بالعلم للمبدع.. والخالق وهو الله.. وهذا منتهى الإعجاز الإلهي.

---
١٩ - ١ - ١٤١١ هـ

مدخل في مفهوم الفلسفة والأدب والثقافة العربية والإسلامية

لم يذكر لنا تاريخ الأدب الجاهلي مرجعاً يعوّل عليه الدارس أو الباحث في استنطاق لسان التاريخ عن ماهية الأدب ومعرفيته مثلما هو حاصل في العصور التي تلت العصر الجاهلي إذ إن ما وصل إلينا منذ العصر الجاهلي لا يتعدى الاهتمام بالشعر ورصد التاريخ الجاهلي عبر تفسيرات الأحداث التي يجسدها الشعر..

وإن كانت فنون القول والكلام تسير إلى جانب الشعر إلا أنها لم تهتم بالجانب التاريخي لا في التسلسل العرقي للأصول العربية.. ولا في التسلسل الأدبي إلا بعض القصص القديمة التي تحكي بعض الحروب القبلية التي كانت تسود معظم أجزاء الجزيرة وما حولها.. فكانت تلك الأقاصيص منها ما هو منتحَل وما هو منسوب ومنها الذي تسوده الخرافات والشعوذة والاهتمام بجانب السحر وجلب الجن والاعتماد على القوة الخارقة التي تفوق القوى البشرية. وهذا أيضاً ما حملته إلينا الفلسفة اليونانية القديمة.. والكتب الهندية.. التي عنيت كثيراً بهذه الخرافات فكانت تنظم لها الملاحم والروايات وتعمد إلى فلسفة سفسطائية لا تمت إلى الواقع الملموس بشيء إلا قناعات جانبية سخّرها مؤلفوها لتدعم مواقفهم فلعب السحر والشعوذة وعلم الكلام دوراً بارزاً

في ترجمة هذه المؤلفات حتى وصلت إلى العرب فتأثروا بها إلى حد ما ولم يتوغلوا في مداخلها ومتاهاتها إلا بقدر استيعابهم العقلي الذي يوحي ولا يؤكد.. تنتقل من زمن إلى زمن وإن كانت الفلسفة اليونانية ـ منذ أفلاطون ـ وأرسطوطاليس وتلامذتهم قد أفادت إلى حد كبير في إنشاء الفلسفة العربية.

واتسعت بذلك دائرة التجربة وقويت مراحل التفكر والتدبر حتى جاء الإسلام ونزّل الله الكتاب على نبيه محمد رسول الله ﷺ ليبين له الرشد من الغيّ ويروي له سِير الأمم السالفة في إيجاز.. ولغة عربية مبينة وأسلوب إلهي معجز في آياته وأحكامه وأوامره ونواهيه فالقرآن الكريم جامع شامل لكل مجريات الحياة..

وقد كان قبل ذلك اهتمام العرب بالشعر اهتماماً يفوق الوصف وكان إذا ولد شاعر في القبيلة اعتُبر لسان حالها والمناضل والمدافع والمفاخر بها أمام القبائل الأخرى..

وعندما توالت الفتوحات الإسلامية بدأت آفاق العلم والمعرفة تتوسع وأصبح علم الكلام وفنونه يأخذ معايير ومفاهيم متطورة وطبقت الفلسفة العربية الإسلامية بالمقارنة بالفلسفات الأخرى..

وتم تعريف الأدب منذ أن بدأ ابن خلدون في مقدمته لتعريف الأدب على النحو الذي يقول فيه: «هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون ذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة وسجع متساوٍ في الإجازة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في

الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها.

وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشعيرة والأخبار العامة، والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه فيحتاج إلى جميع ما يتوقف عليه فهمه، ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف، يريدون من علم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث، إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التوريد في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها.

وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكتاب لأبي قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها، وكتب المحدثين في ذلك كثيرة.

وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه. وكان الكتَّاب الفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتحاله قادحاً في العدالة والمروءة. وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصبهاني كتابه في الأغاني جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم

ودولهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه.

ولعمري إنه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنى له بها ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الإجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان».

والله الهادي للصواب.

وإذا نظرنا إلى الفكر العربي الإسلامي نجد أن معاناته لتحقيق ذاتية الثقافة تصطدم بواقع مستنبط من عوالق القناعات المتحدية لارتقاء الفلسفة العربية الإسلامية ونجد أن كثيراً من المؤلفين يرجعون بنا إلى ماضي الصراعات المذهبية والطائفية ويعيدون إلينا نفس المواقف التي عبّر عنها علماء المذاهب والفلسفة متقمصين تارة أفكار المستشرقين وتارة الفلسفة اليونانية وتارة الانحدار بوعي أو بدون وعي إلى الفكر اليساري لكي يطمسوا معالم الفلسفة العربية الإسلامية.

ويقول الأستاذ/ محمد عابد الجابري في مؤلفه:

«إن تصحيح الوعي العربي بتاريخه يتطلب إعادة الأمور إلى نصابها داخل هذا التاريخ نفسه ـ ومن جملة الأمور التي يجب إعادة النظر فيها تلك التصورات اللا تاريخية التي كيفت وتكيف الوعي العربي الراهن والتي تجعل من تاريخه تاريخ أجزاء لا تاريخ كل ـ ولعل أكثر تاريخنا تضرراً بسبب هذه التصورات».

الفلسفة العربية الإسلامية التي ما زال تاريخها يكتب خارج التاريخ الذي تنتمي إليه، وساهمت في صنعه «إن الفلسفة العربية الإسلامية التي عالجناها من قبل ككل وكوحدة أي كفكر يعالج

إشكالية واحدة ـ كانت هي نفسها جزءاً من كل وعنصراً في وحدة، وليس هذا الكل وهذه الوحدة شيئاً آخر غير المجتمع العربي الإسلامي في القرون الوسطى بكل مقوماته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية. ففي إطار هذا الكل ومن خلال تناقضاته وصراعاته يجب أن ننظر إلى هذه الفلسفة إذا نحن أردنا فعلاً أن نكتب تاريخها داخل التاريخ لا خارجه».

وفي رأينا أن هذا الرأي يميل إلى الصواب فشاهد حال عصرنا لا يبتعد كثيراً عن مناحي التجزيء للفلسفة العربية الإسلامية واختلاف الهدف الواحد الذي تنتمي إليه الفلسفة العربية الإسلامية إذ إنها تشعبت وتخلخلت في إطار تنظيرات تؤرخ للصراعات السابقة بين العلماء والمثقفين في اللغة والدين والفلسفة.. والجديد الذي يسود مجتمعاتنا العربية الإسلامية هو اجترار عصبية الماضي واختلافاته الطائفية والمذهبية ومحاولة مذهبة الفلسفة العربية الإسلامية بمظاهر متعددة الألوان والأشكال.. وإذا كانت تلك الأفكار الفلسفية تخدم أهداف الفلسفة الإسلامية فلا ضير في ذلك إذا كانت ستؤدي إلى وحدة الفلسفة العربية الإسلامية من خلال معاييرها الثابتة التي لا تخرجنا إلى دائرة التصوف ـ أو التشيع لمذهب من المذاهب والتباغض والتناحر من أجل أفكار ساقها مؤلفوها لخلخلة الثقافة الإسلامية وبث جذور التشكيك لتتجزأ وتتمزق بدل أن تشكل وحدة الهدف للفلسفة العربية الإسلامية.

ولو وضعت معايير وضوابط تحكم مناهج البحث في الفلسفة العربية الإسلامية لما تعرضنا إلى هذا التجزيء الفكري وأصبحنا شيعاً تتمذهب عبر تيارات فلسفية غرضها هدم كيان الفلسفة العربية الإسلامية امتداداً من أساسها لتشكيل الجذور والأساس الذي بنى الفكر العربي الإسلامي وهو الكتاب والسُّنّة

والسلف والاجتهاد لا الاجتهادات العقيمة التي تقتل عنصر الانتماء.

ونعود حيث أسلفنا القول عن إشكالية الفلسفة العربية الإسلامية والمداخلات التي أدت إلى تدهور الفكر العربي الإسلامي برغم كثرة المنتمين لنعود إلى رأي الدكتور حكمت علي الأوسي الذي يقول: «وأما قول ابن خلدون إن الأدب لا موضوع له فهو خطأ وقع فيه خلطه بين التأدب أو منهج دراسة الأدب وبين مادة الأدب وموضوعه فالواقع أن للأدب موضوعات متعددة منها التفكير والعاطفة.

وجميع معطيات الحوادث وما تثيره في النفس الإنسانية من الآمال والآلام والانفعال المتعاطف مع الأشياء أو الحوادث النافر منها».

ويرجح الدكتور الأوسي أن تعريف شمس الدين السخاوي للأدب أدق حيث قال عنه: «إنه علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة وموضوعه اللفظ والخط من جهة دلالتها على المعاني، ومنفعته إظهار ما في نفس الإنسان من المقاصد وإيصاله إلى شخص آخر من النوع الإنساني حاضراً كان أو غائباً».

وإذا كان السخاوي قد أسهب في عملية شرح التعريف بالأدب فإن من نافلة القول إن السخاوي لم يأت بجديد إذ إن هذه النظرية قد حددتها معايير تطبيقية في الآداب العربية الإسلامية ولم تخرج عن أهدافها ومكوناتها الأساسية وإلا لاختلف المفهوم للأدب وتغيرت أسلوبياته بشكل يجعلنا نستحدث شيئاً إبداعياً ليس موجوداً ومغايراً لما نحن عليه.

وإذا كانت النظريات الحديثة قد أفادت بشكل ملحوظ من تطور التجربة الأدبية في بعض أنواع الفنون فإنها أيضاً لم تتعدَّ إلا النزر اليسير من التطور الأدبي في بعض أشكاله ومضامينه وربما يساعد على ذلك تصارع الثقافات.. وتحدي العقل العربي لأن يكون.

ولكن بكثير من التقليد الذي ساد العالم الغربي ووقف العقل العربي جامداً أمام هول الحضارة السريعة في الغرب ليتنامى معها ويتأثر بمعطياتها ولم يخرج عن دائرة التقليد سواء العربي أو الغربي.

والأمثلة كثيرة منذ العصر العباسي إلى عصرنا الحاضر على أننا نعيش هدوء العاصفة الجدلية الفكرية التي تتفوق على مدارس الفكر الدخيل.. فعلماء المسلمين وأدباؤهم يعيشون مرحلة مخاض لا تسمن ولا تغني من جوع بسبب التفكك الفكري والتنظير الاعتباطي لإضفاء صفة الأديب أو الفيلسوف أو الشاعر.. أو المفكر على شخصية ما ترتقب ذيوع الشهرة ونوال المنصب إلا الراسخون في العلم.

مهمتهم تتفوق على هموم شعوبهم ولكنها أيضاً تخضع لمعايير التقليد أو الجمود.. وكما قلنا إلا النزر اليسير الذي يناضل من أجل أن تكون هوية الثقافة العربية هي الهوية التي تنتمي إلى أصول الإسلام عبر تنظيراته وتفسيراته المستوحاة من الكتاب والسُّنة.. ومن هذا الأساس نستطيع أن نجعل لهوية الثقافة والفكر العربي الإسلامي ماهية وشخصية جديرة بالاحترام بين شعوب العالم نستحدث ما لا يفقدنا شخصيتنا الإسلامية العربية ونبتكر ما يجعلنا نتفوق على الآداب المستقاة من شعوب الغرب.. فالثقافة العربية الإسلامية كانت تؤثر في كثير من ثقافات العالم وأفادت

بعلمائها في كثير من العلوم والفنون.. وإن كانت قد تأثرت إلا أنها استطاعت أن تبدع في مناهج البحث العلمي والأدبي وخطّت لنا قواعد نسير عليها إلى اليوم ليس منا من ابتدع منهما آخر اكتسب قناعة الوقت أو أهله.

إذن فلقد استفاد الغرب من المناهج العربية الإسلامية وأخضعها للتمحيص والتجربة وخرج بمحصلة جيدة من الإبداع الفكري والعلمي.. الأمر الذي يجعلنا نفكر فيصيبنا شيء من الإحباط عبر التجاوزات العلمية والأدبية فأصبحنا تابعين بعد أن كنا متبوعين.. ذلك ما أدى إلى ضعف ملكة اللغة ـ والبيان ـ والفلسفة ومجاراة البحوث العلمية ليس من النهاية وإنما من البداية... إذن فالفلسفة العربية والأدب والثقافة العربية ـ والعلوم العربية لا زالت تأخذ بمناهج التجزيء الفردي ولا تقوم على منهج التجريب الجماعي وهذا إن صح في العلوم التجريبية فإن الأدب العربي لا زال يعيش عصر التقليد إلا في مضامينه وبعض أشكاله التي تسود من خلال القناعات الجماعية والتجارب الفردية.

١٤١٢ هـ

المراجع

- مقدمة ابن خلدون.
- نحن والتراث.
- قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي (محمد عابد الجابري).
- مفاهيم في النقد والأدب للدكتور حكمت علي الأوسي.

الكـــذب

هو ذلك الداء العضال الذي يفتك بالمجتمع إذا تدنت درجة الوعي الأخلاقي.. ونهج المرء على ممارسته صباح مساء بغية تحقيق غاية أو أملاً في حظوة على حساب الإضرار بالآخرين. والكذب كما قال سيد الأولين والآخرين ﷺ «يهدي إلى الفجور».

وهنالك من يبرر الكذب فيجعله كذباً أبيض وكذباً أسود ويبيح الكذب الأبيض لمجرد الدعاية واللهو كتسلية، كالكذبة المبتدعة «كذبة أبريل» المذمومة. وفي كثير من الأحايين يمارس الناس على أبنائهم بعض الكذب لتخويفهم أو لإسكاتهم عن البكاء الكثير مثل قصة المرأة التي أوقدت تحت قدر فيه من الحجارة والماء لإيهام أطفالها بأنها تصنع لهم طعاماً ليكفوا عن الصراخ من الجوع حتى جاءها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحمل لها بعضاً من الدقيق لإشباع جوعهم. أما الكذب الذي يترتب عليه الضرر.. فهو الكذب الذي نهى عنه الإسلام وقد يأتي من جاهل أو صغير أو معتوه فنلتمس له العذر ولكن إذا درج عليه المتفهم لأمور الحياة والدين وجعله وسيلة لتحقيق غاياته فإنه ولا شك يعبر عن الفجيعة المرة التي تصدر من إنسان يفترض فيه الرشاد والعقل.

وقد تختلف أنواع الكذب وصوره.. وهو عكس الصدق.. والأصل في الإنسان الصدق وليس الكذب ـ وهو صفة مكتسبة لا تلبث أن تكون عادة وخليقة من خلائق البعض لا يثبت وجوده إلا به ولا يأبه بما يلحقه من أضرار تجاه الآخرين سوى أن يحقق القناعة بتصديق كذبته.. مثل ما فعله (أخوة يوسف) في قصة يوسف المذكورة في القرآن الكريم..

والأمثلة في انتهاج الكذب أكثر من أن تعدّ وإن اختلفت طرائقها وممارستها وتظل في النهاية هي تلك الصفة المذمومة التي حذر منها الله ورسوله في محكم التنزيل ـ وفي الأحاديث النبوية.

ونورد بعضاً من الأحاديث النبوية التي تنهى وتحذر من الكذب. فعن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن رسول الله ﷺ قام فينا عام أول فقال: عليكم بالصدق فإنه من البر، وإياكم والكذب فإنه من الفجور ـ ألا ولا تقاطعوا، ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله ـ وسلوا الله العافية فإنه لم يعط عبد خيراً من العافية».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من علامات المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان كحلاً، ولعوقاً، ونشوقاً. فأما لعوقه فالكذب، وأما نشوقه فالغضب، وأما كحله فالنوم».

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كذب العبد تباعد الملك منه ميلاً من نتن ما جاء به».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

«ما كان شيء أشد على رسول الله ﷺ من الكذب».

وإن ما نراه في حياتنا اليومية من كذب يمارسه البعض ضد البعض يجعلنا نستعيذ بالله من ذلك ـ فكم من كذبة راح ضحيتها بريء.. وباعدت بين قريب وقريب.. وخربت بيوت فضلاء.. وأثقلت كواهل ضعفاء وفرقت بين أزواج وزوجات وآباء وأبناء وأشقّاء، وأشعلت نار العداوة والبغضاء.

ناهيك عن الكذب الذي يتعوده الموظف تجاه مُراجع وهو يروح ويجيء بالغدوّ والآصال والسبب أن ذلك المُراجع لا يعجبه أو أن له غرضاً في تعذيبه فلا يراعي مشقة شيخ كبير ولا امرأة ولا ملهوف.. ولا صاحب حق من الحقوق.. وعذيره أن معاملته لم تنته، وإذا ألح عليه المُراجع قال له إن النظام لا يسمح والنظام براء مما يقول ولو أراد لكان النظام أكثر مرونة وأكرم من تسلطه. وليته بعد هذا العناء يكون ليّناً هيّناً فتراه في كبرياء العاجز وجهل القادر يرمي إليه بأوراقه ويقول له خذ أوراقك ولا تراجعنا فيذهب المسكين وهو مكسور الخاطر.. وإن عاتبه أو احتد معه في الطلب تجده قد أخرج ورقة وعمل فيها محضراً بأن ذلك المُراجع قد شتمه وشتم رئيسه و.. و.. الخ وكله كذب وزور.

ويستغلّ الكثير هذه المواقف المُرهبة ضد من لا حول لهم ولا قوة ويعتبرونها شطارة ومهارة وتسلطاً يجب أن يكون لهم

ونسوا أن عين الله تراقبهم.. وتناسوا أن الإنسان لو ترفّع عن الذات وتلمّس قضاء حوائج إخوانه بقدر المستطاع لكان له دَيْن عليهم ومعروف لا يعدم جوازيه وأن الكذب يجعل صاحبه ذليلاً مهاناً أمام الله وخلقه فهو يعرف أن يكذب ولا يعرف كيف يصدق.. وكثير من أنواع الكذب تمارس مثل الدعاوى الكيدية التي يقوم بها بعض ضعاف النفوس ضد البعض وهي لا تعدو أن تكون أكاذيب ملفقة تهدف إلى الضرر ولكن الله العادل يعلي الشرفاء لصدقهم مع خَلقه حتى وإن فارقوا الحياة الدنيا فجزاؤهم كما قال تعالى:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

---

٢٣ ـ ٥ ـ ١٤١٣ هـ

الإنسان ورد وشوك

كعادتهم يستدنون نسائم الفرح والبهجة.. ويستجمعون سناء القمر.. ويحملون ورود الحب يقدمونها بالأمل في القبول للحياة، للناس، للأرض.. كعادتهم يستعذبون الألم، يرتشفون سراب الود، يسكنون جفون الخديعة والوشاية.. ذلك لأنهم جعلوا من الأحلام روضة نخيل ومن الشمس صورة تضيء عتمة الوقت ومن العزيمة قيمة ترتفع بها سواعد الإنسان.. لتبني شيئاً من الزمان.. وتترك بعضاً من العمر ليتحدث عن الحقيقة التي تغمض عنها عيون.. وتصمت عنها ألسنة.

قال أحدهم: لماذا يغمط الإنسان حق أخيه الإنسان؟

قال الآخر: لأنه يعيش في الدنيا فيفترض أن يكون فيه شيء من الدناءة.

وقال الآخر: شيء غريب كثير من الناس يتشدقون بالصدق والشرف والكرامة ويحسبون رغماً عنا أناساً دون أن يبذلوا أي عناء وجهد أو أن يتحملوا ما نتحمله من وجد ورهق.. وتشير إليهم الأصابع بأنهم هم الناس.

قال أحدهم: ألا تؤمن بالظروف أو الحظوظ؟

رد إليه المتحدث: ولكنها ظروف غير طبيعية.. وحظوظ ليست اختيارية.

قال له: أيضاً توجد ظروف قهرية ـ وحظوظ اقتسارية.

سأله: هل تعني أنها (الانتهازية) التي تقال باللغة العصرية؟

قال له: سمها ما شئت.. فموازين اللغة والأحكام والتسميات أصبحت مختلفة تتشكل حسب ظروف الوقائع وملابساتها.

قال: وهل هذا منطق العقلاء؟

أجابه: وأين هم العقلاء؟

وأردف: العقل ليس مكتمل التحكم في جميع الأوقات بل هو يترنح بين الضعف والقوة، وبين الحكمة والسذاجة، وبين الرشد والسفه.. وبين حب الذات وحب الخير للناس.. فلا الناس مكتملون في عواطفهم الصادقة ولا في أحاسيسهم ولا في تلمس الحقيقة ـ (كل يترجم أحاسيسه في لحظة فورية) (ويغيرها في لحظة أخرى) ـ فإحساس الإنسان طوع تقلباته ومصلحته.. وتعلقه بشهواته.

قال آخر: إذن فهل الذنب ذنب العقل؟

أجابه: العقل متهم في كثير من الأحوال لأنه الآمر، ولكن ينبغي أن لا نعفي القلب ـ فالعاطفة منشأها القلب ـ إضافة إلى الكبد الذي يعتبره العرب مناط الإحساس، والعين التي ترى الأشياء.. وكلها تتعرض لهزات من الضعف الوقتي تؤدي إلى صراع داخلي مستمر لتحقيق الذات.. ويتراوح هذا الاختلاف من شخص لشخص ومن وقت لوقت حسب الحالة ودرجة الانفعال المؤثر.. وطريقة استقباله داخل الجسم الإنساني.

وقال آخر: ولكنَّ هناك أشخاصاً مشهوداً لهم بالحكمة، والزهد، والأمانة، والشرف.

أجابه: ليست (الحكمة) الكل ولكنها (الجزء)، وليس (الزهد) الكل ولكنه (الجزء)، وليست (الأمانة) الكل ولكنها

الجزء، وليس (الشرف) الكل ولكنه (الجزء)، (إلا ما خرج عن دائرة التصور الإنساني) ودخل في (إرادة التكوين الإلهي).

قال آخر: يخاطبنا البعض من على منبر الفضيلة ويكتب عن الخلق الكريم، وعن الشهامة، والشجاعة ـ وكأنها تجتمع فيه ويريد أن يكسبها للناس ـ.

وأردف آخر: ويمقت فلاناً ويعيبه على فعلته تلك ويظهر نفسه أنه براء من أي خطأ أو ضعف أنساني.

يجيبهما: كل شخص يتلمس الفضائل ويرى أنه قد حواها وأنه القدوة، وبالفعل فهو يحتوي منها الجزء في وقت من الأوقات ـ ويفتقد الجزء أيضاً في وقت من أوقات الضعف الإنساني.. والتعميم يصبح باطلاً في عالم الإنسان الذي فطر على خصائص تتسم بالنقصان في كثير من مسيرة حياته ومعاشه وأن مجرد الكتابة عن الفضيلة والخلق الحسن والنزاهة والشرف والأمانة والقدوة، شيء نسبي لا يكتسب حكم الإطلاق (بالكل) فالمثالية المطلقة لله وحده.

وحين نمتدح فلاناً من الناس نقول إنه فاضل ولكنه.. أو فلان برغم أنه ذكي فقد أخطأ في كذا... فأين درجة الكمال الإنساني؟ فالذين يتحدثون عن الصفات الحسنة يتحدثون عن المثالية التي لم تتحقق في بني البشر ـ فلو أن (المثالية) موجودة بكمالها لما تحدث عنها أحد لأنها ستصبح قاعدة عامة لن يرى الإنسان غيرها فهي الممارسات الطبيعية التي لن يكون عكسها.

إذن نخلص إلى أن الدوافع الإنسانية الوقتية، والمصلحية، والارتباطية، والنوازع الداخلية والعوامل الجسمية هي التي تحدد الفعل الإنساني الإيجابي والسلبي في (الجزء) وعدمه.. كما أن ذلك أيضاً ينطبق على الصفات والأفعال غير الأخلاقية والمتسمة

بالسوء والقبح فكلها تمثل الجزء في التطبيق وليس (الكل) إذا قسنا ذلك على الصفات الأخلاقية الفاضلة (الجزء).

فهل ندّعي بعد ذلك كمال الفضيلة أو كمال الرذيلة؟

كما أنه بالنسبة للجمال المطلق يصبح باطلاً التعميم طالما أن القبح موجود في كثير من المخلوقات.

وإننا حين ننعت فلاناً بخليقة سيئة فإننا نتلمس طريق الكمال المطلق لذواتنا وهو غير موجود فينا.. إلا من أراد له الله سبحانه ذلك فهنا تكون القدرة أعظم من التقدير ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

---

٣٠ ـ ٥ ـ ١٤١٣ هـ

دوائر محزنة

أحزن كثيراً على ذلك الذي يرى أنه فوق طينة البشر.. فهو يمشي في خيلاء.. وإذا نظر نظر بازدراء إلى الأشياء والأناس.. مسكين.. مسكين.. مسكين.. حتى وإن كان وكان وكان.. فالناس جميعهم خلق الله.. والله مولاهم.. وهو الذي قدّر لهم الحياة والموت.. والرزق.. وهو الذي يعطي ويمنع.

هذا المسكين الذي يتكىء على قوة الوهم.. وبريق الأشياء وغرور الوقت لا شك أنه يجهل نفسه أهو مخلوق من أحجار كريمة وغيره من طين من حمأ مسنون؟ فلو كان كذلك فما حاجته أن يعيش بيننا ونحن من دم ولحم؟ وما حاجتنا به إذا كان جماداً لا نرى منه إلا البريق؟ إن أمثال تلك الجمادات الصامتة لا تؤثر في قليل أو كثير.. ولكنها تكسب مقت الناس واستصغارهم لها.. وبعدهم عنها والمصيبة حينما يجهل الإنسان قدره وقدرته منذ الولادة وحتى الموت ولا يرى عيوبه كإنسان لا يعدو أن يكون جيفة منتنة لولا الروح التي دبّت فيه.. ولأنف منه القريب والبعيد والصغير والكبير.. حتى الحيوان، ورحمك الله يا أبا الطيّب رحمة الأبرار الأخيار.. فلقد خبرت الدخائل وعرفت الطباع حتى جئتنا بهذا البيت الرائع في معناه ومبناه:

ومن جهلَت نفسُه قدْرَها   رأى غيرُه فيه ما لا يرى

* * *

وأحزن كثيراً وكثيراً على ذلك السفيه المتطاول في غيّه والمستمرىء لسبابه وشتائمه واستهزائه بالناس من على منبر الصحافة لأنه أوكلَت إليه أمانة لم يكن خليقاً بها فسقط قبل أن يرتفع وجعل من وباله وخباله غاية. يحسب أن الآخرين يصفقون له ومع الأسف فصاحب العقل السويّ يستهجن ذلك ويربأ بنفسه أن يكون من الجاهلين في الخوض معه.. وهذا المسكين يحسب أن صمت الآخرين ونأيهم عنه خيفة منه.. ولم يدر بخلده ذلك المثل «حلم معاوية قتل الرجل» فالصحافة في مفهومها الكبير الإصلاح.. والتوعية والارتفاع بالأفهام والعقول إلى مستوى الخلق الرفيع وليست وسيلة لإطفاء جذوة حقد أو تحقيق شهرة زائفة أو خلق اسم رنان حتى ولو ركب صاحبه مراكب الوقاحة والسفالة.. لقد قال البعض: «إن أمثال هؤلاء الأقزام لا تكون اللائمة عليهم بل على العاقلة» فهم في عداد من رُفع عنهم القلم».

* * *

وأحزن جداً على المسؤول الذي لا يجد لديه صاحب الحاجة ما يبل الظمأ ويشفي أوار الظلم.. فهو يحافظ على أن يكون رأيه موضع التنفيذ فقط ويغضب حين يسفه رأيه بالمنطق السليم والحجة الدامغة.. ويثور، ويرعد، ويزبد.. ويتعامل مع صاحب الحاجة من خلال تحقيق الفهم الخاطىء على حساب المستضعفين الذين لا يملكون حولاً ولا قوة.. وتكون النتيجة امتحان بعضنا لبعض. فيرى أن ظلمه وجبروته وكبرياءه يخلق له المهابة ولو سأل نفسه إلى متى؟ وهو يتشفى من آلام المساكين ويقاسمهم حظوظهم لمآربه الخاصة ويجعل حياتهم خوفاً في خوفٍ، وهو يركب على الأشياء والأسماء والكفاءات والإنسانيات

بغية تحقيق الذات وهيهات هيهات. فهناك عيون رقيبة إذا نامت جميعها تبقى عين الله التي لا تغفل ولا تنام.. فكم من الذين يفسدون دنيا الآخرين وبأفعالهم تلك يفسدون آخرتهم.. والعياذ بالله.

* * *

وأحزن حزن الأب على وليده.. والشقيق على شقيقه على من اقترن مع الشيطان فأوقعه في حبائله باستعمال المواد المخدرة التي تودي بحياته وتجعله في أقسى مراحل الصغار وأشد أنواع الشفقة حين يتجرد عن إنسانيته ويغدو مثل الحيوان لا يفرق بين ما ينفعه وما يضره.. فيجد نفسه وقد اختار طريق الموت بدل الحياة.. وطريق الذل بدل الكرامة.. وطريق الضعف بدل القوة.. فلو احتكم إلى عقله لعرف أن تلك الدقائق التي تسير به إلى حبائل شيطانية هي الندامة وأولها الفضيحة وثانيها المرض.. وثالثها الموت وآخرها عقوبة الله حين يسأله يوم القيامة: كيف بدَّدْتَ تلك الصحة وظلمت ذلك العمر.. في لحظة نزوة لا تتعدى الدقائق أو الساعات حتى يكون الحيوان في وضع أفضل منك؟

* * *

وأحزن حتى أمتص بقايا الحزن الآدمي على الشعراء والأدباء الصادقين مع وطنهم وقضايا أمتهم كيف يوأدون أحياء.. وكيف يعيشون وهم يقتاتون بقايا عمرهم المسفوح على جدث الآه والألم.. بل قل كيف يسلكون وقد تسنّم مكانهم العنكبوت وهو ينسج حيالهم خيوطاً بغيضة من الجهل والغفلة، هذا العنكبوت المتوحش هم أولئك المتسلقون الذين ظهروا إلينا أخيراً

من خلال صحفهم وأصبحوا شعراء، وأدباء، ومنظرين، وناقدين وكل ما يتخيله عقل.. وتوارى المبدعون الأصلاء.. الملهمون بالفطرة.. ولا تقل لي، وقد انبهمت الأشياء واختلّت الموازين وساءت التقديرات، لا تقل لي أين نحن أو أين أدبنا من الآداب العالمية.. فلقد قالها المتنبي منذ ألف سنة ونيف:

يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

* * *

والحزن الأخير: لمن يردّ الإحسان بالإساءة.. والمودة بالغدر.. والحب بالتعالي والجفاء.. والكيد للشرفاء والأتقياء، ومحاولة النيل منهم ومن طموحاتهم الإنسانية. ويقول مخادعاً نفسه إنه ينطلق من منطلق حضاري وإنساني ويتشدق بوهمه وليته جلس مع نفسه وأعاد حساباته.. ورأى كيف يكون تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان فإن أدرك خطأ سلوكياته فهو الإنسان وإن ركب مراكب صلفه وتعنته وجهله.. فذلك من استحق أن يوصف بما يعجز عن نطقه لساني.

١٤١٣ هـ

الفوارق.. والأضداد

الفرق كبير بين العدل وبين الكره، وليس بينهما قرابة اشتقاق فكل من الكلمتين تقف على طرفي نقيض.. العدل ضد الظلم.. والعدل ذلك الميزان الذي يزن الأفعال والأقوال.. لا يتحيز. وربما يكون معنى العدل مِن عدل الشيء، أي أقامه معتدلاً غير مائل إلى جهة اليمين أو الشمال، والعادل هو الله الذي تنزهت أسماؤه وصفاته وجل في علاه، وهو سبحانه الذي يحكم بين الخلائق بالعدل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

والعدل من خلائق أولي النهي.. والعلماء.. والفضلاء ومن أراد أن ينزه نفسه عن النقيصة وعن الدنية.. بحسن المعاملة وخشية الله.

والكره هذه الكلمة التي تحوقل عند سماعها تنطقها كلمة وتنبذها فعلاً وعملاً إذا كنت من أصحاب النفوس السوية العلية.. لا يتمثل معناها عملاً وإن تمثل قولاً حتى وإن كانت من نوافل القول في كثير من التعابير السريعة.. تقول يا شيخ والله أنا أكره فلاناً.. ربما لأن شكله لا يعجبك.. وربما لأن قوله لا يروقك.. وربما لأن أعماله تجعلك تنبذه من عاطفة التقدير... فتقول: أكرهه، وهذا ما يحصل وما يمارس عادة.

ولكن النفس النقية.. والنفس الكبيرة... والنفس التي لا تشعر بمركب نقص هي التي تفرق بين العدل كناموس حياة وبين

الكره ككلمة ومعنى لا يجعلها مركّبات الحقد أو الانفعال الفوري غير المتأني إلى المساس بقيمة العدل ومعناه ومفهومه التطبيقي لإقامة شرعية الحياة المتسامية بصفة المؤمن السوي الذي لا يعطي للكره وقتاً للتأثير على العدل.

---

٢٨ ـ ٢ ـ ١٤١٦ هـ

اللوموند

قرأت من زمن في جريدة اللوموند الفرنسية بحثاً علمياً مكتوباً من حوالى أربع صفحات اعتبره صاحبه مقالاً نقدياً يتعرض لصورة من الصور التقطت لنسر كبير وعلى أمتار منه يحبو طفل من جنوب أفريقيا هدّته المجاعة والحرب وأوهنت جسمه حتى بدا وكأنه هيكل عظمي في صحراء قاحلة وذلك النسر ينظر إلى الطفل وكأنه ينتظر لحظة موته لينقضّ عليه ويفترسه..

وقد استحقت الصحفية على هذه الصورة جائزة عالمية، ولكن الصحفي أخذ على المصورة مآخذ عديدة استخلصنا منها أن الصورة كانت تبعث الشفقة على ذلك الطفل وتعتبر صورة مميزة وفريدة، وأخذ الصحفي عليها أن المصورة تتبعت الطفل وتتبعت النسر الكاسر وهو يرمق فريسته لينقضّ عليه إذ اعتبرها ذلك الصحفي مجرد صورة لحدث وقتي يدخل فيه عنصر الإثارة والتفرد. وبالفعل أدت الصورة دورها الذي أرادته الصحفية منها، واعتبره الصحفي دوراً هامشياً يراد من ورائه الشهرة والإثارة والكسب إذ إن المصورة لم تبحث عن دوافع هذه المأساة وكم عدد الأطفال والنساء والشيوخ والشباب الذين يموتون كل يوم في أفريقيا أو غيرها من جرّاء ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وطلب من المصورة أن تعطي شرحاً لهذه الصورة لتجد أنه في النهاية لن يكون للصورة تلك الشفقة والإثارة الجماهيرية على ما حدث

لذلك الطفل، وإنما سوف يكون التأثير بالغاً حيث يتفاعل القارىء مع الحدث كمشكلة إنسانية كبرى تخضعها معايير سياسية إلى البحث في دوافعها ووصولها إلى ذهن القارىء وقلبه بما يتفاعل مع حدث جماعي لا مع حدث فردي.

والمقال كان بحثاً مشوقاً خلصنا منه إلى مستوى الأداء الصحفي وإلى قيمة العمل الصحفي الذي يعتمد على مراجع علمية ونقد صريح يتعامل في إطار إنساني كبير بعيداً عن المؤثرات السياسية أو الإقليمية.

ونحن نكتب ذلك وقد مررنا على الكثير من الصور التلفازية عما يحدث في البوسنة وما يتعرض له شعب كامل من إبادة وتشريد وامتهان، فهل يكمن الخطأ في تحريك المشاعر في المصورين أم في طريقة العرض، أم في المشاعر العالمية التي أصبحت متبلدة فلم تستحق جميع الصور حتى جائزة مثل التي حصلت عليها تلك المصورة؟

ولو كنت عضواً في لجنة الجائزة لمنحتها لذلك الصحفي الإنسان وسحبت الجائزة من المصورة التي كان من أهم رغباتها ندرة الحدث، وكانت نظرتها إلى الشهرة الشخصية، ولم تهتم بشعب كامل يعاني من جراء دوافع سياسية بغيضة إلى الويلات والموت. فكيف يمكن بعد ذلك أن تكون الصحافة؟ وكيف يمكن أن تؤثر في ضمير الشعوب بشكل إنساني خلاق بعيداً عن الضجة والانفعالات الكاذبة التي لا تهدف إلا لإرضاء غرور إنساني؟ وكيف؟... وكيف؟

---

١٢ ـ ٣ ـ ١٤١٦ هـ

الرصيد الحقيقي

كم رصيدك من حب الناس؟

إن حب الناس هو أثمن من النقود والملايين لأنهم هم الكنز الحقيقي.. فما أثمن الحب المبني على الإخلاص.. بعيداً عن قشور المادة التي أصبحت تسيطر على كثير من مجريات حياتنا. عد معي أيها الإنسان إلى عصر ليس بالبعيد وقارن بين عصر مضى وعصر تعيشه مليء بالمتناقضات والإغراءات الدنيوية واسترجع معي كيف كان الناس برغم شظف العيش محبون لبعضهم البعض. كان الجار يستشعر بالمعنى الحقيقي للجيرة والصديق يعرف قيمة الصداقة والأصدقاء.. والقريب يقدر أواصر القربى ويتفانى جميعهم في معنى كبير ألا وهو الحب والإيثار لبعضهم البعض... إننا اليوم نشاهد عقارب ساعة الزمن وهي تمر مسرعة تاركة خلفها كثيراً من المبادىء المبعثرة. لم يتغير شيء سوى عمق الحب والاستشعار بمعناه الحقيقي. واليوم أرى أننا في عصر صعب. تستطيع أن تصبح مليونيراً بالمال ونادراً ما تستطيع أن تصبح مليونيراً بحب الناس، فكم يبلغ رصيدك من حب الناس أيها الإنسان؟

---

٣ ـ ٤ ـ ١٤١٦ هـ

الانتماء

نحن شعب نؤمن ولا نكفر.. نشكر ولا ننكر.. نقدّم ولا نمنّ.. رسالتنا للحياة حب بلا خديعة.. وصدق بلا مواربة ولا زيف. نستعصم بعصمة القرآن وسنّة نبيّ الهدى ﷺ. لا نقبل الضيم.. ولا نقبل المساس بعقيدتنا.. تهتز مشاعرنا للمواقف الإنسانية.. وتضج أفئدتنا لكل عمل مشين.. نرفض الغدر والجهل ولا نقرّ العدوان ولا الإجرام بكل أشكاله وأبعاده وأساليبه.. نقف صفاً واحداً ضد كل من يحاول المساس بمقدّراتنا وآمالنا. نصدّ كل من تسول له نفسه العبث بآمالنا وثرواتنا.. ونسحقه على أفعال لم تكن يوماً من أخلاقياتنا ولا من عاداتنا وتقاليدنا الإسلامية. نعرف قدر حكومتنا الرشيدة بقيادة المليك المفتدى فهد بن عبد العزيز حفظه الله ونحيطهم بكل الولاء والتقدير والحب جزاء وفاقاً لما قدموه ويقدمونه لهذا الوطن الغالي، وندرك عمق المسؤولية وعِظَم الأمانة. تحملوها فكانوا رجالاً في الشدائد وعقولاً نيرة تبني بالحب ما عجز عنه ساسة الدول وتقف في وجه كل فكر مشين وكل عمل غادر.

---

٢٥ ـ ٦ ـ ١٤١٦ هـ

مرض العَظَمة

يعتمد الكثير في تقديرهم للناس على المظهر الشكلي.. وتتضخم عقولهم لدرجة أنهم يصدرون الأحكام بالذكاء والفطنة أو بالقدرة العقلية. وتخون الحكمة من لا تتسع بصيرته لأبعد من قدميه فيحكم على الرجال بالفخامة واللبس والأسماء اللامعة الرنانة وينسى أن لله أناساً وإن كانوا أقل فخامة ووسامة أو أقل مالاً أو وجاهة.. فهم أكثر نفعاً وأرجح عقلاً وأكثر عملاً لواجبات الله ورسوله ولإخوانهم المسلمين. وفي كثير من الأوقات نرى من يقيس الإنسان بالهالة التي تضفى عليه، وهذا عيب في تركيبة بعض النفوس الضعيفة.. التي تتكسب على حساب المظاهر البراقة وتعلن انتماءها لها لكسب حظوة ما، فتنسى تلك النفوس كيف يكون تقدير العلم والعلماء والأدب والأدباء.. والفضل والفضلاء وهؤلاء هم القيمة الحقيقية لأي مجتمع.. وتراثنا الإسلامي حفيل بالمضامين الخلقية التي تهذب النفوس وتعطي أصحاب القدر قدرهم، ولكن ألا قاتل الله الجهل، وقد قال المتنبي:

ومن جهلت نفسه قدرها رأى غيره فيه ما لا يرى

فالذي يجهل قدر نفسه يجهل أقدار الناس.. فكل إنسان قد كرمه الله وأعطاه منزلة تليق به بين سائر البشر.. ولن ينقص من قدر العالم أو الأديب أو النبيل إغفاله عن دائرة الضوء أو تركه في مؤخرة الصفوف إنما العيب في تلك النفوس التي تجثو على

مواقد التزلف ونكران أقدار الآخرين. هنا تكون الكارثة وتضييع الحكمة، ويختلط الحابل بالنابل وينسب الفضل لغير أهله ويصاب المجتمع بداء الغرور الذي يؤدي إلى قتل المُثل واستحكام الإحباط في الأنفس الفاعلة.. ولكن يبقى فضل الله والأمل في الله وهما ما ينتظره المؤمن النافع المؤثر بعلمه وفضله.. يراه الله ويحبه ويحتسب له الصبر على جميل ما قدم.

٢ ـ ٨ ـ ١٤١٦ هـ

الفهــرس

الباب الأول
قراءات اجتماعية

الباب الثاني
آراء أدبية ونقدية

الباب الثالث:

جزئية فلسفية





هذا الكتاب

بعض من مقالات هي خلاصة إبحار المؤلف في بحار الحياة بحثاً «عني وعنك» كما يقول، «عن روح طيبة تسكن في أعماقك حيث يتوحد، أو يمتزج، الخير في إنساننا»، والهدف محو الشرّ من قاموس الدهر.

هذه المجموعة، بما تحمله من مضامين متنوعة، في ظاهرها الغضب والألم، لكن في باطنها حب كبير يتّسع لكل نازع للخير تارك للضغينة والبغض، هي علامات مضيئة على طريق الإنسان والحب.

مضامين هذا الكتاب تندرج في ثلاثة أبواب، قراءات اجتماعية، آراء أدبية ونقدية، جزئية فلسفية. في الباب الأول تطالعنا أسماء هي منارات للوطن والمواطن وللخير وللإنسان، وعناوين منها: توظيف الشباب السعودي، الصحف والصحافة المحلية، صندوق الأديب الخيري، الفروسية، الموعد الحضاري المرتقب، المسؤولية، المناهج والتربية، وأذّن في الناس بالحجّ، القنوات الفضائية، الخ... وفي الباب الثاني تطالعنا أعلام لها حيّزها في الأدب والنقد وعناوين منها: الشاعر الأمير عبد الله الفيصل، الغزاوي، الدكتور راشد الراجح، الأستاذ الفقي، الدكتور القصيبي، سعد بن رويشد، الخ... ومن العناوين نقرأ: إننا ننعي الحب والصدق والوفاء، الذاكرة عند الأدباء، العلماء والأدب والحوار، الجوع الثقافي، مجتمع الغرباء، النقّاد السعوديون، الخ .... وفي جزئية فلسفية تطالعنا مقالات منها: الإنسان الطفل المغرور، الإنسان ورد وشوك، الجريمة والعقاب والتهذيب، الدعوة الى الله، الظلم، الفرح والحزن، الكذب، الكلمة والفعل واللافعل، هل نحن أمة مقلّدة للظواهر الحياتية المسبوقة أم لا، الخ .... وهي كما نرى، بالرغم من أنها «جزئية» إلا أنها في جوانب الفلسفة كلها.

إنه كتاب يخاطب الإنسان في العمق، إنه دعوة لنسترفد بقايا الحلم
حياتنا تفجّرت، وخلعت عنها الصمت، وانطلقت كلمات إلى الإنسان في
وواحة انطلاق مع الذات والحياة.

